

(١٤١٣)

لا تمدن عينيك

مسائل ومواعظ

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"[سورة الحجر (١٥): آية ٨٨]

لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨)

فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى: (**لا تمدن عينيك**) المعنى: قد أغنيتك بالقرآن عما في أيدي الناس، فإنه ليس منا من لم يتغن بالقرآن، أي ليس منا من رأى أنه ليس يغنى بما عنده من القرآن حتى يطمح بصره إلى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى. يقال: إنه وافى سبع قوافل من البصرة وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها البر والطيب والجوهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله تعالى:" ولقد آتيناك سبعا من المثاني" أي فهي خير لكم من القوافل السبع، فلا تمدن أعينكم إليها. وإلى هذا صار ابن عيينة، وأورد قوله عليه السلام:" ليس منا من لم يتغن بالقرآن" أي من لم يستغن به. وقد تقدم هذا المعنى في أول «١» الكتاب. ومعنى (أزواجا منهم) أي أمثالا في النعم، أي الأغنياء بعضهم أمثال بعض في الغنى، فهم أزواج. الثانية- هذه الآية تقتضي الزجر عن التشوف إلى متاع الدنيا على الدوام، وإقبال العبد على عبادة مولاه. ومثله" **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم «٢» فيه" الآية. وليس كذلك، فإنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" حبب إلي من دنياكم «٣» النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة". وكان عليه الصلاة والسلام يتشاغل بالنساء، جبلة الآدمية وتشوف الخلقة الإنسانية، ويحافظ على الطيب، ولا تقر له عين إلا في الصلاة لدى مناجاة المولى، ويرى أن مناجاته أحرى من ذلك وأولى. ولم يكن في دين محمد الرهبانية والإقبال على الأعمال الصالحة بالكلية «٤» كما كان في دين عيسى،

---

(١). راجع ج ١ ص ١٢.

(٢). راجع ج ١١ ص ٢٦١.

(٣). كذا في سنن النسائي ومسند الامام أحمد. والذي في الأصول:" حبب إلى من دنياكم ثلاث ... إلخ" وبكلمة" ثلاث" لا يستقيم الكلام. راجع كشف الخفا ج ١ ص ٣٣٨ ففيه بحث شيق واف.

(٤). أي الانقطاع الكلى عن الدنيا فإنه من معاني الرهبانية.." [1]

"قوله تعالى: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) ٢٠: ١٣٠ قال أكثر المتأولين: هذا إشارة إلى الصلوات الخمس" قبل طلوع الشمس ٢٠: ١٣٠" صلاة الصبح (وقبل غروبها) ٢٠: ١٣٠ صلاة العصر

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥٦/١٠

(ومن آناء الليل) ٢٠: ١٣٠ العتمة (وأطراف النهار) ٢٠: ١٣٠ المغرب والظهر، لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب. وقيل: النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال، ولكل قسم طرفان، فعند الزوال طرفان، الآخر من القسم الأول والأول من القسم الآخر، فقال عن الطرفين أطرافا على نحو" فقد صغت قلوبكما" «١» [التحريم: ٤] وأشار إلى هذا النظر ابن فورك في المشكل. وقيل: النهار للجنس فلكل يوم طرف، وهو إلى جمع لأنه يعود في كل نهار. و" آناء الليل" ساعاته وواحد الآناء إني وإنى وأنى. وقالت فرقة: المراد بالآية صلاة التطوع، قاله الحسن. قوله تعالى: (لعلك ترضى) ٢٠: ١٣٠ بفتح التاء، أي لعلك تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به. وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم" ترضى" بضم التاء، أي لعلك تعطى ما يرضيك.

[سورة طه (٢٠): الآيات ١٣١ الى ١٣٢]

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)

قوله تعالى: (**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به) ٢٠: ١٣١ وقد تقدم معناه في (الحجر) «٢»." أزواجا" مفعول ب"- متعنا". و" زهرة ٢٠: ١٣١" نصب على الحال. وقال الزجاج:" زهرة ٢٠: ١٣١" منصوبة بمعنى" متعنا" لأن معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة، أو بفعل مضمر وهو" جعلنا" أي جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا، عن الزجاج أيضا. وقيل: هي بدل من الهاء في" به" على الموضع كما تقول: مررت به أخاك. وأشار الفراء إلى نصبه على الحال، والعامل فيه" متعنا" قال: كما تقول مررت به المسكين، وقدره: متعناهم به زهرة في الحياة الدنيا وزينة فيها. ويجوز أن ينتصب على المصدر مثل" صنع الله" و" وعد الله" وفيه

---

(١). راجع ج ١٨ ص ١٨٨.

(٢). راجع ج ١٠ ص ٥٦ فما بعد.." [1]

"نظر. والأحسن أن ينتصب على الحال ويحذف التنوين لسكونه وسكون اللام من الحياة، كما قرئ:" ولا الليل سابق النهار" «١» بنصب النهار بسابق على تقدير حذف التنوين لسكونه وسكون اللام، وتكون" الحياة" مخفوضة على البدل من" ما" في قوله:" إلى ما متعنا به" فيكون التقدير: **ولا تمدن عينيك**

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦١/١١

إلى الحياة الدنيا زهرة أي في حال زهرتها. ولا يحسن أن يكون" زهرة" بدلا من" ما" على الموضع في قوله:" إلى ما متعنا" لأن" لنفتنهم ٢٠: ١٣١" متعلق ب"- متعنا" و" زهرة الحياة الدنيا ٢٠: ١٣١" يعني زينتها بالنبات. والزهرة، بالفتح في الزاي والهاء نور النبات. والزهرة بضم الزاي وفتح الهاء النجم. وبنو زهرة بسكون الهاء، قاله ابن عزيز. وقرأ عيسى بن عمر" زهرة" بفتح الهاء مثل نهر ونهر. ويقال: سراج زاهر أي له بريق. وزهر الأشجار ما يروق من ألوانها. وفي الحديث: كان النبي صلى الله عليه وسلم أزهر اللون أي نير اللون، يقال لكل شي مستنير: زاهر، وهو أحسن الألوان. (لنفتنهم فيه) ٢٠: ١٣١ أي لنبتليهم. وقيل: لنجعل ذلك فتنة لهم وضلالا، ومعنى الآية: لا تجعل يا محمد لزهرة الدنيا وزنا، فإنه لا بقاء لها." ولا تمدن ٢٠: ١٣١" أبلغ من لا تنظرن، لأن الذي يمد بصره، إنما يحمله على ذلك حرص مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه: مسألة: قال بعض الناس سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلني عليه السلام إلى رجل من اليهود، وقال قل له يقول لك محمد: نزل بنا ضيف ولم يلف عندنا بعض الذي يصلحه، فبعني كذا وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب فقال: لا، إلا برهن: قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال:" والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه اذهب بدرعي إليه" ونزلت الآية تعزية له عن الدنيا. قال ابن عطية: وهذا معترض أن يكون سببا، لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه القصة التي ذكرت، وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها، وذلك أن الله تعالى

---

(١). راجع ج ١٥ ص ٣٢ فما بعد.." [(١)]

"وبخهم على ترك الاعتبار بالأمم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل، ثم أمر نبيه بالاحتقار لشأنهم، والصبر على أقوالهم، والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا، إذ ذلك منصرم عنهم صائر إلى خزي. قلت: وكذلك ما روي عنه عليه السلام أنه مر بإبل بني المصطلق وقد عبست «١» في أبوالها [وأبعارها «٢»] من السمن فتقنع بثوبه ثم مضى، لقوله عز وجل:" **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ٢٠: ١٣١" الآية. ثم سلاه فقال:" ورزق ربك خير وأبقى ٢٠: ١٣١" أي ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا أولى، لأنه يبقى والدنيا تفنى. وقيل: يعني بهذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٢/١١

والغنائم. قوله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة) ٢٠: ١٣٢ أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة ويمتثلها معهم، ويصطبر عليها ويلازمها: وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عمومه جميع أمته، وأهل بيته على ال تخصيص. وكان عليه السلام بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت فاطمة وعلي رضوان الله عليهما فيقول" الصلاة". ويروى أن عروة بن الزبير رضي الله عنه كان إذا رأى شيئا من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله، وهو يقرأ" **ولا تمدن عينيك** ٢٠: ١٣١" الآية إلى قوله:" وأبقى ٢٠: ٧١" ثم ينادي بالصلاة: الصلاة يرحمكم الله، ويصلي: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي وهو يتمثل بالآية. قوله تعالى: (لا نسئلك رزقا) ٢٠: ١٣٢ أي لا نسئلك أن ترزق نفسك وإياهم، وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم، فكان عليه السلام إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة. وقد قال الله تعالى" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق" «٣» [الذاريات ٥٦]. قوله تعالى: (والعاقبة للتقوى) ٢٠: ١٣٢ أي الجنة لأهل التقوى، يعني العاقبة المحمودة وقد تكون لغير التقوى عاقبة ولكنها مذمومة فهي كالمعدومة،

---

(١). عبست في أبوالها: هو أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها وذلك إنما يكون من الشحم.

(٢). الزيادة من (النهاية) لابن الأثير.

(٣). راجع ج ١٧ ص ٥٥.." [1]

"عند دخوله «١». الرابع- حرم الله عليه إذا لبس لأمته «٢» أن يخلعها عنه أو يحكم الله بينه وبين محاربه. الخامس- الأكل متكئا. السادس- أكل الأطعمة الكريهة الرائحة. السابع- التبدل بأزواجه، وسيأتي. الثامن- نكاح امرأة تكره صحبته. التاسع- نكاح الحرة الكتابية. العاشر- نكاح الأمة. وحرم الله عليه أشياء لم يحرمها على غيره تنزيها له وتطهيرا. فحرم الله عليه الكتابة وقول الشعر وتعليمه، تأكيدا لحجته وبيانا لمعجزته قال الله تعالى:" وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك" «٣» [العنكبوت: ٤٨]. وذكر النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كتب، والأول هو المشهور. وحرم عليه أن يمد عينيه إلى ما متع به الناس، قال الله تعالى:" **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم" «٤» [الحجر: ٨٨] الآية. وأما ما أحل له صلى الله عليه وسلم فجملته ستة عشر: الأول- صفي المغنم. الثاني-

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٣/١١

الاستبداد بخمس الخمس أو الخمس. الثالث- الوصال. الرابع- الزيادة على أربع نسوة. الخامس- النكاح بلفظ الهبة. السادس- النكاح بغير ولي. السابع- النكاح بغير صداق. الثامن- نكاحه في حالة الإحرام. التاسع- سقوط القسم بين الأزواج عنه، وسيأتي. العاشر- إذا وقع بصره على امرأة وجب على زوجها طلاقها، وحل له نكاحها. قال ابن العربي: هكذا قال إمام الحرمين، وقد مضى ما للعلماء في قصة زيد من هذا المعنى. الحادي عشر- أنه أعتق صفية وجعل عتقها صداقها. الثاني عشر- دخوله مكة بغير إحرام، وفي حقنا فيه اختلاف. الثالث عشر- القتال بمكة. الرابع عشر- أنه لا يورث. وإنما ذكر هذا في قسم التحليل لأن الرجل إذا قارب الموت بالمرض زال عنه أكثر ملكه، ولم يبق له إلا الثلث خالصا، وبقي ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقرر بيانه في آية المواريث «٥»، وسورة" مريم" «٦» بيانه أيضا. الخامس عشر- بقاء زوجيته من بعد

---

(١). راجع كتاب البخاري ومسلم (باب الأدب).

(٢). اللامة (وقد يترك همزها): الدرع. وقيل السلاح. [.....]

(٣). راجع ج ١٣ ص ٣٥١.

(٤). راجع ج ١١ ص ٢٦١.

(٥). راجع ج ٥ ص ٥٩.

(٦). راجع ج ١١ ص ١٨.." [١]

"أعطيت عطية فأعطها لربك. التاسع- لا تقل دعوت فلم يستجب لي. العاشر- لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها، ولكن اصبر حتى يكون الله هو الذي يثيبك عليها. الحادي عشر- لا تفعل الخير لترائي به الناس. الثانية- هذه الأقوال وإن كانت مرادة فأظهرها قول ابن عباس: لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت من المال، يقال: مننت فلانا كذا أي أعطيته. ويقال للعطية المنة، فكأنه أمر بأن تكون عطاياه لله، لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها، لأنه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا، ولهذا قال: [ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود عليكم [. وكان ما يفضل من نفقة عياله مصروفا إلى مصالح المسلمين، ولهذا لم يورث، لأنه كان لا يملك لنفسه الادخار والاقتناء، وقد عصمه الله تعالى عن الرغبة في شي من الدنيا، ولذلك «١» حرمت عليه الصدقة وأبيحت له الهدية، فكان يقبلها ويثيب عليها. وقال: [لو دعيت إلى كراع

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٢/١٤

«٢» لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت [ابن العربي: وكان يقبلها سنة ولا يستكثرها شرعة، وإذا كان لا يعطي عطية يستكثر بها فالأغنياء أولى بالاجتناب، لأنها باب من أبواب المذلة، وكذلك قول من قال: إن معناها لا تعطي عطية تنتظر ثوابها، فإن الانتظار تعلق بالأطماع، وذلك في حيزه بحكم الامتناع، وقد قال الله تعالى له: **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى [طه: ١٣١]. وذلك جائز لسائر الخلق، لأنه من متاع الدنيا، وطلب الكسب والتكاثر بها. وأما من قال أراد به العمل أي لا تمنن بعملك على الله فتستكثره فهو صحيح، فإن ابن آدم لو أطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر. الثالثة- قوله تعالى: ولا تمنن قراءة العامة بإظهار التضعيف. وقرأ أبو السمال العدوي وأشهب العقيلي والحسن" ولا تمن" مدغمة مفتوحة. تستكثر: قراءة العامة

---

(١). في، اح، ز، ط: (ولهذا).

(٢). الكراع بوزن غراب: وهو مستدق الساق من الرجل. وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس والبعير.." [١]

"والأصيل واقعناه نازلا من درج مسجد، وقال من هؤلاء قول معاوية فوقف فسلمنا عليه ثم رجع فقعد ونظر في وجوهنا فقال ما أدري إلا خيرا حدثونا عن محمد بن كثير عن سفيان الثوري عن [عمرو بن قيس الملائي*] عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى"، وتلا (إن في ذلك لآيات للمتوسمين).

قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧)﴾

قال ابن عرفة: كان بعض البغداديين يقول إنما خصص لفظ السبع هنا لأن العدد الكامل الزائد على العدد التام إلا جزءا لأن الستة عدم تام الأجزاء قال: وعادتهم يجيبون إيتاء النعم والسكوت وتناسبها وهو أكمل من إتيانها والمد بها حسبما نبه عليه الزمخشري في سورة البقرة، وأنشد عليه:

وإن امرءا أسدى إلي بنعمة ... وذكر فيها مرة لبخيل

ولا شك أن المقام شريف فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة، قال: [وأجيب*] بوجهين أحدهما: أن التذكير بالنعمة الماضية إن كان إشعارا بورود نعمة أخرى في المستقبل فلا شيء فيه، وإنما

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩/٦٨

يكون امتنانا إذا لم يشعر بوروده نعمة أخرى في المستقبل وعليه قوله تعالى: (ألم يجدك يتيما فآوى (٦) ووجدك ضالا فهدى (٧). الثاني: إنه ذكرها ليرتب عليها أمرا تكليفيا فيكون داخل في مقام الامتثال.

ابن عرفة: فإن قلت: الجملة الثانية كانت مسببة من الأولى فهلا عطفت بالفاء فكان يقال: **فلا تمدن عينيك**، فالجواب: إنه لما كانت السببية ظاهرة أغنت عن الإتيان بالفاء [والله المستعان والموفق*]..." [(١)]

"فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥) إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦) ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١)." [(٢)]

"(**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أي لا تطمح ببصرك إلى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتمن لها؛ قال الواحدي: إنما يكون مادا عينيه إلى الشيء إذا أدام النظر نحوه وإدامة النظر إليه تدل على استحسانه وتمنيه.

وقال بعضهم: المعنى لا تحسدن أحدا على ما أوتي من الدنيا، ورد بأن الحسد منهى عنه مطلقا، وإنما قال في هذه السورة لا تمدن بغير واو؛ لأنه لم يسبقه طلب بخلاف ما في سورة طه.." [(٣)]

"وعن ابن عباس قال: في قوله **لا تمدن عينيك** نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه والأزواج الأصناف قاله ابن قتيبة. وقال الجوهري: الأزواج القرناء؛ وقيل يعني اليهود والنصارى والمجوس. وعن مجاهد في قوله أزواجا منهم، قال الأغنياء الأمثال والأشباه.

وعن سفيان بن عيينة قال: من أعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صغر القرآن فقد خالف القرآن ألم تسمع قوله (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) إلى قوله (ورزق ربك خير وأبقى) وقد فسر ابن عيينة أيضا الحديث الصحيح " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " (١) فقال إن المعنى لم يستغن به.

ثم لما نهاه عن الالتفات إلى أموالهم وأمتعتهم نهاه عن الالتفات إليهم فقال (ولا تحزن عليهم) حيث لم يؤمنوا وصمموا على الكفر والعناد. وقيل المعنى لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا وفاتك من مشاركتهم

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧/١٩٢

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧/١٩٥

فيها فإن لك الآخرة؛ والأول أولى.

روى البغوي بسنده عن أبي هريرة قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تغبطن فاجرا بنعمته فإنك لا تدري ما هو لاق بعد موته إن له عند الله قاتلا لا يموت، قيل وما هو؟ قال النار " (٢).

وعنه عند مسلم مرفوعا " انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم " (٣) قال عوف: كنت أصحب الأغنياء فما كان أحدا أكثر هما مني، كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي، فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت.

ثم لما نهاه عن أن يمد عينيه إلى أموال الكفار وأن يحزن عليهم وكان ذلك يستلزم التهاون بهم وبما معهم أمره أن يتواضع للمؤمنين فقال (واخفض

---

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب ٤٤ - أبو داود، كتاب الوتر، الباب ٢٠.

(٢) مشكاة المصابيح ٥٢٤٨.

(٣) مسلم ٢٩٦٣ - البخاري ٢٤٣٤.." [1]

"**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)." [2]

"التكرير لأن الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها وقيل هي مشتقة من الثناء لأن فيها ثناء على الله ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو لبيان الجنس وعطف القرآن على السبع المثاني لأنه يعني ما سواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص **لا تمدن عينيك** أي لا تنظر إلى ما متعناهم به في الدنيا كأنه يقول قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم فلا تنظر إلى الدنيا فإن الذي أعطيناك أعظم منها أزواجا منهم يعني أصنافا من الكفار ... ٣٤٤." [3]

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٩٦/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٩٥/٨

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٦٤/٢

"واحدها إنى **ولا تمدن عينيك** ذكر في الحجر ومد العينين هو تطويل النظر ففي ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه زهرة الحياة الدنيا شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار لأن الزهر له منظر حسن ثم يذبل ويضمحل وفي نصب زهرة خمسة أوجه أن ينتصب بفعل مضمر على الذم أو يضمن متعنا معنى أعطينا ويكون زهرة مفعولا ثانيا له أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور أو يكون بدلا من أزواجا على تقدير ذوي زهرة أو ينتصب على الحال لنفتنهم فيه أي لنختبرهم لا نسألك رزقا أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن ... ٤١٥." (١)

"الثاني : ألا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم؛ فإن معاصيهم لا تضره إذا اهتدى، والحزن على ما لا يضر عبث، وهذان المعنيان مذكوران فى قوله : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ [النحل : ١٢٧] .

الثالث : ألا يركن إليهم، ولا يمد عينه إلى ما أوتوه من السلطان والمال والشهوات، كقوله : ﴿ **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم ﴾ [الحجر : ٨٨] ، فنهاه عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم فى آية، ونهاه عن الحزن عليهم والرهبة منهم فى آية، فإن الإنسان قد يتألم عليهم ومنهم، إما راغبا وإما راهبا .

الرابع : ألا يعتدى على أهل المعاصي بزيادة على المشروع فى بغضهم أو ذمهم، أو نهيهم أو هجرهم، أو عقوبتهم، بل يقال لمن اعتدى عليهم : عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت، كما قال : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم ﴾ الآية [المائدة : ٨] ، وقال : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، وقال : ﴿ فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة : ١٩٣] ، فإن كثيرا من الآمرين الناهين قد يتعدى [فى المطبوعة : يعتدى : والصواب ما أثبتناه] حدود الله، إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين .

الخامس : أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع، من العلم والرفق، والصبر، وحسن القصد، وسلوك السبيل القصد؛ فإن ذلك داخل في قوله : ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ وفى قوله : ﴿ إذا اهتديتم ﴾ .
". (٢)

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٨٥/٢

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢١٢/٣

"وكذلك النظر إلى زينة الحياة الدنيا فتنة، فقال تعالى : ﴿ **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ [طه : ١٣١] ، وفي التوبة : ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ﴾ الآية [التوبة : ٥٥] ، وقال : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ الآية [النور : ٣٠] ، وقال : ﴿ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف : ٢٨] ، وقال : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ الآيات [الغاشية : ١٧] ، وقال : ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ﴾ [يونس : ١٠١] ، وقال : ﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ﴾ الآية [سبأ : ٩] ، وكذلك قال الشيطان : ﴿ إني أرى ما لا ترون ﴾ [الأنفال : ٤٨] ، وقال : ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ الآيات [الشعراء : ٦١] ، وقال : ﴿ إذ يريكهم الله في منامك قليلا ﴾ الآية [الأنفال : ٤٣] .

". [١]

"/ ويؤيد ذلك حديث أبى أمامة المشهور من رواية البغوى : حدثنا طالوت بن عباد، حدثنا فضالة بن جبير، سمعت أبا أمامة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اكفلوا لى بست أكفل لكم الجنة : إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم) . فقد كفل بالجنة لمن أتى بهذه الست خصال، فالثلاثة الأولى تبرئة من النفاق، والثلاثة الأخرى تبرئة من الفسوق، والمخاطبون مسلمون، فإذا لم يكن منافقا كان مؤمنا، وإذا لم يكن فاسقا كان تقيا فيستحق الجنة . ويوافق ذلك ما رواه ابن أبى الدنيا : حدثنا أبو سعيد المدنى، حدثنى عمر بن سهل المازنى، قال : حدثنى عمر بن محمد بن صهبان، حدثنى صفوان بن سلم، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله، وعينا سهرت فى سبيل الله، وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله) .

وقوله سبحانه : ﴿ **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ [طه : ١٣١] ، يتناول النظر إلى الأموال واللباس والصور وغير ذلك من متاع الدنيا : أما اللباس والصور فهما اللذان لا ينظر الله إليهما، كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : / (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) ، وقد قال تعالى : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ﴾ [مريم : ٧٤] ، وذلك أن الله يمتع بالصور كما يمتع

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٩٧/٣

بالأموال، وكلاهما من زهرة الحياة الدنيا، وكلاهما يفتن أهله وأصحابه، وربما أفضى به إلى الهلاك دنيا وأخرى .

". (١)

"وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) . فإذا كان الله لا ينظر إلى الصور والأموال، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فكيف يفضل الشخص بما لم يفضله الله به . وقد قال تعالى : ﴿ **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ [طه : ١٣١] ، وقال فى المنافقين : ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله ﴾ [المنافقون : ٤] .

فإذا كان هؤلاء المنافقون الذين تعجب الناظر أجسامهم، لما فيهم من البهاء والرواء، والزينة الظاهرة، وليسوا ممن ينظر إليه لشهوة، قد ذكر الله عنهم ما ذكر، فيكف بمن ينظر إليه لشهوة ؟

/ وذلك أن الإنسان قد ينظر إليه لما فيه من الإيمان والتقوى،وهنا الاعتبار بقلبه وعمله لا بصورته،وقد ينظر إليه لما فيه من الصورة الدالة على المصور فهذا حسن . وقد ينظر إليه من جهة استحسان خلقه، كما ينظر إلى الخيل والبهائم، وكما ينظر إلى الأشجار والأنهار، والأزهار؛فهذا ـ أيضا ـ إذا كان على وجه استحسان الدنيا والرئاسة والمال فهو مذموم بقوله : ﴿ **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ [طه : ١٣١] .

وأما إن كان على وجه لا ينقص الدين، وإنما فيه راحة النفس فقط : كالنظر إلى الأزهار، فهذا من الباطل الذى لا يستعان به على الحق .

". (٢)

"ولدوا، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده".

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان في أيام الجاهلية من المؤذين للنبي صلى الله عليه وسلم:

دعاني داع غير نفسي وردني ... إلى الله من أطردته كل مطرد

يعني بالداعي النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٤٩

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٦٦

وتلك هي نكتة ذكر وصف ﴿الخالق﴾ دون غيره من الأسماء الحسنى.

والعدول إلى ﴿إن ربك﴾ دون "إن الله" للإشارة إلى أن الذي هو ربه ومدبر أمره لا يأمره إلا بما فيه صلاحه ولا يقدر إلا ما فيه خيره.

[٨٧] ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾

اعتراض بين جملة ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وجملة **﴿لا تمدن عينيك﴾** [الحجر:٨٨] الآية.

أتبع التسلية والوعد بالمنة ليذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالنعمة العظيمة فيطمئن بأنه كما أحسن إليه بالنعم الحاصلة فهو منجزه الوعود الصادقة.

وفي هذا الامتنان تعريض بالرد على المكذبين. وهو ناظر إلى قوله: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإنا له لحافظون﴾ [سورة الحجر:٩].

فالجملة عطف على الجمل السابقة عطف الغرض على الغرض والقصة على القصة. وهذا افتتاح غرض من التنويه بالقرآن والتحقير لعيش المشركين.

وإيتاء القرآن: أي إعطاؤه، وهو تنزيله عليه والوحي به إليه.

وأوثر فعل ﴿آتيناك﴾ دون "أوحينا" أو "أنزلنا" لأن الإعطاء أظهر في الإكرام والمنة.

وجعل ﴿القرآن﴾ معطوفا على ﴿سبعا من المثاني﴾ يشعر بأن السبع المثاني من القرآن. وذلك ما درج عليه جمهور المفسرين ودل عليه الحديث الآتي.

وقد وصف القرآن في سورة الزمر [٢٣] بالمثاني في قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾، فتعين أن السبع هي أشياء تجري تسميتها على التأنيث لأنها." [١]

"وأجري وصف ﴿العظيم﴾ على القرآن تنويها به.

وإن كان المراد بالسبع سورا كما هو مروي من قول ابن عباس وكثير من الصحابة والسلف واختلفوا في تعيينها بما لا ينثلج له الصدر، فيكون إبهامها مقصودا لصرف الناس للعناية بجميع ما نزل من سور القرآن كما أبهمت ليلة القدر.

[٨٨،٨٩] **﴿لا تمدن عينيك﴾** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين﴾

استئناف بياني لما يثيره المقصود من قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٣/١٣

[سورة الحجر:٨٥]، ومن تساؤل يجيش في النفس عن الإملاء للمكذبين في النعمة والترف مع ما رمقوا به من الغضب والوعيد فكانت جملة ﴿**لا تمدن عينيك**﴾ بيانا لما يختلج في نفس السامع من ذلك، ولكونها بهذه المثابة فصلت عن التي قبلها فصل البيان عن المبين.

ولولا أن الجملة التي وقعت قبلها كانت بمنزلة التمهيد لها والإجمال لمضمونها لعطفت هذه الجملة لأنها تكون حينئذ مجرد نهي لا اتصال له بما قبله، كما عطفت نظيرتها في قوله تعالى في سورة طه [١٢٩-١٣١] ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾. فلما فصلت الجملة هنا فهم أن الجملة التي قبلها مقصودة التمهيد بهذه الجملة ولو عطفت هذه لما فهم هذا المعنى البديع من النظم.

والمد: أصله الزيادة. وأطلق على بسط الجسم وتطويله. يقال: مد يده إلى كذا، ومد رجله في الأرض. ثم استعير للزيادة من شيء. ومنه مدد الجيش، ومد البحر، والمد في العمر. وتلك إطلاقات شائعة صارت حقيقة. واستعير المد هنا إلى التحديق بالنظر والطموح به تشبيها له بمد اليد للمتناول لأن المنهي عنه نظر الإعجاب مما هم فيه من حسن الحال في رفاهية عيشهم مع كفرهم، أي فإن ما أوتيته أعظم من ذلك فلو كانوا بمحل العناية لاتبعوا ما آتيناك ولكنهم رضوا بالمتاع العاجل فليسوا ممن يعجب حالهم.

والأزواج هنا يحتمل أن يكون على معاناة المشهور، أي الكفار ونسائهم. ووجه تخصيصهم بالذكر أن حالتهم أتم أحوال التمتع لاستكمالها جميع اللذات والأنس.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه

سميت سورة "طاها" باسم الحرفين المنطوق بهما في أولها.

ورسم الحرفان بصورتهما لا بما ينطق به الناطق من اسميهما تبعا لرسم المصحف كما تقدم في سورة الأعراف. وكذلك وردت تسميتها في كتب السنة في حديث إسلام عمر بن الخطاب كما سيأتي قريبا.

وفي تفسير القرطبي عن مسند الدرامي عن هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن الله تبارك وتعالى قرأ "طاها" باسمين قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا: طوبى لأمة ينزل هذا عليها" الحديث. قال ابن فورك: معناه أن الله أظهر كلامه وأسمعه من أراد أن يسمعه

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٥/١٣

من الملائكة، فتكون هذه التسمية مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر في الإتقان عن السخاوي أنها تسمى أيضا "سورة الكليم"، وفيه عن الهذلي في كامله أنها تسمى "سورة موسى".

وهي مكية كلها على قول الجمهور. واقتصر عليه ابن عطية وكثير من المفسرين. وفي الإتقان أنه استثني منها آية ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ [طه: من الآية١٣٠] واستظهر في الإتقان أن يستثنى منها قوله تعالى ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه: من الآية١٣١]. لما أخرج أبو يعلى والزار عن أبي رافع قال: "أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقا إلى هلال رجب فقال: لا، إلا برهن، فأتيت النبي فأخبرته فقال: أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض. فلم أخرج من عنده حتى نزلت ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه:١٣١] الآية اهـ.." [1]

"وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم ﴿ترضى﴾ بضم التاء أي يرضيك ربك، وهو محتمل للمعنيين.

[١٣١] ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾

أعقب أمره بالصبر على ما يقولونه بنهيه عن الإعجاب بما ينعم به من تنعم من المشركين بأموال وبنين في حين كفرهم بالله بأن ذلك لحكم يعلمها الله تعالى، منها إقامة الحجة عليهم، كما قال تعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ [المؤمنون:٥٥، ٥٦]

وذكر الأزواج هنا لدلالته على العائلات والبيوت، أي إلى ما متعناهم وأزواجهم به من المتع؛ فكل زوج ممتع بمتعة في زوجه مما يحسن في نظر كل من محاسن قرينه وما يقارن ذلك من محاسن مشتركة بين الزوجين كالبنين والرياش والمنازل والخدم.

ومد العينين: مستعمل في إطالة النظر للتعجيب لا للإعجاب؛ شبه ذلك بمد اليد لتناول شيء مشتهى. وقد تقدم نظيره في آخر سورة الحجر.

والزهرة بفتح الزاي وسكون الهاء: واحدة الزهر، وهو نور الشجر والنبات. وتستعار للزينة المعجبة المبهتة، لأن منظر الزهرة يزين النبات ويعجب الناظر، فزهرة الحياة: زينة الحياة، أي زينة أمور الحياة من اللباس والأنعام والجنان والنساء والبنين، كقوله تعالى: ﴿فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ [القصص: ٦٠].

---

(١) التحرير والتنوير، ٩١/١٦

وانتصب ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ على الحال من اسم الموصول في قوله: ﴿ما متعنا به أزواجا منهم﴾ .
وقرأ الجمهور ﴿زهرة﴾ بسكون الهاء. وقرأه يعقوب بفتح الهاء وهي لغة.
﴿لنفتنهم﴾ متعلق بـ ﴿متعنا﴾ . و "في" للظرفية المجازية، أي ليحصل فتنتهم في خلاله، ففي كل صنف من ذلك المتاع فتنة مناسبة له. واللام للعلة المجازية التي هي عاقبة الشيء، مثل قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ [القصص: ٦٨]
وإنما متعهم الله بزهرة الدنيا لأسباب كثيرة متسلسلة عن نظم الاجتماع فكانت لهم فتنة في دينهم، فجعل الحاصل بمنزلة الباعث.." [١]

"والفتنة: اضطراب النفس وتبلبل البال من خوف أو توقع أو التواء الأمور، وكانوا لا يخلون من ذلك، فلشركهم يقذف الله في قلوبهم الغم والتوقع، وفتنتهم في الآخرة ظاهرة. فالظرفية هنا كالتي في قول سبرة ابن عمرو الفقعسي:

نحابي بها أكفاءنا ونهينها

...

ونشرب في أثمانها ونقامر

وقوله تعالى ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ في سورة النساء [٥].
وجملة ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ تذييل، لأن قوله: **﴿ولا تمدن عينيك﴾** إلى آخره يفيد أن ما يبدو للناظر من حسن شارتهم مشوب ومبطن بفتنة في النفس وشقاء في العيش وعقاب عليه في الآخرة، فذيل بأن الرزق الميسر من الله للمؤمنين خير من ذلك وأبقى في الدنيا ومنفعته باقية في الآخرة لما يقارنه في الدنيا من الشكر.
فإضافة ﴿ورزق ربك﴾ إضافة تشريف، وإلا فإن الرزق كله من الله، ولكن رزق الكافرين لما خالطه وحف به حال أصحابه من غضب الله عليهم، ولما فيه من التبعة على أصحابه في الدنيا والآخرة لكفر انهم النعمة جعل كالمنكور انتسابه إلى الله، وجعل رزق الله هو السالم من ملابسة الكفران ومن تبعات ذلك.
و ﴿خير﴾ تفضيل، والخيرية حقيقة اعتبارية تختلف باختلاف نواحيها. فمنها: خير لصاحبه في العاجل شر عليه في الآجل، ومنها خير مشوب بشرور وفتن، وخير صاف من ذلك، ومنها ملائم ملاءمة قوية، وخير ملائم ملاءمة ضعيفة، فالتفضيل باعتبار توفر السلامة من العواقب السيئة والفتن كالمقرون بالقناعة، فتفضيل

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠٦/١٦

الخيرية جاء مجملا يظهر بالتدبر.

﴿وأبقى﴾ تفضيل على ما متع به الكافرون لأن في رزق الكافرين بقاء، وهو أيضا يظهر بقاؤه بالتدبر فيما يحف به وعواقبه.

[١٣٢] ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾

ذكر الأهل هنا مقابل لذكر الأزواج في قوله ﴿إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ فإن من أهل الرجل أزواجه، أي متعتك ومتعة أهلك الصلاة فلا تلفتوا إلى زخارف الدنيا. وأهل الرجل يكونون أمثل من ينتمون إليه.." [١]

"مجاهد في قوله : ﴿سبعا من المثاني﴾ قال : هي السبع الطول الأول ﴿والقرآن العظيم﴾ سائره.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : ﴿المثاني﴾ ما ثنى من القرآن ، ألم تسمع لقول الله (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني) (الواقعة ١٦).

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال : ﴿المثاني﴾ القرآن يذكر الله القصة الواحدة مرارا.

آية ٨٨ - ٩٦.

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : **﴿لا تمدن عينيك﴾** الآية ، قال : نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه.

وأخرج أبو عبيد ، وابن المنذر عن يحيى بن ابي كثير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بإبل حي يقال لهم بنو الملوح أو بنو المصطلق قد عنست في أبوالها من السمن ، فتقنع بثوبه ومر ولم ينظر إليها لقوله : **﴿لا تمدن عينيك﴾** الآية." [٢]

"وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن زاهويه والبزار وأبو يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه والخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في المعرفة عن أبي رافع قال : أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من اليهود أن بعنا أو أسلفنا دقيقا إلى هلال رجب ، فقال : لا إلا برهن ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه اذهب بدرعي الحديد فلما أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ كأنه يعزيه عن الدنيا.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠٧/١٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٥٠/٨

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان في قوله : ﴿ولا تمدن عينيك﴾ الآية ، قال : تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن ما أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا ، قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بركات الأرض.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ قال : زينة." [1]

"لا نكلفك بالطلب.

وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن عروة أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ ﴿ولا تمدن عينيك﴾ إلى قوله : ﴿نحن نرزقك﴾ ثم يقول : الصلاة ، الصلاة رحمكم الله.

وأخرج ابن مردويه ، وابن عساكر ، وابن النجار عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزلت ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيء إلى باب علي صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول : الصلاة رحمكم الله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (الأحزاب آية ٣٣).

وأخرج أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن ثابت قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة : صلوا ، صلوا ، قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر." [2]

"فزعوا إلى الصلاة.

وأخرج عبد الرزاق في المصنف ، وعبد بن حميد عن معمر عن رجل من قريش قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ الآية.

وأخرج أبو عبيد وسعيد بن منصور ، وابن المنذر والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح عن عبد الله بن سلام قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة وتلا ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ الآية.

وأخرج مالك والبيهقي عن أسلم قال : كان عمر بن الخطاب يصلي من الليل ما

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٤٩/١٠

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٥١/١٠

شاء الله أن يصلي حتى إذا كان آخر الليل أيقظ أهله للصلاة ويقول لهم : الصلاة ، الصلاة ، ويتلو هذه الآية : ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة عن هشام بن عروة قال : قال لنا أبي : إذا رأى أحدكم شيئا من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله وليأمر أهله بالصلاة وليصطبر عليها فإن الله قال لنبيه : ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ وقرأ إلى آخر الآية.

". [1]

" صفحة رقم ١٧٠

قوله عز وجل :) فاصفح الصفح الجميل (فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه الإعراض من غير جزع .

الثاني : أنه صفح المنكر عليهم بكفرهم ، المقيم على وعظهم ، قاله ابن بحر .

الثالث : أنه العفو عنهم بغير توبيخ ولا تعنيف .

الرابع : أنه الرضا بغير عتاب ، قاله علي بن أبي طالب .

وفيه قولان :

أحدهما : أنه أمر بالصفح عنهم في حق الله تعالى ، ثم نسخ بالسيف ، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك ، (لقد أتيتكم بالذبح ، وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة) قاله عكرمة ومجاهد .

الثاني : أنه أمره بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم ، قاله الحسن .

(الحجر : (٨٧ - ٨٨) ولقد آتيناك سبعا . . . . .

" ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين " (قوله عز وجل :) ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن السبع المثاني هي الفاتحة ، سميت بذلك لأنها تثنى كلما قرىء القرآن وصلي ، قاله الربيع بن أنس وأبو العالية والحسن . وقيل : لأنها يثني فيها الرحمن الرحيم ، ومنه قول الشاعر :

نشدتكم بمنزل القرآن

أم الكتاب السبع من مثاني

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٥٢/١٠

ثنين من آي من القرآن

والسبع سبع الطول الدواني

الثاني : أنها السبع الطول : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس ، قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد .." [1]

" صفحة رقم ١٧١

قال ابن عباس : سميت المثاني لما تردد فيها من الأخبار والأمثال والعبر وقيل : لأنها قد تجاوزت المائة الأولى إلى المائة الثانية . قال جرير :

جزى الله الفرزدق حين يمسي

مضيعا للمفصل والمثاني

الثالث : أن المثاني القرآن كله ، قاله الضحاك ، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

فقد كان نورا ساطعا يهتدى به

يخص بتنزيل المثاني المعظم

الرابع : أن المثاني معاني القرآن السبعة أمر ونهي وتبشير وإنذار وضرب أمثال وتعديد نعم وأنباء قرون ، قاله زياد بن أبي مريم .

الخامس : أنه سبع كرامات أكرمه الله بها ، أولها الهدى ثم النبوة ، ثم الرحمة ثم الشفقة ثم المودة ثم الألفة ثم السكينة وضم إليها القرآن العظيم ، قاله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما .

قوله عز وجل :) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم (يعني ما متعناهم به من الأموال .

وفي قوله :) أزواجا منهم (ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم الأشباه ، قاله مجاهد .

الثاني : أنهم الأصناف قاله أبو بكر بن زياد .

الثالث : أنهم الأغنياء ، قاله ابن أبي نجيح .

) ولا تحزن عليهم (فيه وجهان :

أحدهما : لا تحزن عليهم بما أنعمت عليهم في دنياهم .

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، ٣/١٧٠

الثاني : لا تحزن بما يصيرون إليه من كفرهم .

) واخفض جناحك للمؤمنين (فيه وجهان :

أحدهما : اخضع لهم ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : معناه ألن جانبك لهم ، قال الشاعر :

وحسبك فتية لزعيم قوم يمد على أخي سقم جناحا." [١]

" صفحة رقم ١٧٢

وروى أبو رافع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نزل به ضيف فلم يلق عنده أمرا يصلحه ، فأرسل إلى رجل من اليهود يستسلف منه دقيقا إلى هلال رجب ، فقال : لا إلا برهن ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) (أما والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض ، ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه) فنزلت عليه) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم (. (الحجر : (٨٩ - ٩٣) وقل إني أنا . . . . .

" وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون " (قوله عز وجل :) كما أنزلنا على المقتسمين (فيهم سبعة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى اقتسموا القرآن فجعلوه أعضاء أي أجزاء فآمنوا ببعض منها وكفروا ببعض ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنهم أهل الكتاب اقتسموا القرآن استهزاء به ، فقال بعضهم : هذه السورة لي ، وهذه السورة لك ، فسموا مقتسمين ، قاله عكرمة .

الثالث : أنهم أهل الكتاب اقتسموا كتبهم ، فآمن بعضهم ببعضها ، وآمن آخرون منهم بما كفر به غيرهم وكفروا بما آمن به غيرهم ، فسماهم الله تعالى مقتسمين ، قاله مجاهد .

الرابع : أنهم قوم صالح تقاسموا على قتله ، فسموا مقتسمين ، كما قال تعالى) قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله (" [النمل : ٤٩] قاله ابن زيد .

الخامس : أنهم قوم من كفار قريش اقتسموا طرق مكة ليتلقوا الواردين إليها من القبائل فينفروهم عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون ، حتى لا يؤمنوا به ، فأنزل الله تعالى عليهم عذابا فأهلكهم ، قاله الفراء .

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، ١٧١/٣

السادس : أنهم قوم من كفار قريش قسموا كتاب الله ، فجعلوا بعضه شعرا وبعضه كهانة وبعضه أساطير الأولين ، قاله قتادة .." [1]

" صفحة رقم ٤٣٣

) لعلك ترضى (أي تعطى ، وقرأ عاصم والكسائي) ترضى (بضم التاء يعني لعل الله يرضيك بكرامته ، وقيل بالشفاعة .

(طه : (١٣١ - ١٣٢) **ولا تمدن عينيك** . . . . . .

" **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى " (قوله عز وجل :) **ولا تمدن عينيك** . . . (فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد بمد العين النظر .

الثاني : أراد به الأسف .

) أزواجا (أي أشكالا ، مأخوذ من المزاوجة .

) زهرة الحياة الدنيا (قال قتادة : زينة الحياة الدنيا .

) لنفتنهم فيه (يعني فيما متعناهم به من هذه الزهرة ، وفيه وجهان :

أحدهما : لنفتنهم أي لنعذبهم به ، قاله ابن بحر .

الثاني : لنميلهم عن مصالحهم وهو محتمل .

) ورزق ربك خير وأبقى (فيه وجهان :

أحدهما : أنه القناعة بما يملكه والزهد فيما لا يملكه .

الثاني : وثواب ربك في الآخرة خير وأبقى مما متعنا به هؤلاء في الدنيا .

ويحتمل ثالثا : أن يكون الحلال المبقي خيرا من الكثير المطغي .

وسبب نزولها ما رواه أبو رافع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) استلف من يهودي طعاما فأبى أن يسلفه إلا برهن ، فحزن وقال : (إني لأمين في السماء وأمين في الأرض ، أحمل درعي إليه) فنزلت هذه الآية .." [2]

---

(١) النكت والعيون - موافق للمطبوع، ١٧٢/٣

(٢) النكت والعيون - موافق للمطبوع، ٤٣٣/٣

"قال سلمان ، وخباب بن الأرت : فينا نزلت هذه الآية.

" جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعيننه بن حصن الفراري ، وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال ، وصهيبن وعمار ، وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين ، فلما رأوهم حوله حقروهم ، فأتوه فقالوا : يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ، وكان عليهم جباب صوف ولم يكن عليهم غيرها ، لجالسناك وأخذنا عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بطارد المؤمنين ، قالوا : فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جئنا فأبعدهم عنا ، فإذا نحن فرعنا فاقعد معهم إن شئت ، فقال " نعم " طمعا في إيمانهم.

قال : ثم قالوا : اكتب لنا عليك بذلك كتابا.

قال : فدعا بالصحيفة ، ودعا عليا ليكتب ، قال : ونحن قعود في ناحية ، إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ إلى قوله : " بالشاكرين " فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ، ثم دعانا فأتيناه وهو يقول " سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة " وكنا نقعد معه حتى تمس ركبتنا ركبته ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الكهف : ٢٨] فترك القيام عنا إلى أ ، نقول عنه وقال : " الحمد لله الذي أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات ".

فصل في بيان شبة الطاعنين في العصمة احتج الطاعنون في عصمة الأنبياء بهذه الآية من وجوه : أحدها : أنه – عليه الصلاة والسلام – طردهم ، والله – تعالى – نهاه عن ذلك ، فكان ذنبا.

وثانيها : أنه – تعالى – قال ﴿فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ وقد ثبت أنه طردهم.

١٦٠

وثالثها : أنه – تعالى – حكى عن نوح أنه قال : ﴿ومآ أنا بطارد المؤمنين﴾ [الشعراء : ١١٤] ثم إنه تعالى – أمر محمدا – عليه الصلاة والسلام – بمتابعة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في جميع الأعمال الحسنة بقوله : ﴿فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام : ٩٠] فوجب على محمد – عليه الصلاة والسلام – ألا يطردهم [فلما طردهم] كان ذلك ذنبا.

ورابعها : أنه قال : ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف : ٢٨] وقال : **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه : ١٣١].

فنهاه عن الالتفات إلى زينة الحياة الدنيا ، فكان ذنبا.
وخامسها : أن أولئك الفقراء كانوا كلما دخلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هه الواقعة يقول : " مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم " أو لفظا هذا معناه ، وذلك أيضا يدل على الذنب.
فالجواب عن الأول : أنه – عليه الصلاة والسلام – ما طردهم لأجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم ، وإنما عين لجلوسهم وقتا معينا سوى الوقت الذي كان يحضر فيه أكابر قريش ، وكان غرضه التلطف بهم في إدخالهم في الإسلام ، ولعله – عليه الصلاة والسلام – كان يقول : هؤلاء الفقراء من المسلمين لا يقوتهم [بسبب هذه] المعاملة شيء من أمرهم في الدنيا وفي الدين ، وهؤلاء الكفار فإنه يفوتهم الدين والإسلام ، فكان ترجيح هذا الجانب أولى ، فأقصى ما يقال : إن هذا الاجتهاد وقع خطأ ، إلا أن الخطأ في الاجتهاد مغفور.
وأما قولهم : إنه – عليه الصلاة والسلام – طردهم ، فيلزم كونه من الضالمين ؟ فالجواب : أن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه ، والمعنى أن أولءك الفقراء كانوا يستحقون التعظيم من الرسول – عليه الصلاة والسلام – فلما طردهم عن ذلك المجلس ، فكان ذلك ظلما ، إلا أنه من باب ترك الأولى أو الأفضل ، لا من باب ترك الواجبات ، وكذلك الجواب عن سائر الوجوه ، فإنا نحمل كل هذه الوجوه على ترك الأفضل والأكمل والأولن والله أعلم.
قوله : " بالغداة " : قرأ الجمهور " بالغداة " هنا وفي " الكهف " وابن عامر " بالغدوة " بضم الغين وسكون الدال ، وفتح الواو في الموضعين ، وهي قراءة أبي عبد
١٦١
." (١)

"وللخصم أن يجيب بأنه يجوز أن يذكر الكل ، ثم يعطف عليه ذكر بعض أقسامه لكونه أشرف الأقسام ، وأما إذا ذكر شيء آخر كان المذكور أولا مغايرا للمذكور ثانيا ، وها هنا ذكر سبع المثاني.
ثم عطف عليه القرآن فوجب التغاير.
ويجاب عليه : بأن بعض الشيء مغاير لمجموعه ، فلم لا يكفكي هذا القدر من المغايرة في حسن العطف ؟ .
واعلم أنه لما كان المراد بالسبع المثاني هو الفاتحة ؛ دل على أنها أفضل سور القرآن ، لأن إفرادها بالذكر

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٠٥٨

مع كونها جزءا من القرآن ؛ يدل على مزيد اختصاصها بالفضلية ، وأيضا : لما أنزلها مرتين دل ذلك على أفضليتها ، وشرفها ، ولما واظب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قرءاتها في جميع الصلوات طول عمره ، وما أقام [سورة أ خرى] مقامها في شيء من الصلوات ، دل على على وجوب قراءتها ، وألا يقوم شيء من القرآن مقامها.

القول الثاني : السبع المثاني : هي السبع الطوال ، قاله ابن عمر ، وسعيد بن جبير في بعض الروايات عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وإنما سميت السبع الطوال مثاني ؛ لأن الفرائض ، والحدود ، والأمثال والخبر ، والعبر ثنيت فيها.

وأنكر الربيع هذا القول ، وقال : الآية مكية ، وأكثر هذه السورة مدنية ، وما نزل منها من شيء في مكة ، فكيف تحمل هذه الآية عليها ؟ .

وأجاب قوم عن هذا بأنه ـ تعالى ـ جل ذكره ـ أنزل القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم أنزل على نبيه منه نجوما ، فلما أنزله إلى سماء الدنيا ، وحكم بإنزاله عليه فهو جملة من آتاه ، وإن لم ينزل عليه بعد.

وفي هذا الجواب نظر ، فإن قوله تعالى : ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾ ذكره في [معرض] الامتنان ، وهذا الكلام إنما يصدق ، إذا وصل ذلك إلى محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فأما ما لم يصله بعد ، فلا يصدق ذلك عليه.

وأما قوله : إنه لما حكم بإنزاله على محمد ، كان ذلك جاريا مجرى ما نزل عليه ، فضعيف ؛ لأن إقامة مالم ينزل عليه مقام النازل عليه مخالف للظاهر.

القول الثالث : أن السبع المثاني : هون القرآن ، وهو منقول عن ابن عباس ـ رضي الله

٤٨٧

عنه ـ في بعض الروايات ، وهوق ول طاوس ـ رضي الكله عنه ـ لقوله تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر﴾ [الزمر : ٢٣] فوصف كل القرآن بكونه مثاني ؛ لأنه كرر فيه دلائل التوحيد ، والنبوة ، والتكاليف.

قالوا : وهو ضعيف ؛ لأنه لو كان المراد بالسبع المثاني القرآن لكان قوله : ﴿والقرآن العظيم﴾ ، عطفا على نفسه ، وذلك غير جائز.

وأجيب عنه : بأنه إنما حسن العطف فيه لاختلاف اللفظين ؛ كقول الشاعر : ٣٢٩١. إلى الملك القرم وابن الهمام

وليث ال كتيبة في المزدحم

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٨٥

واعلم أن هذا ، وإن كان جائزا إلا أنهم أجمعوا على أن الأصل خلافه.

القول الرابع : أنه يجوز أن يكون المراد بالسبع الفاتحة ، وبالمثاني كل القرآن ، ويكون التقدير : ولقد آتيناك سبع آيات هي الفاتحة ، وفي من جملة المثاني الذي هو القرآن ، وهذا عين الأول.

و " من " في قوله : " من المثاني ".

قال الزجاج ـ رحمه الله تعالى ـ : فيها وجهان : أحدهما : أن تكون للتبعيض من القرآن ، أي : ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله ، وآتيناك القرآن العظيم.

ويجوز أن تكون " من " صفة ، والمعنى : أتيناك سبعا هي المثاني ، كقوله تعالى : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج : ٣٠] ، أي اجتنبوا الأوثان ؛ لان بعضها رجس.

قوله : " والقرآن " فيه أوجه : أحدها : أنه من عطف بعض الصفات على بعض ، أي : الج ا مع بين هذه النعتين.

الثاني : أنه من عطف العام على الخاص ، إذ المراد بالسبع : إما الفاتحة ، أو الطوال ، فكأنه ذكر مرتين بجهة الخصوص ، ثم باندراجه في العموم.

الثالث : أن الواو مقحمة ، وقرىء " والقرآن " بالجر عطفا على : " المثاني ".

قوله تعالى : **﴿لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا﴾ الآية لما عرف رسوله عظيم نعمه عليه فما يتعلق بالدين ، وهو أنه تعالى آتاه سبعا من المثاني ، والقرآن العظيم نهاه عن الرغبة في الدنيا فقال : **﴿لا تمدن عينيك﴾** ، أي لا تشتغل سرك ، وخاطرك بالالتفات إلى الدينا ، وقد أوتيت القرآن العظيم.

قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ " من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل

٤٨٨

". (١)

"مما أوتي ، فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ".

وتأول سفيان بن عيينة هذه الآية بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " أي لم يستغن.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣١٦٦

وقال ابن [عباس] . رضي الله عنهما . : " **لا تمدن عينيك** " ، أي لا تتمن ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا.

وقرر الواحدي هذا المعنى فقال : " إنما يكون مادا عينيه إلى الشيء ، إذا أدام النظر نحوه ، وإدامة النظر إلى الشيء تدل على استحسانه ، وتمنيه ، وكان النبي صلى لله عليه وسلم لا ينظر إلى ما يستحسن من متاع الدنيا ".

وروي أنه صلى الله عليه وسلم " نظر إلى نعم بني المصطلق ، وقد [عبست] في أبوالها ، وأبعارها ؛ فتنع في ثوبه ؛ وقرأ هذه الآية ".

قوله : " عبست في أبوالها وأبعارها " هون أن تجف أبعارها ، وأبوالها على أفخاذها ، إذا تركت من العمل أيام الربيع ؛ فيكثر شحومها ، ولحومها ، وهي أحسن ما تكون.

قوله : ﴿أزواجا منهم﴾.

قال ابن قتيبة : أي أصنافا من الكفار ، والزوج في اللغة : الصنف ﴿ولا تحزن عليهم﴾ ؛ لأنهم لم يؤمنوا لم يؤمنوا ، فيتقوى بإسلامهم ، ثم قال عز وجل ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾.

الخفض : معناه في اللغة : نقيض الرفع ، ومنه قوله تعالى في وصف القيامة ﴿خافضة رافعة﴾ [الواقعة : ٣] ، أي : أنها تخفض أهل المعاصي ، وترفع أهل الطاعة ، وجناح الإنسان : يده.

قال الليث . رضي الله عنه . يد الإنسان : جناحه ، قال تعالى : ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ [القصص : ٣٢] ، وخفض الجناح كناية عن اللين ، والرفق ، والتواضع ، والمقصود : أنه نهاه عن الالتفات إلى الأغنياء من الكفار ، وأمره بالتواضع لفقراء المؤمنين [ونظيره] ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة : ٥٤] ، وقوله : ﴿أشدآء على الكفار رحمآء بينهم﴾ [الفتح : ٢٩].

قوله : ﴿وقل إنى أنا النذير المبين﴾ لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا ، وخفض الجناح للمؤمنين ، أمره أن يقول للقوم : ﴿أنا النذير المبين﴾ ، وهذا يدخل تحته كونه مبلغا لجميع التكاليف ، وكونه [شارحا لمراتب] الثواب والعقاب ، والجنة والنار ،

٤٨٩

ومعنى " المبين " الآتي بجميع البينات الوافية.

قوله : ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ فيه أقوال : أحدها : أن الكاف [تتعلق] بـ " آتيناك " ، وإليه ذهب الزمشخري فإنه قال : " أنزلنا عليك " ، مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب ، وهم المقتسمون : ﴿كمآ

أنزلنا على المقتسمين﴾.

الثاني : أنه نعت لمصدر محذوف منصوب بـ " آتيناك " تقديره : آتيناك إتيانا كما أنزلنا.

الثالث : أنه منصوب نعت لمصدر محذوف ، ولكنه ملاق لـ " آتيناك " ومن حيث المعنى لا من حيث اللفظ ، تقديره : أنزلنا إليك إنزالا كما أنزلنا ؛ لأن " آتيناك " بمعنى أنزلنا إليك.

الرابع : أنه نعت لمصدر محذوف ، والعامل فيه مقدر أيضا ، وتقديره : ومتعناهم تمتيعا كما أنزلنا ، والمعنى : نعمنا بعضهم كما عذبنا بعضهم.

الخامس : أنه صفة لمصدر دل عليه التقدير ، والتقدير : أنا النذير إنذارا كما أنزلنا ، أي : مثل ما أنزلنا.

السادس : أنه نعت لمفعول محذوف ، الناصب له : " النذير " ، تقديره : النذير عذابا ﴿كمآ أنزلنا على المقتسمين﴾ وهم قوم صالح ؛ لأنهم قالوا : " لنبيتنه " وأقسموا على ذلك ، أو يراد بهم قريش حين قسموا القرآن إلى سحر ، وشعر ، وافتراء.

وقد رد بعضهم هذا : بأنه يلزم منه إعمال الوصف موصوفا ، وهو غير جائز عند البصريين جائز عند الكوفيين ، فلو عمل ثم وصف جاز عند الجمعي.

السابع : أنه مفعول به ناصبه : " النذير " أيضا.

قال الزمخشري : " والثاني : أن يتعلق بقوله : ﴿وقل إنى أنا النذير المبين﴾ ، أي : وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين ، يعني اليهود ، وما جرى على بني قريظة ، و النضير ".

وهذا مدرود بما تقدم من إعمال الوصف موصوفا.

قال ابن الخطيب : وهذا الوجه لا يتم إلا بأحد أمرين : إما التزام إضمار ، أو التزام حذف.

أما الإضمار فهو أن يكون التقدير : إني أنا النذير [المبين] عذابا ، كما أنزلنا على المقتسمين ، وعلى هذا الوجه : المفعول محذوف ، وهو المشبه ، ودل عليه المشبه به ، كما

٤٩٠

." (١)

"وروي أن قريشا قالت : اجعل آية رحمة آية عذاب ، وآية عذاب بية رحمة ؛ حتى نؤمن بك ، فنزلت الآية.

قال القفال : ويمكن تأويل الآية من غير تقييد بسبب يضاف إلى نزولها فيه ؛ لأن من المعلوم أن المشركين

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٦٧3

كانوا يسعون في إبطال أمر الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – بأقصى ما يقدرون عليه ، فتارة كانوا يقولون : إن عبدت آلهتنا عبدنا إلهك ، فأنزل الله تعالى : ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ [الكافرون : ١ ، ٢].

﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم : ٩].

وعرضوا عليه الأموال الكثيرة ، والنسوان الجميلة ؛ ليترك غدعاء النبوة ، فأنزل الله – تعالى – : ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به﴾ [طه : ١٣١].

ودعوه إلى طرد المؤمنين عن نفسه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ [الأنعام : ٥٢].

ودعوه إلى طرد الذين يدعون ربهم ، فيجوز أن تكون هذه الآيات نزلت في هذا الباب ، وذلك أنهم قصدوا أن يفتنوه عن دينه ، وأن يزيلوه عن منهجه ، فبين الله – تعالى – أنه يثبته على الدين القويم ، والمنهج المستقيم ، وعلى هذا الطريق ، فلا حاجة في تفسير هذه الآيات إلى شيء من تلك الروايات.

قوله تعالى : ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ : " إن " هذه فيها لمذهبان المشهوران : مذهب البصريين : أنها مخففة ، واللام فارقة بينها وبين طإن " النافية ، ولهذا دخلت على فعل ناسخ ، ومذهب الكوفيين أنها بمعنى " ما " النافية ، واللام بمعنى " إلا " وضمن " يفتنونك " معنى " يصرفونك " فلهذا عدي بـ " عن " تقديره : ليصرفونك بفتنتهم ، و " لتفتري " متعلق بالفتنة.

قوله : ﴿وإذا لاتخذوك﴾ " إذن " حرف جواب وجزاء ؛ ولهذا تقع أداة الشرط موقعها , و " لاتخذوك " جواب قسم محذوف ، تقديره : إذن ، والله لاتخذوك ، وهو مستقبل في المعنى ؛ لأن " إذن " تقتضي الاستقبال ؛ إذ معناها المجازاة ، وهو كقوله : ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا﴾ [الروم : ٥١] أي : ليظلن ، وقول الزمخشري : " أي : ولو اتبعت مرادهم ، لاتخذوك " تفسير معنى ، لا إعراب ، لا يريد بذلك أن " لاتخذوك " جواب لـ " لو " محذوفة ؛ إذ لا حاجة إليه.

فصل في معنى الآية قال الزجاج : معنى الكلام : كادوا يفتنونك ، ودخلت " إن " و " اللام " للتأكيد ، و " إن " مخففة من الثقيلة ، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية.

والمعنى : الشأن أنهم قاربوا أن يفتنوك ، أي : يخدعوك فاتنين ، وأصل الفتنة : الاختبار.

٣٤٨

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٣٥٥

"" وأطراف النهار "كالتوكيد للصلاة بين الوقتين في طرفي النهار ، وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب ، كما اختصت الوسطى بالتوكيد.

الثاني : أن المراد الصلوات الخمس والنوافل ، لأن الزمان إما أن يكون قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها ، فالليل والنهار داخلين في هاتين العبادتين وأوقات الصلاة الواجبة دخلت فيها ، ففي قوله : ﴿ومن آنآء الليل فسبح وأطراف النهار﴾ للنوافل.

الثالث : أن المراد أربع صلوات ، فقوله : ﴿قبل طلوع الشمس﴾ للفجر " وقبل غروبها " للعصر ، ﴿ومن آنآء الليل﴾ المغرب والعتمة ، بقي الظهر خارجا.

وعلى هذا التأويل يمكن أن يستدل بهذه الآية على أن المراد بالصلاة الوسطى صلاة الظهر ، لأن قوله : ﴿حافظوا على الصلوات﴾ [البقرة : ٢٣٨] المراد به هذه الأربع ، ثم أفرد الوسطى بالذكر ، والتأسيس أولى من التأكيد ، والأول أولى.

هذا إذا حملنا التسبيح على الصلاة.

وقال أبو مسلم : لا يبعد حمله على التنزيه والإجلال ، والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات.

فإن قيل : النهار له طرفان ، فكيف قال : " وأطراف النهار " ؟ بل الأولى أن يقول كما قال : ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ [هود : ١١٤].

فالجواب : من الناس من قال أقل الجمع اثنان فسقط السؤال ومنهم من قال : إنما جمع لأنه يكرر في كل نهار ويعود.

وقوله : ﴿من آنآء الليل﴾ متعلق بـ " سبح " الثانية.

قوله : " وأطراف " العامة على نصبه ، وفيه وجهان : أحدهما : أنه عطف على محل ﴿ومن آنآء الليل﴾.

والثاني : انه عطف على " قبل ".

وقرأ السحن وعيسى بن عمر " وأطراف " بالجر عطفا على " آناء الليل " وقوله هنا " أطراف " وفي هود " طرفي النهار " ، فقيل : هـو من وضع الجمع موضع التثنية كقوله :

٤٢٤

٣٧٠١ - ظهراهما مثل ظهور الترسين

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٤١٧

وقيل : هو على حقيقته ، والمراد بالأطراف الساعات.

قوله : " ترضى " قرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم " ترضى " مبنيا للمفعول.
والباقون مبنيا للفاعل ، وعليه ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ [الضحى : ٥] والمعنى : ترضى ما تنال من الشفاعة ، أو ترضى بما تنال من الثواب على ضم التاء كقوله : ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ [مريم : ٥٥].
جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٤١٧
قوله : ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ قيل : المراد منه نظر العين ، وهؤلاء قالوا : مد النظر تطويله ، وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور وإعجابا به ، كما فعل نظارة قارون حيث قالوا : ﴿يا ليت لنا مثل مآ أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ [القصص : ٧٩] حتى واجههم أولو العلم والإيمان فقالوا : ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا﴾ [القصص : ٨٠] وفيه أن النظر غير الممدود يعفى عنه كنظر الإنسان إلى الشيء مرة ثم
٤٢٥
يغض.
ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطبائع قيل : ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي : لا تفعل ما أنت معتاد له.
ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة ، ولباس الفسقة ، ومراكبهم وغير ذلك ، لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة ، فالناظر إليها محصل لغرضهم ، وكالمغرى لهم على اتخاذها.
قال أبو مسلم : ليس المنهي عنه هنا هو النظر بل هو الأسف ، أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا.
قال أبو رافع : نزل ضيف بالرسول - عليه السلام - فبعثني إلى يهودي ، فقال قل له : إن رسول الله يقول : يعني كذا وكذا من الدقيق ، وأسلفني إلى هلال رجب ، فأتيته ، فقلت له ذلك ، فقال : والله لا ابيعه ولا أسلفه إلا بهن ، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بقوله فقال : " والله لئن باعني و أسلفني لقضيته ، وإني لأمشين في السماء وآمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه " فنزلت هذه الآية.
وقال عليه السلام : " إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ".
وقال أبو الدرداء : الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له.
وعن الحسن : لولا حمق الناس لخربت الدنيا.
وعن عيسى ابن مريم - عليه السلام - لا تتخذوا دارا فتتخذكم لها عبيدا.

". (١)

"" صفحة رقم ٢٦٧ "
منافقون ، فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه . أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم ، لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه ، أو مكرهين من جهتهم . وروي : أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : هذا مالي أعينك به فاتركني) إنكم (تعليل لرد إنفاقهم . والمراد بالفسق : التمرد والعتق .
) وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلواة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون (
التوبة : (٥٤) وما منعهم أن . . . . . .
) أنهم (فاعل منع . وهم ، وأن تقبل مفعولاه . وقرىء : (أن تقبل) ، بالتاء والياء على البناء للمفعول . ونفقاتهم ، ونفقتهم ، على الجمع والتوحيد . وقرأ السلمي : (أن يقبل منهم نفقاتهم) على أن الفعل لله عز وجل) كسالى (بالضم والفتح ، جمع كسلان ، نحو سكارى وغيارى ، في جمع سكران وغيران ، وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ، ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى :) وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ((البقرة : ٤٥) وقرأت في بعض الأخبار
(٤٦٧) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كره للمؤمن أن يقول : كسلت ، كأنه ذهب إلى هذه الآية ، فإن الكسل من صفات المنافقين ، فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه . فإن قلت : الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله تعالى طائعين في قوله) طوعا (ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون . قلت : المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو من رؤسائهم ، وما طوعهم ذاك إلا عن كراهية واضطرار ، لا عن رغبة واختيار .
) فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيواة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (
التوبة : (٥٥) فلا تعجبك أموالهم . . . . .
الإعجاب بالشيء : أن يسر به سرور راض به متعجب من حسنه . والمعنى : فلا تستحسن ولا تفتنن بما أوتوا من زينة الدنيا ، كقوله تعالى :) **ولا تمدن عينيك** ((طه : ١٣١) فإن الله تعالى إنما أعطاهم ما

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٦١٨

أعطاهم للعذاب ، بأن عرضه للتغنم والسبي ، وبلاهم فيه بالآفات والمصائب ، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير ، وهم كارهون له على رغم." [1]

"" صفحة رقم ٥٤٩ "

أبي وعثمان : إن ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير ، والخلاق للكثير لا غير ، كقولك : قطع الثياب . وقطع الثوب والثياب .

) ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني والقرءان العظيم (

الحجر : (٨٧) ولقد آتيناك سبعا . . . . .

) سبعا (سبع آيات وهي الفاتحة . أو سبع سور وهي الطوال ، واختلف في السابعة فقيل : الأنفال وبراءة ، لأنهما في حكم سورة واحدة ، ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية . وقيل سورة يونس . وقيل : هي آل حم ، أو سبع صحائف وهي الأسباع . و) المثاني (من التثنية وهي التكرير ؛ لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها ، أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله ، الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية . وأما السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ، ولما فيها من الثناء ، كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى . و (من) إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال ، وللبيان إذا أردت الأسباع . ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني ، لأنها تثني عليه ، ولما فيها من المواعظ المكررة ، ويكون القرآن بعضها ، فإن قلت : كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع ، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه ؟ قلت : إذا عنى بالسبع الفاتحة أو الطوال ، فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن ، لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل . ألا ترى إلى قوله :) بما أوحينا إليك هاذا القرءان (يعني سورة يوسف : وإذا عينت الأسباع فالمعنى : ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم ، أي : الجامع لهذين النعتين ، وهو الثناء أو التثنية والعظم .

) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين (

الحجر : (٨٨) **لا تمدن عينيك** . . . . .

أي : لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له) إلى ما متعنا به أزواجا منهم (أصنافا من الكفار . فإن قلت : كيف وصل هذا بما قبله ؟ قلت : يقول لرسوله (صلى الله عليه وسلم) : قد أوتيت النعمة العظمى

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٢/٢٦٧

التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة ، وهي القرآن العظم ؛ فعليك أن تستغني به ، **ولا تمدن عينيك** إلى متاع الدنيا . ومنه الحديث :." [1]

"" صفحة رقم ٩٧ "

الشمس وغروبها ، وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لهما بصلاتك ، وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل ، لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب . وقال الله عز وجل :) إن ناشئة اليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ((المزمل : ٦) وقال :) أمن هو قانت ءاناء اليل ساجدا وقائما ((الزمر : ٩) ولأن الليل وقت السكون والراحة ، فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق ؛ وللبدن أتعب وأنصب ، فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله . وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة ، وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ، إرادة الاختصاص ، كما اختصت في قوله :) حافظوا على الصلوات والصلواة الوسطى ((البقرة : ٢٣٨) عند بعض المفسرين . فإن قلت : ما وجه قوله :) وأطراف النهار (على الجمع ، وإنما هما طرفان كما قال :) أقم الصلواة طرفى النهار ((هود : ١٤١) ؟ قلت : الوجه أمن الإلباس ، وفي التثنية زيادة بيان . ونظير مجيء الأمرين في الآيتين : مجيئهما في قوله : ظهراهما مثل ظهور الترسين ؛

وقرىء : (وأطراف النهار) عطفا على آناء الليل . ولعل للمخاطب ، أي : اذكر الله في هذه الأوقات ، طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضي نفسك ويسر قلبك . وقرىء : (ترضى) أي يرضيك ربك .

) **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيواة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (طه : (١٣١) **ولا تمدن عينيك** . . . . . .

) **ولا تمدن عينيك** (أي نظر عينيك : ومد النظر : تطويله ، وأن لا يكاد يرده ، استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به ، وتمنيا أن يكون له ، كما فعل نظارة قارون حين قالوا :) الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ((القصص : ٧٩) حتى واجههم أولو العلم والإيمان ب) ويلكم ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحا ((القص‍ص : ٨٠) وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه ، وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ، ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع ، وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد." [2]

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٢/٥٤٩

(٢) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٣/٩٧

"" صفحة رقم ٩٨ "

إليه نظره ويملأ منه عينيه قيل :) **ولا تمدن عينيك** (أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به ، ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك ، لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة ؛ فالناظر إليها محصل لغرضهم ، وكالمغري لهم على اتخاذها) أزواجا منهم (أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير ، والفعل واقع على) منهم (كأنه قال : إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم . فإن قلت : علام انتصب) زهرة (؟ قلت : على أحد أربعة أوجه : على الذم وهو النصب على الاختصاص . وعلى تضمين) متعنا (معنى أعطينا وخولنا ، وكونه مفعولا ثانيا له . وعلى إبداله من محل الجار والمجرور . وعلى إبداله من أزواجا ، على تقدير ذوي زهرة . فإن قلت : ما معنى الزهرة فيمن حرك ؟ قلت : معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة ،كما جاء في الجهرة الجهرة . وقرىء :) أرنا الله ((النساء : ١٥٣) . وأن تكون جمع زاهر ، وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا ، لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون ؛ وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء : من شحوب الألوان والتقشف في الثياب) الدنيا لنفتنهم (لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب ، لوجود الكفران منهم . أو لنعذبهم في الآخرة بسببه) ورزق ربك (هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم . وأو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة . أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه ، والحلال) خير وأبقى (لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث ، والحرام لا يسمى رزقا أصلا وعن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع قال :." (١)

"" صفحة رقم ٩٩ "

(٦٨٨) بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى يهودي وقال : (قل له يقول لك رسول الله أقرضني إلى رجب ، فقال : والله لا أقرضته إلا برهن ، فقال رسول الله (إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض ، احمل إليه درعي الحديد) فنزلت **ولا تمدن عينيك** .

) وأمر أهلك بالصلواة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (

طه : (١٣٢) وأمر أهلك بالصلاة . . . . .

) وأمر أهلك بالصلواة (أي وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة ؛ واستعينوا بها على خصاصتكم

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٣/٩٨

؛ ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة ، فإن رزقك مكفى من عندنا ، ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة . وفي معناه قول الناس : من دان في عمل الله كان الله في عمله . وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ :) **ولا تمدن عينيك** (ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله . وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت أهله خصاصة قال : قوموا فصلوا ، بهذا أمر الله رسوله ، ثم يتلو هذه الآية .

) وقالوا لولا يأتينا بأاية من ربه أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الا ولى (

طه : (١٣٣) وقالوا لولا يأتينا . . . . .

اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة ، فقيل لهم : أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن ، من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة ، وتلك ليست بمعجزات ، فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها ، افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة . وقرىء : (الصحف) بالتخفيف . ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل .

) ولو أنآ أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع ءاياتك من قبل أن نذل ونخزى (

طه : (١٣٤) ولو أنا أهلكناهم . . . . .

قرىء) نذل ونخزى (على لفظ ما لم يسم فاعله .

) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (٧)

طه : (١٣٥) قل كل متربص . . . . .." (١)

٢٦٢"

أنه قال السبع المثاني السبع الطوال وعن سعيد بن جبير قال البقرة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس قال لأنه يثني فيها حدود الفرائض والقرآن ويقال السبع المثاني والقرآن كله وهو سبعة أسباع سمي مثاني لأن ذكر الأقاصيص فيه مثنى كقوله " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني " [الزمر : ٢٣] وقال طاوس القرآن كله مثاني وقال أبو العالية المثاني فاتحة الكتاب سبع آيات وإنما سمي مثاني لأنه يثنى مع القرآن كلما قرىء القرآن قيل إنهم يزعمون أنها السبع الطوال قال لقد أنزلت هذه الآية

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٣/٩٩

وما أنزل شيء من الطوال وسئل الحسن عن قوله " سبعا من المثاني " قال " الحمد لله رب العالمين " حتى أتى على آخرها وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الحمد لله رب العالمين أم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني وقال قتادة السبع المثاني هي فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة مكتوبة أو تطوع يعني في كل صلاة ويقال " من المثاني " أي مما أثني به على الله تعالى لأن فيها حمد الله تعالى وتوحيده و " من " ها هنا على ضربين يكون للتبعيض من القرآن أي أعطيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله تعالى وآتيناك القرآن العظيم ويجوز أن يكون السبع هي المثاني كقوله " فاجتنبوا الرجس من الأوثان " [الحج : ٣٠] أي إجتنبوا الأوثان

قوله " **لا تمدن عينيك** " أي لا تنظرن بعين الرغبة " إلى ما متعنا به " أي إلى ما أعطيناك في الدنيا من القرآن خير وأفضل مما أعطيناهم من الأموال فاستغن بما أعطيناك من القرآن والدين والعلم ولا تنظر إلى أموالهم " أزواجا منهم " أي أصنافا منهم وألوانا من الأموال وقوله " منهم " أي أعطينا رجلا من المشركين منهم " ولا تحزن عليهم " أي على كفار مكة إن لم يؤمنوا لأن مقدوري عليهم الكفر ويقال " ولا تحزن عليهم " إن نزل بهم العذاب " واخفض جناحك للمؤمنين " يقول لين جناحك عليهم أي تواضع للمؤمنين " وقل إني أنا النذير المبين " أخوفكم بعذاب مبين بلغة تعرفونها

قال عز وجل "كما أنزلنا على المقتسمين " أي كما أنزلنا العذاب " على المقتسمين " وهم الذين إقتسموا على عقاب مكة ليردوا الناس عن دين الإسلام وعن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال " إني أنا النذير المبين " بالقرآن كما أنزلنا التوراة والإنجيل على المقتسمين وهم اليهود والنصارى اقتسموا فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقال مجاهد هم اليهود والنصارى فرقوا القرآن آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ويقال إن أهل مكة قالوا أقاويل مختلفة " الذين جعلوا القرآن غضين " أي فرقوا القول فيه قال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وهذا قول قتادة ويقال أصله في اللغة الفرقة

يقال فرقوه أي عضوه أعضاء يقال ليس دين الله بالتعضية أي بالتفريق وروى الضحاك عن ا بن عباس أنه قال جزؤوه وجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور." (١)

٤١٧"

ثم قال عز وجل " فاصبر على ما يقولون " يعني على ما يقول أهل مكة من تكذيبهم إياك " وسبح بحمد ربك " يعني صل لربك وبحمد ربك وبأمر ربك " قبل طلوع الشمس " يعني صلاة الفجر " وقبل غروبها "

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ٢٦٢/٢

يعني صلاة العصر ويقال صلاة الظهر والعصر وروى جرير عن عبد الله البجلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته يعني لا تزدحمون مأخوذ من الضم أي لا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته بظهوره كما في رؤية الهلال ويروى " لا تضامون " بالتخفيف وهو الضم أي الظلم أي لا يظلم بعضكم في رؤيته بأن يراه البعض دون البعض فإن إستطعتم أن لا تغلبوا عن الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ هذه الآية " فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها " على معنى التأكيد للتكرار

ثم قال " ومن آناء الليل " يعني ساعات الليل " فسبح " يعني صلاة المغرب والعشاء " وأطراف النهار " يعني غدوة وعشية على معنى التأكيد للتكرار " لعلك ترضى " يعني لعلك تعطى من الشفاعة حتى ترضى قرأ الكسائي وعاصم في رواية أبي بكر " ترضى " بضم التاء على فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون بالنصب يعني ترضى أنت وقال أبو عبيدة وبالقراءة الأولى نقرأ يعني بالضم لأن فيها معنيين أحدهما ترضى أي تعطى الرضا والأخرى ترضى أي يرضاك الله وتصديقه قوله تعالى " وكان عند ربه مرضيا " [مريم : ٥٥] وليس في الأخرى وهي القراءة بالنصب إلا وجه واحد

ثم قال عز وجل " **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به " يعني لا تنظر بالرغبة إلى ما أعطينا رجالا منهم من الأموال والأولاد " زهرة الحياة الدنيا " يعني فإنه زينة الدنيا " لنفتنهم فيه " يعني لنبتليهم بالمال وقلة الشكر " ورزق ربك خير وأبقى " يعني جنة ربك " خير " من هذه الزينة التي في الدنيا " وأبقى " أي وأدوم

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن يوسف قال حدثنا وكيع عن موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله عن أبي رافع قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني إلى يهودي أن يبيعنا أو يسلفنا إلى أجل فقال اليهودي لا والله إلا برهن فرجعت إليه فأخبرته فقال لو باعني أو أسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض إذهب بدرعي الحديدي فذهبت بها فنزل من بعد هذه." (١)

"٤١٨

الآية يعزيه عن الدنيا " **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم " إلى آخر الآية

سورة طه ١٣٢ - ١٣٥

وقال عز وجل " وأمر أهلك بالصلاة " يعني قومك وأهلك وأهل بيتك بالصلاة " واصطبر عليها " يعني

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ٢/٤١٧

إصبر على ما أصابك فيها من الشدة روى عبد الرزاق عن معمر عن رجل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل عليه نقص في الرزق أي الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها " " لا نسألك رزقا " يعني لخلقنا ولا أن ترزق نفسك إنما نسألك العبادة " نحن نرزقك " في الدنيا ما دمت حيا فيها " والعاقبة للتقوى " يعني الجنة للمتقين

" وقالوا " يعني الكفار " لولا يأتينا بآية من ربه " يعني هلا يأتينا محمد صلى الله عليه وسلم بعلامة لنبوته قال الله تعالى " أو لم تأتهم بينة " يعني بيان " ما في الصحف الأولى " يعني ما في التوراة والإنجيل حتى يجدوا نعته فيه وهذا كقوله عز وجل " فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك " [يونس : ٩٤]

ثم قال عز وجل " ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله " يقول لو أن أهل مكة أهلكناهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن " لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى " يعني من قبل أن نعذب

ثم قال عز وجل " قل كل متربص " يعني منتظر لهلاك صاحبه أنا وأنتم وقال مقاتل كان كفار مكة قد قالوا نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم " ريب المنون " [الطور : ٣٠] يعنون الموت ووعدهم النبي صلى الله عليه وسلم العذاب فأنزل الله تعالى " قل كل متربص " يعني أنتم متربصون بمحمد صلى الله عليه وسلم الموت ومحمد صلى الله عليه وسلم متربص بكم العذاب فأنزل الله تعالى " قل كل متربص " " فتربصوا " يقول إنتظروا " فستعلمون " إذا نزل بكم العذاب " من أصحاب الصراط السوي " يعني العدل " ومن إهتدى " منا ومنكم قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم " أولم تأتهم " بالتاء لأن لفظ البينة مؤنث والباقون " أولم يأتهم " بالياء لأن معناه البيان والله سبحانه وتعالى أعلم وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم." [1]

"﴿وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين * وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين * فأخذتهم الصيحة مصبحين * فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل * إن ربك هو الخلاق العليم * ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرءان العظيم * **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل إني أنا النذير المبين * كما أنزلنا على المقتسمين * الذين جعلوا القرءان عضين * فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون * فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون * ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٤١٨/٢

الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾

قوله: " ولقد آتيناك سبعا من المثاني "

- ١٣٢٩٦ عن علي بن أبي طالب، في قوله:" ولقد آتيناك سبعا من المثاني " ، قال: هي فاتحة الكتاب"..". (١)

"- ١٣٢٩٧ من طريق الربيع، عن أبي العالية، في قوله:" ولقد آتيناك سبعا من المثاني " ، قال: فاتحة الكتاب سبع آيات، وإنما سميت " المثاني " ، لأنه ثنى بها كلما قرأ القرآن قرأها"، قيل للربيع: إنهم يقولون السبع الطول، قال: لقد أنزلت هذه الآية، وما نزل من الطول شيء.

- ١٣٢٩٨ عن ابن عباس، في قوله:" ولقد آتيناك سبعا من المثاني " ، قال: هي السبع الطول، ولم يعطهن أحد إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وأعطي موسى منهن اثنتين".

- ١٣٢٩٩ عن سعيد بن جبير، في قوله:" سبعا من المثاني " ، قال: السبع الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس"، فقيل لابن جبير: ماقوله: " المثاني " ؟ قال: ثنى فيها القضاء، والقصص".

- ١٣٣٠٠ عن سفيان،" " المثاني " ، المثين: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وبراءة، والأنفال، سورة واحدة".

- ١٣٣٠١ من طريق سعيد جبير، عن ابن عباس، في قوله:" سبعا من المثاني " ، قال: السبع الطول، قلت: لم سميت " المثاني " ؟ قال: يتردد فيهن الخير، والأمثال، والعبر".

- ١٣٣٠٢ عن زياد بن أبي مريم، في قوله:" سبعا من المثاني " ، قال: أعطيتك سبعا أخر اؤمر، وانه، وبشر وأنذر، واضرب الأمثال، واعدد النعم، واتل نبأ القرون". قوله: " **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم " ." (٢)

"- ١٣٣٠٣ ذكر، عن وكيع بن الجراح، حدثنا موسى بن عبيدة، عن يزيد بن عبدالله بن قسيط، عن أبي رافع، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيف، ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم شيء يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود يقول لك محمد رسول الله:"أسلفنى دقيقا إلى هلال رجب"، قال: لا، إلا برهن، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٧١/٩

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٧٢/٩

فقال:"أما والله إني لأمين من في السماء، وأمين من في الأرض، ولئن أسلفني، أو باعني لأؤدين إليه"، فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية: " **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا " .... إلى آخر الآية، كأنه يعزيه عن الدنيا.

– ١٣٣٠٤ عن ابن عباس، في قوله:" " **لا تمدن عينيك** " ، قال: نهى الرجل إن يتمنى مال صاحبه، قوله:" " كما أنزلنا على المقتسمين " ، قال: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض: اليهود والنصارى". قوله: " عما كانوا يعملون "

– ١٣٣٠٥ حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحوارى، حدثنا يونس الحذاء، عن أبي حمزة الشيباني، عن معاذ بن جبل، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يا معاذ، إن المؤمن ليسأل يوم القيامة عن جميع سعيه، حتى كحل عينيه، وعن فتات الطينة بأصبعه، فلا ألفينك يوم القيامة، واحد أسعد بما أتي الله منك". قوله: " الذين جعلوا القرآن عضين " ." [(١)]

"﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى * أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى * ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى * فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى * **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾

– ١٤٤٤٣ عن سفيان، في قوله:" " وكذلك نجزي من اسرف﴾، قال: من اشرك".

– ١٤٤٤٤ عن ابن عباس، في قوله:" " أفلم يهد لهم﴾، قال: ألم نبين لهم".

– ١٤٤٤٥ عن قتادة، في قوله:" " أفلم يهد لهم﴾، قال: أفلم نبين لهم، " كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم﴾، نحو عاد وثمود ومن أهلك من الأمم، وفي قوله: " ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى﴾، قال: هذا من مقاديم الكلام يقول: لولا كلمة من ربك وأجل مسمى لكان لزاما".

– ١٤٤٤٦ عن السدي، في قوله:" " ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما﴾، قال: لكان أخذ أو لكنا أخرناهم إلي يوم بدر وهو اللزوم وتفسيرها، " ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى﴾،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٧٣/٩

لكان لزاما، ولكنه تقديم وتأخير في الكلام".

- ١٤٤٤٧ عن ابن عباس، في قوله:" " لكان لزاما﴾، قال: موتا".." [١]

"- ١٤٤٤٨ عن ابن عباس، في قوله:" " وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾، قال: هي الصلاة المكتوبة".

- ١٤٤٤٩ عن قتادة، في قوله:" " وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾، قال: هي صلاة الفجر، " وقبل غروبها﴾، قال: صلاة العصر، " ومن آناء الليل﴾، قال: صلاة المغرب والعشاء، " وأطراف النهار﴾، قال: صلاة الظهر".

- ١٤٤٥٠ عن السدي، في قوله:" " وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾، قال: كان هذا قبل إن تفرض الصلاة".

- ١٤٤٥١ عن ابن زيد، في قوله:" " لعلك ترضى﴾، قال: الثواب فيما يزيدك الله على ذلك".

- ١٤٤٥٢ عن أبي رافع، قال: أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا، ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم ما يصلحه، فأرسلني إلي رجل من اليهود إن بعنا، أو أسلفنا دقيقا إلي هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال:"أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه أذهب بدرعي الحديد، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الأيه: " **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾، كأنه يعزيه عن الدنيا".

- ١٤٤٥٣ عن سفيان، في قوله:" " **ولا تمدن عينيك﴾**، قال: تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم".

- ١٤٤٥٤ عن أبي سعيد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:"إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا، قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: بركات الأرض".." [٢]

"- ١٤٤٦٠ عن سفيان الثوري، في قوله:" " لا نسألك رزقا﴾، قال: لا نكلفك الطلب".

- ١٤٤٦١ عن عروة،"أنه كان دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا، فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ: " **ولا تمدن عينيك﴾**، إلي قوله: " نحن نرزقك﴾، ثم يقول: الصلاة الصلاة رحمكم الله".

- ١٤٤٦٢ حدثنا ثابت، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم"إذا أصابت أهله خصاصة نادي أهله: الصلاة صلوا صلوا"، قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا أنزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٠٧/٩

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٠٨/٩

سورة الأنبياء

قال تعالى:

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون * قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم * بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون * ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون * وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

قوله تعالى: " اقترب للناس حسابهم﴾

- ١٤٤٦٣ عن ابن جريج في قوله:" " اقترب للناس حسابهم﴾، قال: ما يوعدون". قوله تعالى: " ما يأتيهم من ذكر من ربهم﴾." (١)

"﴿ ٨٧ - ٩٣ ﴾ ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل إني أنا النذير المبين *كما أنزلنا على المقتسمين ﴾ .

يقول تعالى ممتنا على رسوله ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني ﴾ وهن -على الصحيح- السور السبع الطوال: " البقرة " و " آل عمران " و " النساء " و " المائدة " و " الأنعام " و " الأعراف " و " الأنفال " مع " التوبة " أو أنها فاتحة الكتاب لأنها سبع آيات، فيكون عطف " القرآن العظيم " على ذلك من باب عطف العام على الخاص، لكثرة ما في المثاني من التوحيد، وعلوم الغيب، والأحكام الجليلة، وتثنيتها فيها. وعلى القول بأن " الفاتحة " هي السبع المثاني معناها: أنها سبع آيات، تثنى في كل ركعة، وإذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون، ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ ولذلك قال بعده: ﴿ **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ أي: لا تعجب إعجابا يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغتر بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم، ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ فإنهم لا خير فيهم يرجى، ولا نفع يرتقب، فلك في المؤمنين عنهم أحسن [ص ٤٣٥]

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٩/٣١٠

البدل وأفضل العوض، ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ أي: ألن لهم جانبك، وحسن لهم خلقك، محبة وإكراما وتوددا، ﴿ وقل إني أنا النذير المبين ﴾ أي: قم بما عليك من النذارة وأداء الرسالة والتبليغ لقريب والبعيد والعدو والصديق، فإنك إذا فعلت ذلك فليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء.

وقوله: ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين ﴾ أي: كما أنزلنا العقوبة على المقتسمين على بطلان ما جئت به، الساعين لصد الناس عن سبيل الله.." (١)

"﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ﴾ .

ثم علل إحاطة علمه، وعدم نسيانه، بأنه ﴿ رب السماوات والأرض ﴾ فربوبيته للسماوات والأرض، وكونهما على أحسن نظام وأكمله، ليس فيه غفلة ولا إهمال، ولا سدى، ولا باطل، برهان قاطع على علمه الشامل، فلا تشغل نفسك بذلك، بل اشغلها بما ينفعك ويعود عليك طائله، وهو: عبادته وحده لا شريك له، ﴿ واصطبر لعبادته ﴾ أي: اصبر نفسك عليها وجاهدها، وقم عليها أتم القيام وأكملها بحسب قدرتك، وفي الاشتغال بعبادة الله تسلية للعابد عن جميع التعلقات والمشتهيات، كما قال تعالى: ﴿ **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ إلى أن قال: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ الآية. ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ أي: هل تعلم لله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى.." (٢)

"﴿ ١٣١ ﴾ ﴿ **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ .

أي: لا تمد عينيك معجبا، ولا تكرر النظر مستحسنا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج

---

(١) تفسير السعدي، ص/٤٣٤

(٢) تفسير السعدي، ص/٤٩٨

بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها - بقطع النظر عن الآخرة - القوم الظالمون، ثم تذهب سريعا، وتمضي جميعا، وتقتل [ص ٥١٧] محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختبارا، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملا كما قال تعالى: ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا * وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ﴾

﴿ ورزق ربك ﴾ العاجل من العلم والإيمان وحقائق الأعمال الصالحة والآجل من النعيم المقيم والعيش السليم في جوار الرب الرحيم ﴿ خير ﴾ مما متعنا به أزواجا في ذاته وصفاته ﴿ وأبقى ﴾ لكونه لا ينقطع أكلها دائم وظلها كما قال تعالى ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾

وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا وإقبالا عليها أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه وأن يوازن بين هذا وهذا." [١]

" صفحة رقم ١١٨

أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ( ) ٧

[النور : ٢٢] إلى تمام ما لا تحصل السلامة إلا به من النهي عما زاد على الكفاف والبلغة في الدنيا الذي به يصح العمل بالحكمة نحو قوله تعالى :

٧٧ ( ) ولا تمش في الأرض مرحا ( ) ٧

[الإسراء : ٣٧] إلى قوله :

٧٧ ( ) ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ( ) ٧

[الإسراء : ٣٩] ، ونحو قوله تعالى :

٧٧ ( ) **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ( ) ٧

[طه : ١٣١] ، لأن كل زائد على الكفاف فتنة ، وهذا هو أساس ما به تتفاوت درجات العلم في الدنيا ودرجات الجنة في الآخرة ، ولا تصح الوجوه والحروف التي بعده أي وهي سائر الحروف علما وعملا وثباتا وقبولا عند التمحيص إلا بحسب الإحكام في قراءة هذا الحرف وجمعه وبيانه لأنه ظهور لما بعده من صلات حرف الأمر وما قصر بعشرات فرق الأمة إلى التقصير في حرف النهي ، لأن الملة الحنيفية مبنية على الاكتفاء باليسير من المأمورات والمبالغة في الحمية من عموم ما لا يتناهى من المنهيات لكثرة مداخل

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥١٦

الآفات منها على الخلق فميا بعد الموت ويصعب هذا الحرف على الخلق بما استقر في أوهامهم أن دنياهم لا تصلح إلا بالمثابرة على صنوف المنهيات لنظرهم لجدواها في الدنيا وعماهم عن وبالها في الأخرى وما حوفظ على الرياضات والتأديبات والتهذيبات إلا بوفاء الحمية منها ، والحمية أصل الدواء ، فمن لم يحتم عن المنهيات لم ينفعه تداويه بالمأمورات ، كالذي يتداوى ولا يحتمي يخسر الدواء ويتضاعف الداء

٧٧ ( ) هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ( ) ٧

[الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤] وجاؤوا بحسنات كالجبال وكانوا يصومون ويصلون ويأخذون وهنا من الليل لكن ذلك تداو بغير حمية لما لم يحتموا من الدنيا التي نهوا عن زهرتها ، فكانوا إذا لاحت لهم وثبوا عليها فيصيبون منها الشهوات ويعملون المعصيات فلم ينفعهم المداواة ، فمن ا حتمى فقد قرأ هذا الحرف وهو حسبه فاقرؤوا ما تيسر منه ، أحب العبادات إلى الله ترك الدنيا وحمية النفس من هوى جاهها ومالها (بل نبيا عبدا)." [(١)]

" صفحة رقم ١٢٣

والقوام يجلب ولا يختزن فيستنمى فيه الدينار والدرهم ، ومن اختزنه يستنمي فيه الدينار والدرهم فقد احتكره ، وما منع فيه من مد العين فأحرى أن يمنع فيه مد اليد)) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا ( ) [الحجر : ٨٨] الآيتين ، فبهذه الأمور من إيمان القلب ورؤية الفؤاد وصبر النفس وكف اليد عن الانبساط في التمول فيما به القوام تحصل قراءة حرف النهي ، والله ولي التأييد – انتهى .

البقرة : (٤٣ – ٥٠) وأقيموا الصلاة وآتوا. .. . . .

) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبنآءكم ويستحيون نسآءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون (( )

ولما فرغ سبحانه من أمر أهل الكتاب بالإيمان بالله والنبي والكتاب الذي هو من الهدى الآتي إليهم المشار

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ١١٨/١

إلى ذلك كله بالإيفاء بالعهد عطف بقوله : (وأقيموا الصلاة) أي حافظوا على العبادة المعهود بها في كل يوم بجميع شرائطها وأركانها) وآتوا الزكاة) أي المفروضة في كل حول لتجمعوا أوصاف المتقين المهديين بهذا الكتاب)) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ( ) [البقرة : ٣] المحسنين بذلك فيما بينهم وبين الحق وفيما بينهم وبين الخلق ، وهاتان العبادتان إما العبادات البدنية والمالية." (١)

" صفحة رقم ٧٤٦

الظلف ويخرج أظفارا في ظلفه وهو لا يجتر فإنه لا يطهر لكم فلا تأكلوا من لحومها ولا تمسوا ما مات منها ، فإن ذلك لا يطهر لكم ؛ رجع إلى نسختي ، ثم ذكر في الطير ودواب البر قريبا مما في شرعنا إلى أن قال : ولا تأكلوا أشياء نجسة بل ادفعوها إلى السكان الذين في قراكم يأكلونها أو يبيعونها من الغرباء ، لأنك شعب طاهر لله ربك لا تطبخوا جديا بلبن أمه ؛ وقال في ترجمة الاثنين والسبعين : ولا تطبخ الخروف بلبن أمه ؛ وقال في السفر الخامس : وكلوا من الطير ما كان زكيا وحرموا هذه التي أصف لكم ، لا تأكلوا منها شيئا : النسر والحداء - وذكر نحوا مما عندنا ، وقال في نسختي في الثالث : فمن مس شيئا من هذه - أي المحرمات - يكون نجسا إلى المساء ، ومن حمل منها شيئا فليغشل ثيابه ويكون نجسا إلى الليل - انتهى .

الظبي - بالمعجمة المشاركة - معروف ، والجوذر - بفتح الجيم والذال المعجمة والراء : البقرة الوحشية ، والرئم - بكسر المهملة : الظبي الخالص البياض ، والثيثل - بمثلثتين مفتوحتين بينهما ياء تحتانية ساكنة : بقر الوحش ، والأيل - بفتح الهمزة وكسر التحتانية المشددة ، الوعل - بفتح الواو وكسر المهملة - وهو تيس الجبل ، والحمل - بفتح المهملة : الرضيع من أولاد الضأن ، وقوله : لا تطبخوا جديا بلبن أمه ، الظاهر أن معناه النهي عن أكله ما دام يرضع ، وما بعد الذي في الثالث هو معظم التوراة ، والذي في الخامس إنما هو إعادة لما في الثالث ، فإن الخامس تلخيص لجميع ما تقدمه من القصص والأحكام مع زيادات ، فصدق أن إيتاء الكتاب أتى معظمه بعد تحريم ما حرم عليهم ، ويجوز - وهو أحسن - أن يكون معطوفا على محذوف تقديره : ذلكم وصاكم به كما وصى بني إسرائيل في الفصل الذي نسبته من التوراة كنسبة أم القرآن من القرآن ، وذلك هي العشر الآيات التي هي أول ما كتبه الله لموسى عليه السلام ، وهي أول التوراة في الحقيقة لأنها أول الأحكام ، وما قبلها فهو قصص وحاصل هذه العشر آيات : الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر من العبودية والرق ، لا يكونن لك إله غيري ، لا تقسم باسمي كذبا ،

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ١/١٢٣

احفظ يوم السبت ، أكرم والديك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، **لا تمدن عينيك** إلى ما في أيدي الناس ، فالمعنى : ذلك وصيناكم به كما وصينا بني إسرائيل به في العشر الآيات وبعض ما آتينا موسى من التوراة ، ويجوز أن يكون التقدير : لكون هذه الآيات محكمة في كل الشرائع لم تنسخ في أمة من الأمم ولا تنسخ ، وصاكم به يا بني آدم في الزمن الأقدم ، ولم يزدد الأمر بها في التوصية إلا شدة) ثم آتينا) أي بما لنا من العظمة) موسى الكتاب) أي جميعه وهي فيه ، حال كونه) تماما (لم ينقص عما يصلحهم شيئا) على (الوجه) الذي أحسن) أي أتى بالإحسان فأثبت الحسن وجمعه بما بين من." (١)

" صفحة رقم ٢٠٠

كتاب على الحقيقة غيره ، الجامع لجمع ما يقوم به الوجود من الخيرات ، القاطع في قضائه من غير شك ولا تردد ، الغالب بأحكامه القاهرة في وعده ووعيده وأحكامه في إعجازه لجميع من يعانده .

ولما كان الغالب في هذه السورة القطع الذي هو من لوازم الكتاب قدمه ، وذلك أنه قطع بأمر الأجل والملائكة ، وحفظ الكتاب والرمي بالشهب ، وكفاية المستهزئين ، فكان كما قال سبحانه) و (آيات) قرآن) أي قرآن جامع ناشر مفصل واصل ، إذ التنوين للتعظيم) مبين (لجميع ما يجمع الهمم على الله فيوصل إلى السعادة ، وهذه الإبانة - التي لم تدع لبسا - هو منتصف بها ، مع كونه جامعا للأصول ناشرا للفروع لا خلل فيه يدخل منه عليه ، ولا فصم يؤتى منه إليه ، فأعجب لأمر حاو لجميع وفرق وفصل ووصل : والإبانة : إظهار المعنى للنفس بما يميزه عن غيره ، لأن أصل الإبانة الفصل : فهذا شرح كونه بلاغا ، فمقصود ه ذه السورة اعتقاد كون القرآن بلاغا جامعا للأمور الموصلة إلى الله ، مغنيا عن جميع الأسبابن فلا ينبغي الالتفات إلى شيء سواه) ذرهم يأكلوا (،) **لا تمدن عينيك** ( ) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (وكان الجمع بين الوصفين الدال كل منهما على الجمع إشارة إلى الرد عليهم في جعلهم القرآن عضين ، وأن قولهم شديد المباعدة لمعناه .

مع أن المفهومين - مع تصادقهما على شيء واحد - متغايران ، فالكتاب : ما يدون في الطروس ، والقرآن : ما يقرأ باللسان ، فكأن الأول إشارة إلى حفظه في الطروس بالكتابة ، والثاني إلى حفظه في الصدور بالدراسة ، سيأتي قوله) وإنا له لحافظون (مؤيدا لذلك ، وكل من مادتي كتب وقرأ بجميع التقاليب تدور على الجمع .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٧٤٦

أما (كتب) – وتنقلب إلى كبت وتبك وبكت وبتك – فقال في المجمل : كتبت الكتاب أكتبه وهو من الجمع ، والكتاب أيضا : الدواة – تسمية للشيء باسم ما هو آلته ، والمكتب . كمعظم : العنقود أكل بعض مافيه – تشبيها له بالمكتوب ، والكتيبة : الجيش والجماعة المستحيزة من الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف – انتهى .

وكتبت البغلة – إذا جمعت بين شفري رحمها بحلقة ؛ وقال القزاز : وأصله – أي الكتاب – ضمك الشيء إلى الشيء ، فكأنه سمي بذلك لضم الحروف بعضها إلى بعض ، كتبت المزادة – إذا خرزتها ، يعني : فضممت بعضها إلى بعض .

والكتبة – بالضم : السير يخرز به ، وما يكتب به حياء الناقة لئلا ينزي عليها ، والإكتابك شد رأس القربة ، والكتيبة : جماعة تكتبوا ، أي تجمعوا ، وتكتب الرجل – بتقديم الموحدة – إذا تقبض ، ومنه الكتاب – بضم الكاف وتخفيف التاء الفوقانية لسهم صغير يتعلم به الصبيان الرمي – كذا قال القزاز إنه." (١)

" صفحة رقم ٢٣٥

النصير ، ولا يخفي عليه شيء منه ؛ ويدل على ما قلته آية ياسين)) أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ( ) [ياسين : ٨١] أو يقال : فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون شيئا مما أردنا من الحق ، لأنا ما خلقنا عذابهم إلا بالحق كما خلقناهم بالحق ، فلم يمتنع علينا شيء من ذلك) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي بسبب إقامة الحق وإظهار أمرنا في العدل ، ولولا أن سلطنا بعض الناس على بعض لم يظهر لهم منا هذه الصفة غاية الظهور ، فنحن نعجل من الحق الذي خلقنا ذلك بسببه على قيام الساعة – ما شئنا من الابتلاء و الانتقام كما فعلنا ممن قصصنا أمرهم ، ونؤخر من ذلك ما بقي إلى قيام الساعة) وإن الساعة لآتية (لا شك فيها ، فلا ندع هناك شيئا من الحقوق إلا أقمناه) فأصفح الصفح جميل (فلا بد من الأخذ لك بحقك إما في الدنيا وإما في الآخرة أن أي لأن) ربك هو الخلاق) أي الفاعل للخلق مرة بعد مرة ، لا تنفذ قدرته ولا تهن كلمته) العليم (التام العلم ، فهو قادر بدأهم ، ويستوفي إذ ذاك جميع الحقوق ويؤتيك في ذلك اليوم ما يقر به عينك .

ولما ذكر صفة العلم لصيغة المبالغة ، أتبعها ما آتاه في هذه الدار من مادة العلم بصيغة العظمة ، فقال عطفا على ما قدرته مما دل عليه السياق : (ولقد آتيناك (مما يدل على علمنا) سبعا من المثاني (وهي الفاتحة الجامعة على وجازتها جميع معاني القرآن فتثني في النزول فإنها نزلت مرتين ، وتثني في كل ركعة

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/٢٠٠

من الصلاة ، وهي ثناء على الله والصالحين من عباده ، وهي مقسومة بين الله وعبده ، وتثني فيه مقاصدها ، ويورد كل معنى من معانيها فيه بطرق مختلفة في إيضاح الدلالة عليه في قوالب الألفاظ وجواهر التراكيب الهادية إليه – وغير ذلك من التثنية) والقرآن العظيم) أي الحاوي لجميع علوم الأولين والآخرين مما في جميع الكتب السالفة وغيره .

الحجر : (٨٨ – ٩٤) **لا تمدن عينيك**. . . . .

) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين كمآ أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (( )

ولما كان ما أوتيه وما سيؤتاه أعظم ما أوتيه مخلوق ، اتصل به قوله : (**لا تمدن عينيك**) أي مدا عظيما بالتمني والاشتهاء المصمم ، ولذلك ثنى العين احترازا عن حديث النفس) إلى ما متعنا) أي على عظمتنا) به أزواجا) أي أصنافا) منهم (أي." [1]

" صفحة رقم ٢٣٦

أهل الدنيا ؛ أو يقال : إنه لما كان المقصود لكل ذي لب إنما هو التبليغ بدار الفناء إلى دار البقاء ، المؤكد إتيانها في الآية السابقة ، وكان القرآن – كما تقدم – كفيلا بذلك ، وسلاه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عما يؤذونه من أقوالهم ، وتبين من ذلك علو درجته ، توقع السامع ذكر ما أسبغ عليه من النعم فقال تعالى ؛ أو يقال : إنه لما أمره سبحانه بالصبر على أذاهم ، علل ذلك مما معناه أنهم خلقه ، وأنه منفرد بالخلق ، وهو بليغ العلم بأفعالهم مريد لها ، فليس الفعل في الحقيقة إلا له ، وعلى المحب أن يرضى بفعل حبيبه من حيث إنه فعله ، ولما كان التقدير : فهو الذي خلقهم ، وعلم قبل خلقهم ما يفعلون ، عطف عليه تسلية له صلى عليه وعلى آله وسلم قوله) ولقد آتيناك) أي بما لنا من العظمة كما أتينا صالحا ما تقدم) سبعا من المثاني (يكون كل سبع منها كفيلا بإغلاق باب من أبواب الـنيران السبعة ، وهي أم القرآن الجامعة لجميع معاني القرآن التي أمرنا بإعادتها في كل ركعة ، زيادة في حفظها ، وتبركا بلفظها ، وتذكيرا لمعانيها ، تخصيصا لها عن بقية الذكر الذي تكلفنا بحفظه) و (آتيناك) القرآن العظيم (الجامع لجميع معاني الكتب السماوية المتكفلة بخيري الدارين مع زيادات لا تحصى ، المشار إلى عظمته أول السورة بالتنوين ووصفه بأنه مبين للبراهين الساطعة على نبوتك ، والأدلة القاطعة على رسالتك ، الدالة على

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٥/٤

الله الموصلة إليه ، والآتيه مع ذلك دليل على العلم المختتم به ما قبلها ، فكأنه قيل : فماذا أعمل ؟ فقيل في معنى) ذرهم يأكلوا (: (**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم (اكتفاء بهذا البلاغ العظيم الذي من تحلى به وأشربه قلبه أراه معايب هذه الدار فبغضه فيها وأشرف به على ما أمامه) ولا تحزن عليهم (لكونهم لم يؤمنوا فيخلصوا أنفسهم من النار ، ويقوى بهم جانب الإسلام ، وكأن هذا هو الصفح المأمور به ، وهو الإعراض عنهم أصلا ورأسا إلا في أمر البلاغ .

ولما أمره في عشرتهم بما أمر ، أتبعه أمره بعشرة أصحابه رضي الله عنهم بالرفق واللين فقال تعالى : (واخفض) أي طأطئ) جناحك للمؤمنين) أي العريقين في هذا الوصف ، واصبر نفسك معهم ، واكتف بهم ، فإن الله جاعل فيهم البركة ، وناصرك ومعز دينك بهم ، وغير محوجك إلى غيرهم ، فمن أراد شقوته فلا تلتفت إليهم ، وهذا كناية عن اللين ، وأصله أن الطائر إذا ضم الفرخ إليه بسط جناحه ثم قبضه عليه – قاله أبو حيان ؛ وفي الجزء العاشر من الثقفيات عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (المؤمن لين حتى تخاله من اللين أحمق) .." [١]

" صفحة رقم ٢٣٩

كما تظنون ، ولما كان إتيانها لهذا العرض مما يشفي القلب لإدراك الثأر وهو حق لا بد منه ، تسبب عنه قوله تعالى) فاصفح الصفح الجميل (.

ولما كانت النفس بخبر الأعلم أوثق ، وكان صانع الشيء أعلم به من غيره فكيف إذا كان مع تام للعلم قال الله تعالى معللا لذلك) إن ربك) أي المحسن إليك) وهو الخلاق) أي التام القدرة على الإيجاد والإعدام ، الفعال لذلك (العليم) البالغ العلم ؛ ولما ختم بهذين الوصفين بعد تقدم الأخبار عما أوتى أهل الحجر من الآيات ، وأنه خلق الوجود بالحق لا بالتمويه ، وكان ذلك موجبا لتوقع الإخبار عما أوتي هذا النبي الكريم منها لإرشاد أمته ، وكانت الآيات إما أن تكون من قسم الخلق كآية صالح ، أو من قسم الأمر الذي هو مدار العلم ، أشار إلى تفضيله (صلى الله عليه وسلم) بفضل ابنه ، فقال عاطفا على ذلك) ولقد ءاتيناك) أي إن كنا أتينا صالحا أو غي رهـ آية مضت فلم يبق إلا ذكرها فقد آتيناك) سبعا من المثاني (وهي الفاتحة التي خصصت بها ، ثنى فيها البسملة للمبادئ ، والحمدلة للكمالات ، والرحمانية والرحيمية فيها للإبداع الأول والمرضي من الأعمال ، وملك الدنيا المسمى بالربوبية لكونه مستورا ، وملك يوم الدين ، وبينهما رحمانية الإيجاد الثاني بالمعاد ورحيمية الثواب للمرضي من الأسباب ، والعبادة التي لا تكون إلا

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٦/٤

مع القدرة والاختيار ، والاستعانة الناظرة إلى العجز عن كمال الاقتدار ، والهداية بالهادي والمهدي ، والضلال في مقابل ذلك بالمضل والضال ، وفي ذلك أسرار لا تسعها الأفكار) والقرآن الكريم (الجامع لجميع الآيات مع كونه حقا ثابتا لا سحرا وخيالا ، بل هو باقية على وجه الدهر ، مستمرا أمرها ، دائما تلاوتها وذكرها ، تفني الجبال الرواسي وهي باقية ، وتزول السماوات والأراضي وهي جديدة ، إذا اصطف عسكر الفجرة قالت كل آية منها ه ل من مبارز ؟ وإن رام عدو مطاولة لتحققه بالضعف صاحت لدوام قوتها : إني أناجز فلا تقوم لها قائم ، ولا يحوم حول حماها حائم ، ولا يروم خوض بحرها رائم .

ولما كانت هذه الآية لصاحبها مغنية ، ولمن فاز بقبولها معجبة مرضية ، حسن كل الحسن اتباعها بقوله) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم (ولما كان كفرهم بعد بيانها غنما هو عناد ، قال تعالى (ولا تحزن عليهم) ولما كان الغني بها ربما طن حسن أنفة الغنى ، عقبه قوله) واخفض جناحك للمؤمنين (ولما كان ربما ظن أن تلاوتها تغني عن الدعاء لا سيما لمن أعرض ، نفي ذلك بقوله) وقل إني أنا النذير المبين (تحريضا على الاجتهاد في التحذير ، وتثبيتا للمؤمنين وإرغاما للمعاندين ، واستجلابا لمن أراد الله إسعاده من الكافرين ، إعلاما بأن القلوب للمؤمنين بيد الله سبحانه وتعالى ، فلا وثوق مع ذلك بمقبل ، ولا يأمن عن مدبر .." (١)

" صفحة رقم ٥٦

طه : (١٢٨ - ١٣٥) أفلم يهد لهم. .. . . .

) أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنآ أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (( )

ولما كان ما مضى من هذه السورة وما قبلها من ذكر مصارع الأقدمين ، وأحاديث المكذبين ، بسبب العصيان على الرسل ، سببا عظيما للاستبصار والبيان ، كانوا أهلا لأن ينكر عليهم لزومهم لعماهم فقال

---

(١) نظم الدرر .) موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٩/٤

تعالى : (أفلم يهد) أي يبين) لهم كم أهكنا قبلهم (اي كثرة إهلاكنا لمن تقدمهم) من القرون (بتكذيبهم لرسلنا ، حال كونهم) يمشون في مساكنهم (ويعرفون خبرهم بالتورات خلفا عن سلف أنا ننصر أولياءنا ونهلك أعدائنا ونفعل ما شئنا والأحسن أن لا يقدر مفعول ، ويكون المعنى : أو لم يقع لهم البيان الهادي ، ويكون ما بعده استئنافا عينا كما وقع البيان بقوله استئنافا : (إن في ذلك) أي الإهلاك العظيم الشأن المتوالي في كل أمة) لآيات (عظيمات البيان) لأولي النهي) أي العقول التي من شا ، ها النهي عما لا ينفع فضلا عنا يضر ، فإنها تدل بتواليها على عموم القدرة ، وعلى أنه تعالى لا يقر على الفساد وإن أمهل – إلى غير ذلك من له وازع من عقله .

ولما هددهم بإهلاك الماضيين ، ذكر سبب التأخير عنهم ، عاطفا على ما أرشد إلى تقديره السياق ، وهو مثل أن يقال : فلو أراد سبحانه لعجل عذابهم : (ولا كلمة (اي عظيمة ماضية نافذة) سبقت) أي في الأزل) من ربك (الذي عودك بالإحسان بأنه يعامل بالحلم والأناة ، وأنه لا يستأصل مكذبيك ، بل يمد لهم ، ليرد من شاء منهم ويخرج من أصلاب بعضهم من يعبده ، وإنما ذلك إكراما لك رحمة لأمتك لأنا كما قلنا أول السورة) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (بإهلاكهم وإن كانوا قوما لدا ، ولا بغير ذلك ، زما أنزلناه غلا لتكثر أتباعك ، فيعملوا الخيرات ، فيكون ذلك زيادة في شرفك ، وإلى ذلك الإشارة بقوله (صلى الله عليه وسلم) (وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)) لكان (اي العذاب) لزاما) أي لازما أعظم لزوم لكل من أذنب عند." (١)

" صفحة رقم ٦٤

يراد بالحساب الجزاء ، فيكون ذلك تهديدا بيوم بدر والفتح ونحوهما ، ويكون المراد بالناس حينئذ قريشا أو جميع العرب ، والحساب : إحصاء الشيء والمجازاة عليه بخير أو شر) وهم) أي الحال أنهم من أجل ما في جبلاتهم من النوس ، وهو الاضطراب الموجب لعدم الثبات على حالة الأمن ، أنقذه الله منهم من هذا النقص وهم قليل جدا) في غفلة (فهي تعليل لآخر تلك على ما تراه ، لأنهم إذا نشروا علموت ، وإذا أبادتهم الوقائع علموا هم بالموت ، ومن بقي منهم بالذل المزيل لشماخة الكبر ، أهل الحق من أهل الباطل ، وقوله : (معرضون (كالتعليل للغفلة ، أي أحاطت بهم الغفلة بسبب إعراضهم عما يأتيهم منا ، وسيأتي ما يؤيد هذا في قوله آخرها) بل كنا ظالمين (وإلا فالعقول قاضية بأنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٦

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير في برهانه : لما تقدم قوله سبحانه

٧٧ ( ) **لا تمدن عينيك** – إلى قوله – فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ( ) ٧

[طه : ١٣١] قال تعالى) اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) أي **لا تمدن عينيك** إلى ذلك فإني جعلته فتنة لمن ناله بغير حق ، ونسأل عن قليل ذلك وكثيره

٧٧ ( ) لتسألن يومئذ عن لنعيم ( ) ٧

[التكاثر : ٨] والأمر قريب) اقترب الناس حسابهم (وأيضا فإنه تعالى لما قال

٧٧ ( ) تنذر به قوما لدا ( ) ٧

وهم شديدو الخصومة في الباطل ، ثم قال

٧٧ ( ) وكم أهلكنا قبلهم من قرن ( ) ٧

[مريم : ٧٤] إلى آخرها ، استدعت هذه الجملة بسط حال ، فابتدئت بتأنيسه عليه الصلاة السلام وتسليتة ، حتى لا يشق عليه لددهم ، فتضمنت سورة طه من هذا الغرض بشارته بقوله

٧٧ ( ) ما أنزلنا عليك القرآن اتشقى ( ) ٧

[طه : ٢] وتأنيسه بقصة موسى عليه السلام وما كان من حا ل بني إسرائيل وانتهاء أمر فرعون ومكابدة موسى عليه السلام لرد فرعون ومرتكبه إلى أن وقصه الله ، وأهلكه ، وأورث عباده أرضهم وديارهم ، ثم اتبعت بقصة آدم عليه السلام ليرى نبيه (صلى الله عليه وسلم) سنته في عباده حتى أن آدم عليه السلام وإن لم يكن امتحانه بذريته ولا مكابدته من أبناء جنسه – فقد كابد من إبليس ما قصه الله في كتابه ، وكل هذا تأنيس للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، فإنه إذا تقرر لديه أنه سنة الله تعالى في عبادة هان عليه لدد قريش ومكابدتهم ، ثم ابتدئت سورة الأنبياء ببقية هذا التأنيس ، فبين اقتراب الحساب ووقوع يوم الفصل المحمود فيه ثمرة ما كوبد في ذات الله والمتمنى فيه أن لو كان ذلك أكثر والمشقة أصعب لجليل الثمرة وجميل الجزاء ، ثم اتبع ذلك سبحانه بعظات ، ودلائل وبسط آيات ، وأعلم أنه سبحانه قد سبقت سنته بإهلاك من لم يكن منه الإيمان من متقدمي القرون وسالفي الأمم

٧٧ ( ) ما ءامنت قبلهم من قرية أهلكناها ( ) ٧

[الأنبياء : ٦] وفي قوله

٧٧)) أفهم يومنون ( ) ٧

[الأنبياء : ٦] تعزية لرسول الله." (١)

" صفحة رقم ٣٣٧

حملها عشرة أشهر ، جمع عشراء مثل نفساء ، وهي أحب أموال العرب إليهم وأنفسها عندهم لأنها تجمع اللحم والظهر واللبن الوبر ، (روي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) مر في أصحابه بعشار من النوق حفل ، فأعرض عنها وغض بصره فقيل له : يا رسول الله هذا أنفس أموالنا ، لم لا تنظر إليها ؟ فقال : (قد نهاني الله عن ذلك ، ثم تلا) **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا) [طه : ١٣١] الآية (ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام السنة) عطلت) أي تركت مهملة كأنه لا صاحب لها مع أنها أنفس أموالهم ، فكانت إذا بلغت ذلك أحسنت إليها وأعزتها واشتد إقبالها عليها : وقالت : جاء خيرها من ولد ولبن ، لأن الأمر ، لاشتغال كل أحد بنفسه ، أهول من أن يلتفت أحد إلى شيء وإن عز .

ولما ذكر المقرعات الدلالت على إرادة أمر عظيم ، قرب ذلك الأمر بإفهام أنه الحشر ، ودل على عمومه بذكر ما يظن إهماله فقال : (وإذا الوحوش) أي دواب البر التي لا تأنس بأحد التي يظن أنه لا عبرة بها ولا التفات إليها فما ظنك بغيرها) حشرت) أي بعثت وجمعت من كل أوب قهرا لإرادة العرض على الملك الأعظم والفصل فيما بينها في أنفسها حتى يقتص للجماء من القرناء وبينها وبين غيرها أيضا حتى يسأل العصفور قاتله ، لم قتله ؟ قال قتادة : يحشر كل شيء للقصاص حتى الذباب انتهى .

ولا يستوحش الوحش من الناس ولا الناس من الوحوش من شدة الأهوال ، وذلك أهول وأفزع وأخوف وأفظع ، قال القشيري : ولا يبعد أن يكون ذلك بإيصال منافع إليها جوازا لا وجوبا كما قاله أهل البدع انتهى .

وكل شيء في الدنيا يحضر في تلك الدار ، فإذا وقع الفصل جعل الخبيث في جهنم زيادة في عذاب أهلها ، والطيب في الجنة زيادة في نعيم أهلها .

ولما أفهم هذا الحشر ، ذكر ما يدل على ما ينال أهل الموقف من الشدائد من شدة الحر فقال : (وإذا البحار) أي على كثرتها) سجرت) أي فجر بعضها إلى بعض حتى صارت بحراص واحدا وملئت حتى كان ما فيها أكثر منها وأحمئت حتى كان كالتنور التهابا وتسعرا فكانت شرابا لأهل النار وعذابا عليهم ، ولا يكون هذا إلا وقد حصل من الحر ما يذيب الأكباد .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٦٤

ولما ذكر من الآيات العلوية من عالم الملك اثنين ومن السفلية أربعة ، فأفهم جميع الخلق أن الأمر في غاية الخطر فتشوفت النفوس إلى ما يفعل ، قال ذاكرا لما أراد." (١)

" صفحة رقم ٥٤٨

يدخل تحت الوصف ، فأغنيناك عن أن تؤثر بذلك أو توفر مالك بجلي نفع أو دفع ضر ، ومنه النهر الذي في الجنة ويسقي المؤمنين من الحوض الممدود منه في المحشر الذي مثاله في الدنيا شريعته (صلى الله عليه وسلم) التي عراها وأسبابها عدد النجوم الذين هم علماء أمته المقتدى بهم ، فقد اجتمع لك الغبطتان : أشرف العطاء من أكرم المعطين وأعظمهم .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا ، أتبع ذلك بما منح نبيه مام هو خير مما يجمعون ، وهو الكوثر وهو الخير الكثير ، ومنه الحوض الذي ترده أمته في القيامة ، لا يظمأ من شراب منه ، ومنه مقامه المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون عند شفاعته العامة للخلق وإراحتهم من هول الموقف ، ومن هذا الخير ما قدم له في دنياه من تحليل الغنائم والنصر بالرعب والخلق العظيم إلى ما لا يحصى من خير الدنيا والآخرة مما بعض ذلك خير من الدنيا وما فيها إذ لا تعدل الدنيا وما فيها واحدة من هذه العطايا

٧٧ ( ) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ما يجمعون ( ) ٧

[يونس : ٥٨] ومن الكوثر والخير الذي أعطاه الله كتابه المبين ، الجامع لعقل الأولين والآخرين ، والشفاء لما في الصدور .

ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتي عليه حصر مما لا يناسب أدناه نعيم الدنيا بجملتها ، قال مبينا له منبها على عظيم ما أعطاه

٧٧ ( ) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا ( ) ٧

[الحجر : ٨٨] إلى قوله) ورزق ربك خير وأبقى (فقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي أوتي كل ما ذكره الله تعالى في الكتاب من نعيم أهل الدنيا وتمكن من تمكن منهم ، وهذا أحد موجبات تأخر هذه السورة ، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا ولا ذكر أحد من المتنعمين بها لانقضاء هذا الغرض وتمامه ، وسورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من تمهيد إشاراتها ، وتبين بهذا وجه تعقيبها بها – والله تعالى أعلم – انتهى .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٣٧/٨

ولما أعطاه ما فرغه به للعبادة وأكسبه غنى لا حاجة معه ، سبب عنه قوله آمرا بما هو جامع لمجامع الشكر : (فصل) أي بقطع العلائق من الخلائق بالوقوف بين يدي الله في حضر المراقبة شكرا لإحسان المنعم خلافا للساهي عنها والمرائي فيها .

ولما أتى بمظهر العظمة لتكثير العطاء فتسبب عنه الأمر بما للملك من العلو ، وكان أمره (صلى الله عليه وسلم) تكوينا لا إباء معه ، وقع الالتفات إلى صفة الإحسان المقتضي للترغيب والإقبال لما يفيد من التحبيب ، مع التصريح بالتوحيد ، وإفادة أن العبادة لا تقع إلا شكر فقال تعالى : (لربك) أي المحسن إليك بذلك سرا وعلنا مراغما من شئت فلا سبيل." (١)

"ذكر السبب الذي هو بمفرده مانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر ، وأتبعه بما هو ناشىء عن الكفر ومستلزم له وهو دليل عليه. وذلك هو إتيان الصلاة وهم كسالى ، وإيتاء النفقة وهم كارهون. فالكسل في الصلاة وترك النشاط إليها وأخذها بالإقبال من ثمرات الكفر ، فإيقاعها عندهم لا يرجون به ثوابا ، ولا يخافون بالتفريط فيها عقابا. وكذلك الإنفاق للأموال لا يكرهون ذلك إلا وهم لا يرجون به ثوابا. وذكر من أعمال البر هذين العملين الجليلين وهما الصلاة والنفقة ، واكتفى بهما وإن كانوا أفسد حالا في سائر أعمال البر ، لأن الصلاة أشرف الأعمال البدنية ، والنفقة في سبيل الله أشرف الأعمال المالية ، وهما وصفان المطلوب إظهارهما في الإسلام ، ويستدل بهما على الإيمان ، وتعداد القبائح يزيد الموصوف بها ذما وتقبيحا. وقرأ الأخوان وزيد بن علي : أن يقبل بالياء ، وباقي السبعة بالتاء ، ونفقاتهم بالجميع ، وزيد بن علي بالإفراد. وقرأ الأعرج بخلاف عنه : أن تقبل بالتاء من فوق نفقتهم بالإفراد. وفي هذه القراءات الفعل مبني للمفعول. وقرأت فرقة : أن نقبل منهم نفقتهم بالنون ونصب النفقة. قال الزمخشري : وقراءة السلمي أن نقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله تعالى انتهى. والأولى أن يكون فاعل منع قوله : ألا أنهم أي كفرهم ، ويحتمل أن يكون لفظ الجلالة أي : وما منعهم الله ، ويكون إلا أنهم تقديره : إلا لأنهم كفروا. وأن تقبل مفعول ثان إما لوصول منع إليه بنفسه ، وإما على تقدير حذف حرف الجر ، فوصل الفعل إليه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيواة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ : لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة ، بين أن الأشياء التي يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى أسبابا ليعذبهم بها في الدنيا أي : ولا يعجبك أيها السامع بمعنى لا يستحسن ولا يفتتن

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٤٨/٨

بما أوتوا من

٥٣

زينة الدنيا كقوله : ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ وفي هذا تحقير لشأن المنافقين. قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وابن قتيبة : في الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة انتهى. ويكون إنما يريد الله ليعذبهم بها جملة اعتراض فيها تشديد للكلام وتقوية لانتفاء الإعجاب ، لأن من كان مآل إتيانه المال والولد للتعذيب لا ينبغي أن تستحسن حاله ولا يفتتن بها ، إلا أن تقييد الإيجاب المنهى عنه الذي يكون ناشئا عن أموالهم وأولادهم من المعلوم أنه لا يكون إلا في الحياة الدنيا ، فنفى ذلك ، كأنه زيادة تأكيد بخلاف التعذيب ، فإنه قد يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة ، ومع أن التقديم والتأخير لخصه أصحابنا بالضرورة. وقال الحسن : الوجه في التعذيب إنه بما ألزمهم فيها من أداء الزكاة والنفقة في سبيل الله ، فالضمير في قوله : بها ، عائد في هذا القول على الأموال فقط. وقال ابن زيد وغيره : التعذيب هو مصائب الدنيا ورزاياها هي لهم عذاب ، إذ لا يؤجرون عليها انتهى. ويتقوى هذا القول بأن تعذيبهم بإلزام الشريعة أعظم من تعذيبهم بسائر الرزايا ، وذلك لاقتران الذلة والغلبة وأمر الشريعة لهم قاله : ابن عطية ، وقد جمع الزمخشري هذا كله فقال : إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضهم للمغنم والسبي ، وبلاهم فيه بالآفات والمصائب ، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم ، وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم. وقيل : أموالهم التي ينفقونها فإنها لا تقبل منهم ولا أولادهم المسلمون ، مثل عبد الله بن عبد الله بن أبي وغيره ، فإنهم لا ينفعون آباءهم المنافقين حكاه القشيري. وقيل : يتمكن حب المال من قلوبهم ، والتعب في جمعه ، والوصل في حفظه ، والحسرة على تخلفته عند من لا يحمده ، ثم يقدم على ملك لا يعذره. وقدم الأموال على الأولاد لأنها كانت أعلق بقلوبهم ، ونفوسهم أميل إليها ، فإنهم كانوا يقتلون أولادهم خشية ذهاب أموالهم. قال تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ .

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤

(١) ".

"حيوة بفتحها وصفهم بشدة النظر للدنيا والتكسب منها ، فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم بالمعاول ونحوها في الحجارة. وآمنين ، قيل : من الانهدام. وقيل : من حوادث الدنيا. وقيل : من الموت لاغترارهم

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٥/٤٢

بطول الأعمار. وقيل : من نقب اللصوص ، ومن الأعداء. وقيل : من عذاب الله ، يحسبون أن الجبال تحميهم منه. قال ابن عطية : وأصح ما يظهر في ذلك أنهم كانوا يأمنون عواقب الآخرة ، فكانوا لا يعملون بحسبها ، بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها. ومصبحين : داخلين في الصباح. والظاهر أن ما في قوله فما أغنى نافية ، وتحتمل الاستفهام المراد منه التعجب. وما في كانوا يحتمل أن تكون مصدرية ، والظاهر أنها بمعنى الذي ، والضمير محذوف أي : يكسبونه من البيوت الوثيقة والأموال والعدد ، بل خروا جاثمين هلكى ﴿وما خلقنا السماوات والارض وما بينهمآ إلا بالحقا وإن الساعة لاتيةا فاصفح الصفح الجميل * إن ربك هو الخلاق العليم * ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني والقرءان العظيم * **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا بها أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل إنى أنا النذير المبين *كمآ أنزلنا على المقتسمين * الذين جعلوا القرءان عضين * فوربك لنسالنهم أجمعين * عما كانوا يعملون * فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزءين * الذين يجعلون مع الله إلـاها ءاخرا فسوف يعلمون * ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ : إلا بالحق أي : خلقا ملتبسا بالحق. لم يخلق شيء من ذلك عبثا ولا هملا ، بل ليطيع من أطاع بالتفكر في ذلك الخلق العظيم ، وليتذكر النشأة الآخرة بهذه النشأة الأولى. ولذلك نبه من يتنبه بقوله : وأن الساعة لآتية ، فيجازي من أطاع ومن عصي. ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصفح ، وذلك يقتضي المهادنة ، وهي مـنسوخة بآية السيف قاله قتادة. أو إظهار الحكم عنهم والإغضاء لهم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٥٥

ولما ذكر خلق السموات والأرض وما بينهما قال : إن ربك هو الخلاق ، أتى بصفة المبالغة لكثرة ما خلق ، أو الخلاق من شاء لما شاء من سعادة أو شقاوة. وقال الزمخشري : الخلاق الذي خلقك وخلقهم ، وهو العليم بحالك وحالهم ، فلا يخفى عليه ما يجري بينكم. أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم ، وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح. وقرأ زيد بن علي ، والجحدري ، والأعمش ، ومالك بن دينار : هو الخالق ، وكذا في مصحف أبي وعثمان ، من المثاني.

". (١)

"استثناها لهذه الأمة ولم يعطها لغيرها وقال نحوه ابن أبي مليكة وقرأت فرقة والقرآن بالخفض عطفا على " المثاني " وقرأت فرقة والقرآن بالنصب عطفا على قوله " سبعا " وقال زياد بن أبي مريم المراد بقوله

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٣٧٨/٥

" ولقد آتيناك سبعا " أي سبع معان من القرآن وخولناك فيها شرف المنزلة في الدنيا والآخرة وهي مر وانه وبشر وأنذر واضرب الأمثال واعدد النعم واقصص الغيوب وقال أبو العالية السبع المثاني هي آية فاتحة الكتاب ولقد نزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطوال شيء وقوله " **لا تمدن عينيك** " الآية حكى الطبري عن سفيان بن عيينة أنه قال هذه الآية أمر بالاستغناء بكتاب الله عن جميع زينة الدنيا وهي ناظرة إلى قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي يستغني به .

٣٧٤

قال القاضي أبو محمد فكأنه قال ولقد آتيناك عظيما خطيرا فلا تنظر إلى غير ذلك من أمور الدنيا وزينتها التي متعنا بها أنواعا من هؤلاء الكفرة ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما وكأن مد العين يقترن به تمن ولذلك عبر عن الميل إلى زينة الدنيا ب مد العين والأزواج هنا الأنواع والأشباه وقوله " ولا تحزن عليهم " أي لا تتأسف لكفرهم وهلاكهم واصرف وجه تحفيك إلى من آمن بك " واخفض " لهم " جناحك " وهذه استعارة بمعنى لين جناحك ووطيء أكنافك .

والجناح الجانب والجنب ومنه " واضمم يدك إلى جناحك " فهو أمر بالميل إليهم والجنوح الميل " وقل إني أنا النذير المبين " أي تمسك بهذا القدر العظيم الذي وهبناك والكاف من قوله "كما " متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل إني أنا النذير المبين عذابا كالذي أنزلنا على المقتسمين فالكاف اسم في موضع نصب .

قال القاضي أبو محمد هذا قول المفسرين وهو عندي غير صحيح لأن "كما " ليس مما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من قول الله تعالى له فينفصل الكلام وإنما يترتب هذا القول بأن نقدر أن الله تعالى قال له تنذر عذابا كما والذي أقول في هذا المعنى وقل أنا النذير كما قال قبلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك ويحتمل أن يكون المعنى وقل أنا النذير كما قد أنزلنا قبل في الكتب أنك ستأتي نذيرا وهذا على أن " المقتسمين " أهل الكتاب واختلف الناس في " المقتسمين " من هم فقال ابن زيد هم قوم صالح الذين اقتسموا السيئات فالمقتسمون على هذا من القسم .

". (١)

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٣/٣٧١

"الخمس " قبل طلوع الشمس " صلاة الصبح " وقبل غروبها " صلاة العصر و " من آناء الليل " العتمة " وأطراف النهار " المغرب والظهر وقال فرقة " آناء الليل " المغرب والعشاء " وأطراف النهار " الظهر وحدها ويحتمل اللفظ أن يراد قول سبحان الله وبحمده من بعد صلاة الصبح إلى ركعتي الضحى وقبل غروب الشمس فقد قال صلى الله عليه وسلم من سبح قبل غروب الشمس سبعين تسبيحة غربت بذنوبه ع وسمى الطرفين أطرافا على أحد وجهين إما على نحو فقد صغت قلوبكما وإما على أن يجعل النهار للجنس فلكل يوم طرف وهي التي جمع وأما من قال " أطراف النهار " لصلاة الظهر وحدها فلا بد له من أن يتمسك بأن يكون النهار للجنس كما قلنا أو نقول إن النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال ولكل قسم طرفان فعند الزوال طرفان الآخر من القسم الأول والأول من القسم الآخر فقال عن الطرفين أطرافا على نحو فقد صغت قلوبكما وأشار إلى هذا النظر ابن فورك في المشكل والآناء جمع أنى وهي الساعة من الليل ومنه قول الهذلي

(حلو ومر كعطف القدح مر به

في كل أنى حداة الليل تنتقل)

وقالت فرقة في الآية إشارة إلى نوافل فمنها " آناء الليل " ومنها " قبل طلوع الشمس " وركعتا الفجر والمغرب " أطراف النهار " وقرأ الجمهور لعلك ترضى بفتح التاء أي لعلك تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم لعلك ترضى أي لعلك تعطى ما يرضيك قوله عز وجل

سورة طه ١٣١ - ١٣٣

قال بعض الناس سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل به ضيف فلم يكن عنده شيء فبعث إلى يهودي ليسلفه شعيرا فأبى اليهودي إلا برهن فبلغ الرسول بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض فرهنه درعه فنزلت الآية في ذلك

قال القاضي أبو محمد وهذا معترض أن يكون سببا لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم لأنه مات ودرعه

مرهونة بهذه القصة التي ذكرت وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها وذلك أن الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار بالأمم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل ثم أمر نبيه بالاحتقار لشأنهم والصبر على أقوالهم والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا إذ ذاك منحصر عندهم صائر بهم إلى خزي وقوله " **ولا تمدن عينيك** " أبلغ من ولا تنظر لأن الذي يمد بصره إنما يحمله على ذلك حرص مقترن والذي ينظر قد

لا يكون ذلك معه والأزواج الأنواع فكأنه قال " إلى ما متعنا به " أقواما منهم وأصنافا وقوله تعالى " زهرة الحياة الدنيا " شبه نعم هؤلاء الكفار

٧١

". (١)

"بالزهر وهو ما اصفر من النور وقيل الزهر النور جملة لأن الزهر له منظر ثم يضمحل فكذلك حال هؤلاء ونصب " زهرة " يجوز أن ينصب على الحال وذلك أن تعرفها ليس بمحض وقرأت فرقة زهرة بسكون الهاء وفرقة زهرة بفتح الهاء ثم أخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن ذلك إنما هو ليختبرهم به ويجعله فتنة لهم وأمرا يجازون عليه بالسوء لفساد تقلبهم فيه " ورزق " الله تعالى الذي أحله للمتقين من عباده " خير وأبقى " أي رزق الدنيا خير ورزق الآخرة أبقى وبين أنه خير من رزق الدنيا ثم أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة وتمثيلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها ويتكفل هو برزقه لا إله إلا هو وأخبره أن العاقبة الأولى التقوى وفي حيزها فثم نصر الله في الدنيا ورحمته في الآخرة وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عمومه جميع أمته وروي أن عروة بن الزبير رضي الله عنه كان إذا رأى شيئا من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله وهو يقرأ " **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا " الآية إلى قوله " وأبقى " ثم ينادي بالصلاة الصلاة يرحمكم الله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بهذه الآية وقرأ الجمهور نحن نرزقك بضم القاف وقرأت فرقة نرزقك بسكونها ثم أخبر تعالى عن طوائف من الكفار قالوا عن محمد صلى الله عليه وسلم " لولا يأتينا بآية من ربه " أي بعلامة مما اقترحناها عليه وبما يبهر ويضطر

قال القاضي أبو محمد ورسل الله إنما اقترنت معهم آيات معرضة للنظر محفوفة بالبراهين العقلية ليضل من سبق في علم الله تعالى ضلاله ويهتدي من سبق في علم الله تعالى هداه فوبخهم الله تعالى بقوله " أو لم تأتهم بينه ما في الصحف الأولى " يعني التوراة أعظم شاهد وأكبر آية له وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم تأتهم على لفظه " بينة " وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم يأتهم بالياء على المعنى وقرأت فرقة بينة ما بالإضافة إلى " ما

" وقرأت فرقة بينة بالتنوين و " ما " على هذه القراءة فاعلة ب تأتي وقرأ الجمهور في الصحف بضم الحاء وقرأت فرقة في الصحف بسكونها

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٨٧/٤

". (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾ [الحجر: ٨٨] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذابا غليظا ﴿ولا تحزن عليهم﴾ [الحجر: ٨٨] يقول: ولا تحزن على ما متعوا به." (٢)

"فعجل لهم، فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم، يقال منه: مد فلان عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراده وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أي من لم يستغن به، ويقول: ألا تراه يقول: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم. لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ [الحجر: ٨٨] فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿أزواجا﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال أهل التأويل." (٣)

"ذكر من قال ذلك: حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء، وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " ﴿ﷺلا تمدن عينيك إلى ما -[١٢٨]- متعنا به أزواجا منهم﴾ [الحجر: ٨٨] الأغنياء، الأمثال، الأشباه " حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله." (٤)

"حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ﷺلا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ [الحجر: ٨٨] قال: «نهي الرجل أن يتمنى مال صاحبه»." (٥)

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤/٨٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٢٦/١٤

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٢٧/١٤

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٢٧/١٤

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٢٨/١٤

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١] . يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم متعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها، من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها ﴿لنفتنهم فيه﴾ [طه: ١٣١] يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإن ذلك فان زائل، وغرور وخدع تضمحل ﴿ورزق ربك﴾ [طه: ١٣١] الذي وعدك أن يرزقكه في الآخرة حتى ترضى، وهو ثوابه إياه ﴿خير﴾ [البقرة: ٥٤] لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا ﴿وأبقى﴾ [طه: ٧١] يقول: وأدوم، لأنه لا انقطاع له ولا نفاذ.." (١)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي رافع، قال: ﷺأرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي يستسلفه، فأبى أن يعطيه إلا برهن، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه: ١٣١]." (٢)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن يعقوب بن زيد، عن أبي رافع، قال: ﷺنزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف: فأرسلني إلى يهودي بالمدينة يستسلفه، فأتيته، فقال: لا أسلفه إلا برهن، فأخبرته بذلك، فقال: «إني لأمين في أهل السماء وفي أهل الأرض، فاحمل درعي إليه» فنزلت: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر: ٨٧] وقوله: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه: ١٣١] إلى قوله: ﴿والعاقبة للتقوى﴾ [طه: ١٣٢]-[٢١٥]- ويعني بقوله: ﴿أزواجا منهم﴾ [الحجر: ٨٨] رجالا منهم أشكالا، وبزهرة الحياة الدنيا: زينة الحياة الدنيا." (٣)

"ذكر من قال ذلك: حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، قال: كان ﷺعروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره، فقال: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢١٣/١٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢١٤/١٦

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢١٤/١٦

الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ [طه: ١٣٢] ثم ينادي: الصلاة الصلاة، يرحمكم الله.." [(١)]

"[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٧ الى ٩٩]

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١)

فو ربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣) فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤) إنا كفيناك المستهزئين (٩٥) الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون (٩٦)

ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)

ولقد آتيناك سبعا من المثاني اختلفوا فيه.

روى عبد الوهاب عن ابن مسعود عن أبي نصر عن رجل من عبد القيس يقال له جابر أو جويبر عن ابن مسعود أن عمر قال: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب.

روى إسماعيل السدي عن عبد خير عن علي (رضي الله عنه) ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال: فاتحة الكتاب [١٧٩] .

عن ابن سيرين أن ابن مسعود قال في السبع المثاني: فاتحة الكتاب، والقرآن العظيم سائر القرآن.

وعن عبد الرحمن عن أحمد الطابقي قال: أتيت أبا هريرة وهو في المسجد فقرأت عليه فاتحة القرآن.

فقال أبو هريرة: هذه السبع المثاني.

شعبة عن قتادة في قوله: ولقد آتيناك سبعا من المثاني، قال: هي فاتحة الكتاب.

وسمعت الكلبي يقول: هي أم الكتاب.

ابن جريج عن عطاء في قوله تعالى سبعا من المثاني قال: هي أم القرآن والآية السابعة بسم الله الرحمن الرحيم.

وهذا قول الحسن وأبي العالية وسعيد بن جبير وإبراهيم وابن أبي مليكة وعبد الله بن عبيد ابن عمرو ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وصالح الحنفي قاضي مرو.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢١٧/١٦

ويدل عليه ما روى أبو سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله رب العالمين سبع آيات إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم وهي ،السبع المثاني وهي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب» [١٨٠] «١» .

---

(١) تفسير الطبري: ١/ ٧٣.." (١)

"وقال بعضهم: سميت مثاني لأنها مقسومة بين الله وبين العبد قسمين اثنين، بيانه والذي يدل عليه ما

روى أبو السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام» [١٨٥] «١» .

قال أبو السائب لأبي هريرة: إني أحيانا أكون وراء الامام.

قال: فغمز أبو هريرة ذراعي، وقال: يا فارسي اقرأها في نفسك إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرؤا، يقول: العبد: الحمد لله رب العالمين، فيقول الله: حمدني عبدي، ويقول العبد: الرحمن الرحيم، فيقول الله: أثنى علي عبدي، فيقول العبد: مالك يوم الدين، فيقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذه الآية بيني وبين عبدي، يقول العبد: اهدنا الصراط إلى آخره، يقول الله: فهذا لعبدي ولعبدي ما سأل» [١٨٦] «٢» .

ويقال: سميت (مثاني) لأنها منقسمة إلى قسمين: نصفها ثناء ونصفها دعاء، ونصفها حق الربوبية ونصفها حق العبودية، وقيل: لأن ملائكة السماوات يصلون الصلوات بها، كما أن أهل الأرض يصلون بها. وقيل: لأن حروفها وكلماتها مثناة، ومثل الرحمن الرحيم، إياك وإياك، الصراط ... صراط، عليهم ... عليهم، غير ... غير، في قراءة عمر.

وقال الحسين بن الفضل وغيره: لأنها تقرأ مرتين كل مرة معها سبعون ألف ملك، مره بمكة من أوائل ما نزل من القرآن، ومرة بالمدينة، والسبب هو أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود بني قريظة والنضير في يوم واحد وفيها أنواع من البز وأوعية [وأفاوية] الطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٤٨/٥

هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله تعالى هذه السورة «٣» .

وقال: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل، ودليل هذه التأويل قوله في عقبها: **ولا تمدن عينيك** الآية.

وقيل: لأنها متصدرة بالحمد، والحمد كل كلمة تكلم بها آدم حين عطس وهي آخر كلام أهل الجنة من ذريته، قال الله: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين «٤» .

---

(١) مسند أحمد: ٢/ ٢٨٥.

(٢) الدر المنثور: ١/ ٦، الجامع الصغير: ٢/ ٢٣٧.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ١٨٧.

(٤) سورة يونس: ١٠.." (١)

"وعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن. ويكون فيه إضمار تقديره: وهي للقرآن العظيم.

فاحتج بقول الشاعر:

الى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم «١»

مجازة: الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة في المزدحم.

وروى عتاب بن بشر عن حنيف عن زياد بن أبي مريم في قوله: سبعا من المثاني قال:

أعطيتك سبعة أجزاء وهي سبع معان في القرآن: مر، وانه، وبشر، وأنذر، واضرب الأمثال وأعدد النعم، وآتيتك نبأ القرآن «٢» .

لا تمدن عينيك يا محمد إلى ما متعنا به أزواجا أصنافا منهم من الكفار متمنيا إياها. نهى رسوله عن الرغبة في الدنيا.

وقال أنس: مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم إبل أيام الربيع وقد حبست في أبعارها وأبوالها. فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عينه بكمه وقال: «بهذا أمرني ربي» [١٨٩] ثم تلا هذه الآية.

واخفض جناحك لين جانبك للمؤمنين وارفق بهم.

والجناحان من ابن آدم جانباه، ومنه قوله: واضمم يدك إلى جناحك أي جنبك وناحيتك.

وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا، قال الفراء: مجازه: أنذركم عذابا على المقتسمين. فأختلفوا فيهم.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٥٠/٥

فروى الأعمش عن أبي ظبيان قال: سمعت ابن عباس يقول في قوله: كما أنزلنا على المقتسمين، قال: هم اليهود والنصارى.

الذين جعلوا القرآن عضين جزءوه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

وقال عكرمة: سموا مقتسمين لأنهم كانوا يستهزؤن فيقول بعضهم: هذه السورة لي. وقال بعضهم: هذه لي، فيقول أحدهم: لي سورة البقرة، ويقول الآخر: لي سورة آل عمران.

وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى، قسموا كتابهم ففرقوه وبددوه.

وقال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا عقاب

---

(١) تفسير الطبري: ٢/ ١٣٧، تفسير القرطبي: ١/ ٣٨٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٤/ ٧٦. [.....]."(١)

"وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا بينا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم القرآن ذكرا عظة وعبرة. وقال قتادة: جدا وورعا.

فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه قرأ يعقوب بفتح النون والياءين، وقرأ الآخرون: بضم الياء الأولى والأخرى وسكون الوسطى.

قال مجاهد وقتادة: لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه، نهى عن تلاوة الآية التي تنزل عليه وإملائه على أصحابه قبل بيان معناها، وهذه رواية العوفي عن ابن عباس.

وقال في سائر الروايات «١»

: كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبرائيل بالوحي يقرأه مع جبرائيل، ولا يفرغ جبرائيل مما يريد من التلاوة حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بأوله حرصا منه على ما كان ينزل عليه وشفقة على القرآن مخافة الانفلات والنسيان، فنهاه الله سبحانه عن ذلك وقال: ولا تعجل بالقرآن أي بقراءة القرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه من قبل أن يفرغ جبرئيل من تلاوته عليك.

وقل رب زدني علما بالقرآن أي فهما

، وقيل: حفظا ونظيرها قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به

الآية «٢» .

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٥٢/٥

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١١٥ الى ١٣٥]
ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما (١١٥) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى (١١٦) فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (١١٧) إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨) وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى (١١٩)
فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢) قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (١٢٧) أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩)
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤)
قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

---

(١) تفسير القرطبي: ١١/. ٢٥ بتفاوت. [.....]
(٢) القيامة: ١٦.." [١]

"قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا بعيني، وقال مجاهد: عالما بحجتي.
قال كذلك يقول كما أتتك آياتنا فنسيتها فتركتها وأعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى تترك في النار وكذلك

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٦٢/٦

أي وكما جزينا من أعرض «١» وكذلك نجزي من أسرف أشرك ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد مما يعذبهم به في الدنيا والقبر. وأبقى وأدوم وأثبت.

أفلم يهد لهم يتبين لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ومنازلهم إذا سافروا واتجروا.

إن في ذلك لآيات لأولي النهى. ولولا كلمة سبقت من ربك نظم الآية، ولولا كلمة سبقت من ربك في تأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزاما لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة.

فاصبر على ما يقولون نسختها آية القتال وسبح بحمد ربك وصل بأمر ربك، وقيل:

بثناء ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الصبح وقبل غروبها يعني صلاة العصر ومن آناء الليل صلاة العشاء الآخر فسبح وأطراف النهار صلاة الظهر والمغرب، وإنما قال:

أطراف لهاتين الصلاتين لأن صلاة الظهر في آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر من النهار فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلي المغرب، فلذلك قال: أطراف «٢» ، ونصب «٣» عطفا على قوله: قبل طلوع الشمس.

لعلك ترضى بالشفاعة والثواب، قرأه العامة: بفتح التاء، ودليله قوله تعالى: ولسوف يعطيك ربك فترضى وقرأ الكسائي وعاصم برواية أبي بكر بضم التاء.

ولا تمدن عينيك الآية.

قال أبو رافع: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي يستسلفه فأبى أن يعطيه إلا برهن، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله سبحانه **ولا تمدن عينيك** ولا تنظر إلى ما متعنا به أزواجا منهم أي أعطيناهم أصنافا من نعيم الدنيا زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وبهجتها

، قرأه العامة بجزم الهاء، وقرأ يعقوب بفتحها وهما لغتان مثل: جهرة وجهرة، وإنما نصبها على القطع والخروج من الهاء في قوله: متعنا به.

---

(١) في نسخة أصفهان: زيادة: عن القرآن.

(٢) في نسخة أصفهان: زيادة: النهار.

(٣) في نسخة أصفهان: زيادة: أطراف.." [1]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٢٦٦

"ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا وإنما نكلفك عملا نحن نرزقك والعاقبة الجملية المحمودة للتقوى أي لأهل التقوى.

قال هشام بن عروة: كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره وقال: **ولا تمدن عينيك**، إلى قوله والعاقبة للتقوى ثم ينادي: الصلاة الصلاة يرحمكم الله.

وقال مالك بن دينار: كان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة يقول: قوموا فصلوا، ثم يقول: بهذا أمر الله رسوله، ويتلو هذه الآية.

وقالوا يعني هؤلاء المشركين لولا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى بها الأنبياء من قبله.

قال الله سبحانه أولم تأتهم بالتاء، قرأه أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة لتأنيث البينة، وقرأ الآخرون بالياء لتقديم الفعل ولأن البينة هي البيان فرده إلى المعنى بينة ما في الصحف الكتب الأولى أي بيان ما فيها يعني القرآن أقوى دلالة وأوضح آية.

وقال بعض أهل المعاني: يعني ألم يأتهم بيان ما في الكتب الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما من أنباء الأمم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات، فأتتهم فكفروا بها، كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك بكفرهم بها فما تؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك.

ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله أي من قبل نزول القرآن ومجيء محمد صلى الله عليه وسلم.

لقالوا ربنا لولا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى بالعذاب قل يا محمد لهم كل متربص منتظر دوائر الزمان وما يكون من الحدثان ولمن يكون الفلح والنصر. فتربصوا فستعلمون إذا جاء أمر الله تعالى وقامت القيامة من أصحاب الصراط السوي المستقيم ومن اهتدى من الضلالة أنحن أم أنتم؟.." (١)

"وقيل: " السبع المثاني ": الحمد " والقرآن العظيم " الحواميم.

وقال علي وأبو هريرة: والسبع المثاني، فاتحة الكتاب، قاله قتادة ومجاهد.

وقيل: المعنى وآتيناك سبع آيات وهي الحمد ﴿من المثاني﴾ من القرآن، فمن للتبعيض.

و [قوله] ﴿والقرآن العظيم﴾ عني به الحمد على قول من رأى السبع المثاني [السبع] الطوال.

وقيل: [هي] القرآن كله.

ثم قال تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٦٧/٦

معناه / استعن بما آتاك الله من القرآن عما في أيدي الناس. ومنه حديث النبي A: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " أي: يستغني به عن المال. وعلى هذا تأول الحديث سفيان بن عيينة، وتأول الآية. وروى: من حفظ القرآن فرأى أن أحدا." [1]

"وقوله: ﴿لعلك ترضى﴾ أي: في الآخرة. ولعل من الله واجبة.

ثم قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾.

أي: لا تنظر يا محمد إلى ما جعلناه لهؤلاء المعرضين عن آيات الله وأشكالهم من متعة متعوا بها في الدنيا ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: لنختبرهم فيما متعناهم به.

وروي أن النبي A مر على إبل لبعض العرب قد سمنت فتقنع ثم مر ولم ينظر إليها، لقول الله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم. . .﴾ الآية.

" وزهرة " منصوبة بمعنى: متعنا، لأن " متعنا " بمعنى: جعلنا، أي: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة.

ثم قال تعالى ذكره: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾.

أي: وعده لك بما يعطيك في الآخرة خير لك " وأبقى " أي: " وأدوم ".:

ويروى أن هذه الآية نزلت على النبي A من قبل أنه بعث إلى يهدي يستسلف منه طعاما، فأبى أن يسلفه إلا برهن فحزن النبي لذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى م١ متعنا﴾ الآية، ونزلت ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * **لا تمدن عينيك**﴾ [الحجر: ٨٧ – ٨٨] الآية.

وقوله: ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ يعني: زينتها.." [2]

"﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به﴾ نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا فخظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها وقوله: ﴿أزواجا منهم﴾ أي: أصنافا من الكفار كالمشركين واليهود وغيرهم يقول: لا تنظر إلى ما متعناهم به في الدنيا ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ لين جانبك وارفق بهم." [3]

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦/٣٩٢٦

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧/٤٧١٩

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٥٩٧

"﴿ولا تمدن عينيك﴾ مفسر في سورة الحجر وقوله: ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ أي: زينتها وبهجتها ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنجعل ذلك فتنة لهم ﴿ورزق ربك﴾ لك في المعاد ﴿خير وأبقى﴾ أكثر وأدوم." [1]

"[وقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها﴾، قال النحويون: في الآية مقدر كأنه قيل: إنما يريد الله أن يملي لهم فيها ليعذبهم، فتكون هذه اللام لام العاقبة (١)، ويجوز أن تكون هذه اللام بمعنى (أن) تعاقبها (٢)] (٣).

وقوله تعالى: ﴿في الحياة الدنيا﴾، قال مجاهد (٤)، وقتادة (٥)، والسدي (٦): المراد بهذا: التقديم، على تقدير: أموالهم (٧) وأولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، وهذا يروى عن ابن عباس أيضا: رواه الوالبي (٨)، ومن المفسرين من أقره في موضعه (٩)، قال

= الآية كقوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ وقوله تعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾. انظر: "تفسير ابن جرير" ١٠/ ١٥٣، وابن عطية ٦/ ٥٢٥، وابن كثير ٢/ ٣٩٩.

(١) ذكر أبو حيان أن هذا القول للرماني المعتزلي، واستنكره. انظر: "البحر المحيط" ٥/ ٥٤.

(٢) يعني أن اللام و (أن) تعتقبان وتحل إحداهما مكان الأخرى، كقوله تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ [النساء: ٢٦] أي: أن يبين لكم.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ١١٤ ب، والبغوي ٤/ ٥٩.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٣، والثعلبي والبغوي، نفس الموضعين السابقين.

(٦) رواه ابن أبي حاتم والثعلبي، نفس الموضعين السابقين.

(٧) اختصر المؤلف الجملة، وفي "تفسير الثعلبي" والبغوي وغيرهما: فلا تعجبك أموالهم ... إلخ.

(٨) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٣، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" ٣/ ٤٤٧.

(٩) منهم الإمام ابن جرير حيث قال في "تفسيره" ١٠/ ١٥٣: (وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا، التأويل الذي ذكرنا عن الحسن؛ لأن ذلك هو الظاهر من =." [2]

---

(١) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٧٠٨

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٩٢/١٠

"أن يكون المراد بالسبع الفاتحة؛ لأنها سبع آيات من القرآن الذي هو مثاني (١).

وقوله تعالى: ﴿والقرآن العظيم﴾ على هذا القول هوالسبع المثاني، إلا أنه أدخل الواو فيه لاختلاف اللفظين (٢)، كقوله (٣):

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وقد ذكرنا نظائر هذا كثيرا.

٨٨ - قوله تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به﴾ الآية. قال ابن عباس: نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا، فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها (٤)، وقال في رواية عطاء: ولا تتمن ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا، ولا يقع في قلبك حلاوتها ولا شيء من زينتهم (٥)، فدل هذا التفسير

---

(١) وهذا القول اختاره الطبري، وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وأبي مالك. "تفسير الطبري" ١٤/ ٥٧.

(٢) لعل توجيه الزمخشري أحسن؛ إذ قال: فإن قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع؟ وهل هو إلا عطف الشيء عءلى نفسه؟! قلت: إذا عني بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل، ألا ترى إلى قوله: ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ يعني سورة يوسف، وإذا عنيت الأسباع فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم؛ أي الجامع لهذين النعتين؛ وهو الثناء أو التثنية والعظم. "تفسير الزمخشري" ٢/ ٣١٩، وهناك توجيهات أخرى، انظرها في "تفسير ابن الجوزي" ٤/ ٤١٦.

(٣) سبق عزوه.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٦١ بمعناه من طريق العوفي (غير مرضية)، وورد في تفسيره "الوسيط" تحقيق: سيسي ٢/ ٣٧٠ بنصه، وانظر: "تفسير ابن كثير" ٢/ ٦١٤، و"الدر المنثور" ٤/ ١٩٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٥) "تفسير الفخر الرازي" ١٩/ ٢١٠.." [١]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦٥٥/١٢

"ذلك؛ يعني أصناف الكفار من المشركين واليهود وغيرهم، وقال المفضل: ﴿أزواجا منهم﴾ أي رجالا ونساء أغنيناهم، **فلا تمدن عينيك** إلى ما أعطيناهم (١).

وقوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ قال ابن عباس: يريد على ما فاتك من الدنيا، قال أهل المعاني: معناه: لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك، وقال الحسن: لا تحزن عليهم بما يصيرون إليه من العذاب بكفرهم (٢)، ونحو هذا قال الكلبي: لا تحزن على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب (٣)، ثم نزل يوم بدر.

وقوله تعالى: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ الخفض معناه في اللغة: نقيض الرفع، ومنه قوله تعالى في صفة القيامة: ﴿خافضة رافعة﴾ [الواقعة: ٣] أي: أنها تخفض أهل المعاصي وترفع أهل الطاعة (٤)، فالخفض معناه الوضع، والجناح من الإنسان يده، قال الليث: يد الإنسان جناحاه (٥)، ومنه قوله: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ [القصص: ٣٢] والعرب تقول: فلان خافض الجناح، وخافض الطير، إذا كان وقورا ساكنا (٦) ومعنى الآية: كأنه يقول لن واسكن لهم.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ورد بنحوه غير منسوب في "تفسير الماوردي" ٣/ ١٧١، "تفسير القرطبي" ١٠/ ٥٧.

(٣) انظر: تفسيره "الوسيط"، تحقيق: سيسي ٢/ ٣٧٠ بنصه، وورد بنحوه غير منسوب في "تفسير السمرقندي" ٢/ ٢٢٥، وابن الجوزي ٤/ ٤١٦.

(٤) انظر: "تهذيب اللغة" "خفض" ١/ ١٠٦٦ بنصه.

(٥) "تفسير الفخر الرازي" ١٩/ ٢١١.

(٦) ورد في "تهذيب اللغة" (خفض) ١/ ١٠٦٦ بنصه، وانظر: "تفسير القرطبي" ١٠/ ٥٧.." [(١)]

"والمعاد واجبا من الله لك) (١) وفيه قراءتان:

ضم التاء وفتحها (٢). فمن فتح التاء وهو الذي فسره ابن عباس فحجته قوله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى: ٥]. ومن ضم التاء فحجته قوله: ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ [مريم: ٥٥] ويكون المعنى لعلك ترضى بفعل ما أمرك به من الأفعال التي يرضاها الله، أو ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة (٣). واختار أبو عبيد هذه القراءة لاحتمالها معنيين أحدهما: ترضى: تعطى الرضى، والآخر: يرضاك الله، قال: (وتصديقها قوله: ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ [مريم: ٥٥] قال: وليس في الآخرة إلا وجه واحد) (٤). هذا

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦٥٧/١٢

كلامه.

١٣١ - قوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ الآية، قال أبو رافع (٥): (نزل

---

(١) لم أقف عليه. ويشهد لهذا المعنى قوله سبحانه في سورة الضحى الآية رقم (٥): ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾. والحق أن الله تعالى لا يجب عليه شيء لخلقه، وما يعطيهم فهو فضل منه وكرم. قال الألوسي في "روح المعاني" ١٦/ ٢٨٣: رجاء أن تنال عنده ما ترضى به نفسك من الثواب، واستدل به على عدم الوجوب على الله تعالى.

(٢) قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وعا صم في رواية حفص: (لعلك ترضى) بفتح التاء، وقرأ الكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر: (لعلك ترضى) بضم التاء.

انظر: "السبعة" ص ٤٢٥، "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٢٥٢، "المبسوط في القراءات" ص ٢٥١، "التبصرة" ص ٢٦١

(٣) "جامع البيان" ١٦/ ٢٣٤، "تفسير كتاب الله العزيز" ٣/ ٦، "بحر العلوم" ٢/ ٣٥٩.

(٤) "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٢٥٣، "حجة القراءات" ص ٤٦٤.

(٥) أبو رافع، مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، اشتهر بكنيته، واسمه على المشهور أسلم، دخل في الإسلام قبل بدر ولم يشهدها، وشهد أحدا وما بعدها، وروى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- =."
(١)

"وقوله تعالى: ﴿أزواجا منهم﴾ قال أبي بن كعب: (أشباها من الكفار) (١). يعني أشكالا من المزاوجة بين الأشياء وهي المشاكلة، وذلك أنهم أشكال في الذهاب عن الصواب. وقد فسرنا هذه الآية في آخر سورة الحجر (٢). وقال أبي بن كعب في هذه الآية: (فمن لم يتعز بعزة الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا، ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه، ولا يشفى غيظه، ومن لم ير الله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه وحضر عذابه) (٣).

وقوله تعالى: ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس، والسدي: (زينة الدنيا) (٤). وقال أهل اللغة: (زهرة الدنيا بهجتها ونضارتها وحسنها، وأصلها من زهرة الشجرة، وهي الأنوار التي تروق عند الرؤية) (٥). قال

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤/٥٥٩

أبو إسحاق: (و ﴿زهرة﴾ منصوب بمعنى متعنا؛ لأن معناه جعلنا لهم ما متعناهم به زهرة الحياة الدنيا) (٦).

---

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير بدون نسبة. انظر: "جامع البيان" ١٦/ ٢٣٥، "المحرر الوجيز" ١٥/ ١١٦، "التفسير الكبير" ٢٢/ ١٣٦، "روح المعاني" ١٦/ ٢٨٣.

(٢) عند قوله سبحانه في سورة الحجر الآية رقم: (٨٨): ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾.

(٣) "معالم التنزيل" ٣/ ٢٣٧.

(٤) "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٨٩، وذكره الطبري في "تفسيره" ١٦/ ٢٣٥ ونسبة لقتادة، وكذلك الماوردي في "النكت والعيون" ٣/ ٤٣٣، والسيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٥٦٠.

(٥) انظر: "تهذيب اللغة" (زهر) ٢/ ١٥٦٩، "مقاييس اللغة" (زهر) ٣/ ٣١، "القاموس المحيط" (الزهرة) ٢/ ٤٣، "الصحاح" (زهر) ٢/ ٦٧٤، "لسان العرب" (زهر) ٣/ ١٨٧٧.

(٦) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٨٠.." [1]

"ذلك في ﴿ [الأعراف، وقوله:] آمنين﴾ [سورة الحجر: ٨٢] قال الفراء: آمنين من أن تقع عليهم.

﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ [الحجر: ٨٣] أتتهم صيحة عظيمة، فماتوا عن آخرهم في وقت الصبح. وهذا مما قد تقدم في ﴿ [الأعراف.

وقوله:] فما أغنى عنهم﴾ [سورة الحجر: ٨٤] أي: ما دفع عنهم العذاب، ﴿ما كانوا يكسبون﴾ [الحجر: ٨٤] من الأموال والأنعام.

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ﴿٨٥﴾ إن ربك هو الخلاق العليم ﴿٨٦﴾ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرءان العظيم ﴿٨٧﴾ **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ﴿٨٨﴾ وقل إني أنا النذير المبين ﴿٨٩﴾ كما أنزلنا على المقتسمين ﴿٩٠﴾ الذين جعلوا القرءان عضين ﴿٩١﴾ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴿٩٢﴾ عما كانوا يعملون ﴿٩٣﴾ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴿٩٤﴾ إنا كفيناك المستهزئين ﴿٩٥﴾ الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ﴿٩٦﴾ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٦١/١٤

﴿٩٧﴾ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴿٩٨﴾ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٨٥-٩٩] ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ [الحجر: ٨٥] أي: للحق وإظهار الحق، وهو الثواب للمصدق، والعقاب للمكذب، ﴿وإن الساعة لآتية﴾ [الحجر: ٨٥] وإن القيامة لتأتي، فيجازى المشركون بقبح أعمالهم، ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ [الحجر: ٨٥] أعرض عنهم إعراضا بغير جزع، وهذا منسوخ بآية القتال.

﴿إن ربك هو الخلاق﴾ [الحجر: ٨٦] خالق كل شيء، العليم بما خلق.

قوله: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾ [الحجر: ٨٧] واحد المثاني مثناة، وهي كل شيء يثنى، أي يجعل اثنين، وأكثر أهل التفسير على أن المراد بالسبع المثاني فاتحة الكتاب، وهو قول عمر، وعلي، وابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والربيع، والكلبي، وروي ذلك مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٥١٢ - أخبرناه أبو إبراهيم بن أبي القاسم الصوفي، أنا محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي، نا الحسين بن موسى بن خلف، نا إبراهيم بن الهيثم البلدي، نا آدم بن أبي إياس، نا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم» ، رواه البخاري، عن آدم، وإنما." (١)

"سميت الفاتحة السبع المثاني؛ لأنها سبع آيات وهي تثنى في كل صلاة بإعادتها في كل ركعة

وقال الزجاج: ويجوز أن يكون من المثاني مما أثني به على الله، لأن فيها حمد الله وتوحيده، وذكر ملكه يوم الدين، المعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله.

وهذه الآية تدل على فضيلة الفاتحة لأن الله تعالى امتن على رسوله بهذه ال ﴿ [، كما امتن عليه بجميع القرآن، حيث فصل هذا من القرآن بالذكر، ثم ذكر القرآن بعده، فقال: والقرءان العظيم أي: العظيم القدر، لأنه كلام الله ووحيه وتنزيله، ولما ذكر منته عليه بالقرآن، نهاه عن النظر إلى الدنيا، فقال:] **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ [سورة الحجر: ٨٨] أي: أصنافا من المشركين واليهود، قال ابن عباس: «نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا، فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها، فكان صلى الله عليه وسلم لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا» .

﴿ولا تحزن عليهم﴾ [الحجر: ٨٨] قال الكلبي: على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب.

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ [الحجر: ٨٨] ألن لهم جانبك، قال ابن عباس: ارفق بهم، ولا تغلظ عليهم.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٥١/٣

والعرب تقول: فلان خافض الجناح إذا كان وقورا ساكنا.
﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ [الحجر: ٨٩] قال ابن عباس: أنذركم بسخط الله وعذابه، وأبين لكم ما يقربكم إلى الله.
كما أنزلنا ويجوز أن يكون المعنى أني أنذركم ما أنزلنا، وتكون الكاف زائدة، وقوله: على المقتسمين يعني الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإيمان به، قال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة: لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فإنه مجنون.
فأنزل الله بهم عذابا فماتوا شر ميتة.
ثم وصفهم فقال: ﴿الذين جعلوا القرءان عضين﴾ [الحجر: ٩١] قال ابن عباس: جزءوه أجزاء، فقالوا: سحر.
وقالوا: أساطير الأولين.
وقالوا: مفترى.
وعضين جمع عضة، مثل عزة وعزين من عضيت الشيء إذا مزقته، وكل قطعة عضة، والمعنى أنهم فرقوا القول في القرآن، حيث اختلفت في وصفة أقوالهم.
قوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين ﴿٩٢﴾ عما كانوا يعملون ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] قال الكلبي: عن ترك لا إله إلا الله والإيمان برسله، وهذا السؤال سؤال توبيخ، يسألون يوم القيامة، فيقال لهم: لم عصيتم الرسل، وتركتم الإيمان؟ فيظهر خزيهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب.
وقال أبو العالية:." (١)

"قوله: ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ [طه: ١٣٠] أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم، ثم حكم بالقتل، فنسخ الصبر، ﴿وسبح بحمد ربك﴾ [طه: ١٣٠] صل لله بالحمد له والثناء عليه، ﴿قبل طلوع الشمس﴾ [طه: ١٣٠] يريد الفجر، وقبل غروبها يعني العصر، ﴿ومن آناء الليل﴾ [طه: ١٣٠] ساعاته، واحدها إني، قال ابن عباس: يريد أول الليل، المغرب والعشاء.
﴿فسبح وأطراف النهار﴾ [طه: ١٣٠] يريد الظهر، وسمي وقت صلاة الظهر أطراف النهار لأن وقته عند

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٥٢/٣

الزوال، وهو طرف النصف الأول، وطرف النصف الثاني.

٦١١ - أخبرنا أبو بكر بن الحارث، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الحافظ، نا عبدان بن أحمد، نا عثمان ابن أبي شيبة، نا جرير، ووكيع، وأبو أسامة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير، قال: كنا جلوسا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة البدر؛ ليلة أربعة عشرة، فقال: " إنكم سترون ربكم، عز وجل، كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، وقرأ هذه الآية: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ " رواه البخاري، عن إسحاق بن إبراهيم، عن جرير، ورواه مسلم، عن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن أبي أسامة، ووكيع

وقوله: لعلك ترضى قال ابن عباس: ترضى الثواب والمعاد.

ومن ضم التاء، فمعنا: ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة، واختار أبو عبيدة هذه القراءة واضعا لها معنين: ترضا تعطى الرضا، والآخر يرضاك الله وتصديقها قوله: ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ [مريم: ٥٥] قال: وليس في الآخرة إلا وجه واحد.

قوله: **﴿ولا تمدن عينيك﴾** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴿١٣١﴾ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴿١٣٢﴾ } [طه: ١٣١-١٣٢] **﴿ولا تمدن عينيك﴾** [طه: ١٣١] الآية قال أبو رافع: نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف، فبعثني إلى يهودي، فقال: " قل له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، يعني كذا وكذا من الدقيق، وأسلفني إلى هلال رجب ".

فأتيته فقلت له ذلك، فقال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن.

فأتيت رسول الله، فأخبرته، فقال: «والله لو باعني أو أسلفني لقضيته، وإني لأمين في السماء أمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه» .

فنزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا، وقد فسرنا هذه الآية في ﴿ [الحجر، قال أبي بن كعب في هذه ال:: فمن لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا، ومن يتبع بصره فيما في أيدي الناس يطل حزنه ولا يشفي غيظه، ومن لم ير لله نعمة إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه.

وقوله:] زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه: ١٣١] يعني بهجتها ونضارتها وما يروق الناظر عند الرؤية، قال ابن

عباس، والسدي: زينة الدنيا.

وقوله: لنفتنهم فيه لنجعل ذلك فتنة وضلالة بأن أزيد." [١]

"٨٨ - ﴿**لا تمدن عينيك:**﴾ ابن عباس: نهى الله (١) رسوله عن الرغبة في الدنيا، فحظر عليه (٢) النظر إليها بعين الرغبة. روي عنه عليه السلام: أنه مرت به غنم في أيام الربيع، فغطى كمه على عينيه، فقيل له في ذلك، فقال: «بهذا أمرني ربي». (٣)

﴿أزواجا منهم:﴾ رجالا ونساء، أو ذكورا وإناثا، أو سخيا وبخيلا، أو المكتسبين والعاجزين.

﴿ولا تحزن عليهم:﴾ إن لم يؤمنوا.

﴿واخفض جناحك للمؤمنين:﴾ تواضع لهم، ولين جانبك لهم.

٩٠ - ﴿كما أنزلنا:﴾ التشبيه عائد إلى قوله: ﴿آتيناك سبعا.﴾

مجاهد: أهل الكتاب اقتسموا الكتاب فيما بينهم، فحذفوا بعضا، وحرفوا بعضا (٤)، واختلفوا في بعض، ونقلوا على الوجه بعضا. (٥) أي: آتيناك المذكور، كما أنزلنا الكتاب على المقتسمين من قبل.

وقال ابن زيد: إن ﴿المقتسمين:﴾ هم أصحاب الحجر قوم صالح، ﴿تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله﴾ (٦) [النمل:٤٩]. (٧) وعن ابن عباس: هم الذين اقتسموا وجوه القرآن فيما بينهم، وهم من قريش، فزعم بعضهم: أنه شعر، وبعضهم: أنه سحر، وبعضهم: أساطير الأولين، وبعضهم: أنه ﴿إنما يعلمه بشر﴾ [النحل:١٠٣]. (٨) تقديره: آتيناك المذكور كما أنزلنا العذاب على هؤلاء المقتسمين المستهزئين.

٩١ - ﴿جعلوا القرآن:﴾ مجاهد: التوراة والإنجيل والقرآن. (٩) وقال ابن زيد: ما أتى به صالح. وهذا القول على إحدى روايتي ابن عباس.

﴿عضين:﴾ أجزاء، واحدها عضة، أصلها عضوة.

٩٣ - ﴿عما كانوا يعملون:﴾ قال: عن لا إله إلا الله: وإنما وقعت العبارة عن قول: لا

---

(١) غير موجودة ع.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٢٢٧

(٢) الأصل وك وع: علينا.

(٣) ينظر: الفائق ٢/ ٣٨٤، ولسان العرب ٦/ ١٢٩.

(٤) ساقطة من ك، وع غير واضحة.

(٥) ينظر: تفسير مجاهد ٣٤٢ – ٣٤٣، وتفسير الطبري ٧/ ٥٤٤،

(٦) غير موجودة ع.

(٧) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٥٤٤، وزاد المسير ٤/ ٣١٨، والتفسير الكبير ٧/ ١٦٢.

(٨) لم أجده عن ابن عباس، وروي عن قتادة في زاد المسير ٤/ ٣١٨، والدر المنثور ٧/ ٥٤٦، وفتح البيان ٧/ ١٩٧.

(٩) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٥٤٥.." [1]

"قال ابن عباس: وإنما سميت السبع الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر ثنيت فيها.

وقال طاوس: القرآن كله مثاني قال الله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾ (الزمر-٢٣) . وسمي القرآن مثاني لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه.

وعلى هذا القول: المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، فيكون تقديره على هذا: وهي القرآن العظيم وقيل: الواو مقحمة، مجازه: ولقد آتيناك سبعا من المثاني القرآن العظيم (١) .

﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) ﴾

قوله تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك**﴾ يا محمد ﴿إلى ما متعنا به أزواجا﴾ أصنافا ﴿منهم﴾ أي: من الكفار متمنيا لها. نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها [عليها] (٢) .

﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن العنزي، حدثنا عيسى بن نصر، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا جهم بن أوس، قال: سمعت عبد الله بن أبي مريم –ومر به عبد الله بن رستم في موكبه، فقال لابن أبي مريم: إني لأشتهي مجالستك وحديثك، فلما مضى قال ابن مريم –سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تغبطن فاجرا بنعمته، فإنك لا تدري ما هو لاق بعد موته، إن له عند الله قاتلا لا يموت" فبلغ ذلك وهب بن منبه

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١٧٨/٢

فأرسل إليه وهب أبا داود الأعور، قال: يا أبا فلان ما قاتلا لا يموت؟ قال ابن أبي مريم: النار" (٣) .
أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري السرخسي، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه، حدثنا أبو الحسن بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي، أخبرنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه -قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انظروا

---

(١) تقدم فيما سبق أنه ليس في القرآن شيء من الحروف مقحم.

(٢) ساقط من "ب".

(٣) رواه البخاري في "التاريخ" والطبراني في "الأوسط" والبيهقي، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. ورواه المصنف في شرح السنة: ١٤ / ٢٩٤-٢٩٥. وضعفه الألباني في تعليقه على المشكاة. انظر: فيض القدير للمناوي: ٦ / ٤١٣، مجمع الزوائد: ١٠ / ٣٥٥، مشكاة المصابيح: ٣ / ١٤٤٥.." (١)

"آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر، فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلى المغرب.
﴿لعلك ترضى﴾ أي ترضى ١٥/أثوابه في المعاد، وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم "ترضى" بضم التاء أي تعطى ثوابه. وقيل: ﴿ترضى﴾ أي يرضاك الله تعالى، كما قال: "وكان عند ربه مرضيا" (مريم: ٥٥) وقيل: معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة، كما قال: "ولسوف يعطيك ربك فترضى" (الضحى:٥) .
أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني إملاء، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله السعدي، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: "إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا"، ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ (١) .
﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) ﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٩٢/٤

قوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ قال أبو رافع: نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني إلى يهودي فقال لي: "قل له إن رسول الله يقول لك بعني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب" فأتيته فقلت له ذلك فقال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: "والله لئن باعني وأسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه" فنزلت هذه الآية: ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ (٢) لا تنظر، ﴿إلى ما متعنا به﴾ أعطينا، ﴿أزواجا﴾ أصنافا، ﴿منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ أي زينتها وبهجتها، وقرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بجزمها، ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا، ﴿ورزق ربك﴾ في المعاد، يعني: الجنة، ﴿خير وأبقى﴾ قال أبي بن كعب: من لم يتعز

---

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر: ٢ / ٣٣، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما برقم: (٦٣٣) : ١ / ٤٣٩، والمصنف في شرح السنة: ٢ / ٢٢٤.

(٢) أخرجه إسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلي والبزار والطبري والطبراني وفيه موسى بن عبيدة الزبيري وهو متروك، الكافي الشاف ص (١٠٩) والواحدي في أسباب النزول: ص (٣٥٢) ، وانظر القرطبي: ١١ / ٢٦٣ فقد أيد بطلان هذه الرواية.." [1]

"عند الله تعالى ذاهبا هباء لا ثواب له؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعا. وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين من غير إلزام من الله ورسوله، أو ملزمين. وسمى الإلزام إكراها، لأنهم منافقون، فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه. أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم، لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه، أو مكرهين من جهتهم. وروى أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا مالى أعينك به فاتركني إنكم تعليل لرد إنفاقهم. والمراد بالفسق:

التمرد والعتو.

[سورة التوبة (٩) : آية ٥٤]

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٠٣/٥

وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون (٥٤)

أنهم فاعل منع. وهم، وأن تقبل: مفعولاه. وقرئ: أن تقبل، بالتاء والياء على البناء للمفعول. ونفقاتهم، ونفقتهم، على الجمع والتوحيد. وقرأ السلمى: أن يقبل منهم نفقاتهم، على أن الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح، جمع كسلان، نحو سكارى وغيارى، في جمع سكران وغيران، وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا، ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقرأت في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول: كسلت، كأنه ذهب إلى هذه الآية، فإن الكسل من صفات المنافقين، فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه. فإن قلت: الكراهية خلاف الطواعية، وقد جعلهم الله تعالى طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون. قلت: المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم، وما طوعهم ذاك إلا عن كراهية واضطرار، لا عن رغبة واختيار.

[سورة التوبة (٩) : آية ٥٥]

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٥٥)

الإعجاب بالشيء: أن يسر به سرور راض به متعجب من حسنه. والمعنى: فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا، كقوله تعالى **ولا تمدن عينيك** فإن الله تعالى إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب، بأن عرضه للتغنم والسبي، وبلاهم فيه بالآفات والمصائب، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير، وهم كارهون له على رغم أنوفهم، وأذاقهم أنواع الكلف." (١)

"القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك، ولما فيها من الثناء، كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى. و «من» إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال، وللبيان إذا أردت الأسباع. ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني، لأنها تثنى عليه، ولما فيها من المواعظ المكررة، ويكون القرآن بعضها، فإن قلت: كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟ قلت: إذا عنى بالسبع للفاتحة أو الطوال، فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن، لأنه اسم يقع

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٢٨٠

على البعض كما يقع على الكل. ألا ترى إلى قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف، وإذا عنيت الأسباع فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم، أى: الجامع لهذين النعتين، وهو الثناء أو التثنية والعظم.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٨ الى ٨٩]

لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزوا جا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩)

أى: لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له إلى ما متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار. فإن قلت: كيف وصل هذا بما قبله؟ «١» قلت: يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة، وهي القرآن العظيم، فعليك أن تستغني به، **ولا تمدن عينيك** إلى متاع الدنيا. ومنه الحديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن، «٢» وحديث أبى بكر «من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى، فقد صغر عظيما وعظم صغيرا «٣» » وقيل: وافت من بصرى وأذرعات: سبع قوافل ليهود

---

(١) . قال محمود: «إن قلت كيف وصل هذا بما قبله ... الخ» ؟ قال أحمد: وهذا هو الصواب في معنى الحديث، وقد حمله كثير من العلماء على الغناء، وادعى هؤلاء أن «تغنى» إنما يبنى من الغناء الممدود لا من الغنى المقصور، وأن فعله استغنى خاصة، وقد وجدت بناء تغنى من الغنى المقصور في الحديث الصحيح في الخيل. وأما التي هي ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا، وإنما هذا من الغنى المقصور قطعا واتفاقا، وهو مصدر تغنى، فدل ذلك على أنه مستعمل من البناءين جميعا على خلاف دعوى المخالف، والله الموفق.

(٢) . أخرجه البخاري من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة وفي الباب عن سعد وأبى لبابة عند أبى داود. قال المخرج ذهل النووي وقبله المذرى، ثم الطيبي فعزوه لأبى داود ولم يعزوه للبخاري وأخطأ القرطبي فعزاه لمسلم لا للبخاري، ولم يذكره صاحب جامع الأصول، وعزاه الحاكم للشيخين والذي في الصحيحين حديث أبى هريرة «ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به» «فائدة» قال البيهقي في السنن في كتاب الشهادات، أخبرنا الحاكم عن أبى الأصم سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: ليس منا

من لم يتغن بالقرآن. فقال له رحل: يستغن؟ قال: ليس هذا معناه، أى معناه يقرأه تحزينا.

(٣) . لم أجده عن أبى بكر، وأخرجه ابن عدى في ترجمة حمزة النصيبي عن زيد بن رفيع عن أبى عبيدة عن ابن مسعود رفعه «من تعلم القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد حقر عظيما وعظم صغيرا» وحمزة اتهموه بالوضع.

وأخرجه إسحاق والطبري من حديث عبد الله بن عمر بلفظ «من أعطى القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله- الحديث»." [١]

"صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق، وللبدن أتعب وأنصب، فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله. وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة، وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار، إرادة الاختصاص، كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين. فإن قلت: ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع، وإنما هما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفي النهار؟ قلت: الوجه أمن الإلباس، وفي التثنية زيادة بيان. ونظير مجيء الأمرين في الآيتين: مجيئهما في قوله:

ظهراهما مثل ظهور الترسين «١»

وقرئ: وأطراف النهار، عطفا على آناء الليل، ولعل للمخاطب، أى: اذكر الله في هذه الأوقات، طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك. وقرئ: ترضى، أى يرضيك ربك.

[سورة طه (٢٠) : آية ١٣١]

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١)

ولا تمدن عينيك أى نظر عينيك، ومد النظر: تطويله، وأن لا يكاد يرده، استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به، وتمنيا أن يكون له، كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم حتى واجههم أو لو العلم والإيمان ب ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا

---

(١) .

ومهمهين قذفين مرتين ... ظهراهما مثل ظهور الترسين

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٨٨/٢

جبتهما بالنعت لا بالنعتين

لخطام المجاشعي. وقيل: لهميان بن قحافة. والمهمه: المفازة. والقذف- بالتحريك-: الذي يقذف سالكه فلا يمكث فيه أحد. وقيل: البعيد. والمرت- بالسكون-: القفر لا ماء فيه ولا نبات. والترس: حيوان ناتئ الظهر. وثنى ظهراهما على الأصل، وجمع فيما بعد لأمن اللبس، ولأنه ربما كره اجتماع تثنيتين، لا سيما عند تتابع التثنية كما هنا. وقال النحاة: كل مثنى في المعنى مضاف إلى متضمنه، يختار في لفظه الجمع لتعدد معناه وكراهة اجتماع تثنيتين في اللفظ. ويجوز مجيئه على الأصل كما هنا. ويجوز إفراده كقوله:

حمامة بطن الواديين ترنمي

والجواب: القطع. والنعت: الوصف، ويروى: «بالسمت لا بالسمتين» والسمت: الهيئة والقصد والجهة والطريق والمراد أنهما وصفا، أو ذكرت هيأتهما له مرة واحدة. يقول: رب موضعين قفرين لا أنيس فيهما، لهما ظهران مرتفعان، كظهرى الترسين، قطعتهما بالسير بنعت واحد، لا بوصفهما لي مرتين أو ثلاثة كغيرى. ويجوز أن المعنى بذكر نعت واحد من نعوتها، لا بذكر نعتين، فالنعت بمعنى الصفة القائمة بالشيء. وفي الكلام دلالة على شجاعته وحذقه.." (١)

"وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه، وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف، ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع، وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره ويملأ منه عينيه: قيل **ولا تمدن عينيك** أى لا تفعل ما أنت معتاد له وضاربه، ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك، لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغري لهم على اتخاذها أزواجا منهم أصنافا من الكفرة. ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير، والفعل واقع على منهم كأنه قال: إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم. فإن قلت: علام انتصب زهرة؟ قلت: على أحد أربعة أوجه: على الذم وهو النصب على الاختصاص. وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا، وكونه مفعولا ثانيا له. وعلى إبداله من محل الجار والمجرور. وعلى إبداله من أزواجا، على تقدير ذوى زهرة.

فإن قلت: ما معنى الزهرة فيمن حرك «١» ؟ قلت: معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة، كما جاء في الجهرة الجهرة. وقرئ: أرنا الله جهرة. وأن تكون جمع زاهر، وصفا لهم بأنهم زاهروا هذه الدنيا، لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون، وتهلل وجوههم «٢» وبهاء زيهم وشارتهم «٣» ، بخلاف ما عليه المؤمنون

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٩٧/٣

والصلحاء: من شحوب الألوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب، لوجود الكفران منهم. أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم. أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة. أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة «٤» من بعض الوجوه، والحلال خير وأبقى لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث، والحرام لا يسمى رزقا أصلا «٥» . وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه

---

(١) . قوله «حرك» أى حرك الهاء بالفتح. (ع)

(٢) . قوله «وتهلل وجوههم» الذي في الصحاح: تهلل وجه الرجل من فرحه، وهلهل النساج الثوب. أرق نسجه وخففه. (ع)

(٣) . قوله «وبهاء زيهم وشارتهم» في الصحاح: الزي والشارة: اللباس والهيئة. (ع)

(٤) . قال محمود: «معناه أن رزق هؤلاء المتمتعين في الدنيا أكثره مكتسب من الحرام ... الخ» قال أحمد:

لولا أن غرض القدرية من هذا إثبات رازق غير الله تعالى كما أثبتوا خالقا سوى الله تعالى لكان البحث لفظيا.

فالحق والسنة أن كل ما تقوم به البنية رزق من الله تعالى، سواء كان حلالا أو غيره، لا يلزم من كون الله تعالى رزقه أن يكون حلالا، فكما يخلق الله تعالى على يدي العبد ما نهاه عنه، كذلك يرزقه ما أباح له تناوله وما لا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والله الموفق الصواب.

(٥) . قوله «والحرام لا يسمي رزقا أصلا» هذا عند المعتزلة، ويسمى رزقا عند أهل السنة. (ع)." [1]

"وسلم إلى يهودى وقال: «قل له يقول لك رسول الله أقرضنى إلى رجب» فقال: والله لا أقرضته إلا برهن، فقال رسول الله «إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض، احمل إليه درعي «١» الحديد» فنزلت: **ولا تمدن عينيك**.

[سورة طه (٢٠) : آية ١٣٢]

وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٩٨/٣

وأمر أهلك بالصلاة أى وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة، واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة، فإن رزقك مكفى من عندنا، ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة. وفي معناه قول الناس: من دان في عمل الله كان الله في «٢» عمله. وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ **ولا تمدن عينيك** ... الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله. وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا، بهذا أمر الله رسوله، ثم يتلو هذه الآية.

[سورة طه (٢٠) : آية ١٣٣]

وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣)

اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة، فقيل لهم: أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعنى القرآن، من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة، وتلك ليست بمعجزات، فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها، افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة. وقرئ: الصحف. بالتخفيف. ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل.

[سورة طه (٢٠) : آية ١٣٤]

ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤)

---

(١) . قلت وقع فيه تحريف في الراويين. وإنما هو عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى رافع. ولعل ذلك من النساخ. والحديث أخرجه إسحاق وابن أبى شيبة وأبو يعلى والبزار والطبري والطبراني من هذا الوجه مطولا.

وفيه موسى بن عبيدة الزبيري وهو متروك. واستدل على بطلان ما رواه أنه وقع فيه «أن قوله تعالى **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم الآية نزلت في هذه القصة وسورة طه مكية- وهذه القصة إنما كانت في المدينة كما في الصحيح. وهذا يمكن الجواب عنه إذ لا مانع أن تكون الآية وحدها مدنية. وبقية السورة

مكي. وأما حمله على تعدد القصة فلم يصب.

(٢) . قوله «من دان في عمل الله كان الله في عمله» دان: ذل، ودانه: أذله، كذا في الصحاح. (ع)." [١]

"وما خليج من المروت ذو حدب ... يرمي الصعيد بخشب الأيك والضال

والضمير في قوله وإنهما يحتمل أن يعود على المدينتين اللتين تقدم ذكرهما: مدينة قوم لوط، ومدينة أصحاب الأيكة، ويحتمل أن يعود للنبيين: على لوط وشعيب، أي أنهما على طريق من الله وشرع مبين. و «الإمام» في كلام العرب الشيء الذي يهتدى به ويؤتم، يقولونه لخيط البناء، وقد يكون الطريق، وقد يكون الكتاب المفيد، وقد يكون القياس الذي يعمل عليه الصناع، وقد يكون الرجل المقتدى به، ونحو هذا، ومن رأى عود الضمير في إنهما على المدينتين قال «الإمام» الطريق، وقيل على ذلك «الإمام» الكتاب الذي سبق فيه إهلاكهما، وأصحاب الحجر هم ثمود، وقد تقدم قصصهم، والحجر مدينتهم، وهي ما بين المدينة وتبوك، وقال المرسلين من حيث يجب بتكذيب رسول واحد تكذيب الجميع، إذ القول في المعتقدات واحد للرسل أجمع، فهذه العبارة أشنع على المكذبين، و «الآية» التي آتاهم الله هي الناقة وما اشتملت عليه من خرق العادة حسبما تقدم تفسيره وبسطه، وقرأ أبو حيوة «وآتيناهم آيتنا» مفردة، وقوله تعالى: وكانوا ينحتون الآية، يصف قوم صالح بشدة النظر للدنيا والتكسب منها فذكر من ذلك مثالا أن بيوتهم كانوا ينحتونها في حجر الجبال، و «النحت» النقر بالمعاول ونحوها في الحجارة والعود ونحوه، وقرأ جمهور الناس «ينحتون» بكسر الحاء، وقرأ الحسن «ينحتون» بفتحها، وذلك لأجل حرف الحلق، وهي قراءة أبي حيوة، وقوله آمنين قيل معناه من انهدامها، وقيل من حوادث الدنيا، وقيل من الموت لاغترارهم بطول الأعمال.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف، وأصح ما يظهر في ذلك أنهم كانوا يأمنون عواقب الآخرة. فكانوا لا يعملون بحسبها، بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها، ومعنى مصبحين أي عند دخولهم في الصباح، وذكر أن ذلك كان يوم سبت، وقد تقدم قصص عذابهم وميعادهم وتغير ألوانهم، ولم تغن عنهم شدة نظرهم للدنيا وتكسبهم شيئا، ولا دفع عذاب الله، وما الأولى تحتمل النفي وتحتمل التقرير، والثانية مصدرية، وقوله تعالى: وما خلقنا السماوات والأرض الآية، المراد أن هؤلاء المكتسبين للدنيا الذين لم يغن عنهم اكتسابهم ليسوا في شيء، فإن السماوات والأرض وجميع الأشياء لم تخلق عبثا ولا سدى، ولا لتكون طاعة الله كما فعل هؤلاء ونظراؤهم، وإنما خلقت بالحق ولواجب مراد وأغراض لها نهايات من عذاب أو

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٩٩

تنعيم وإن الساعة لآتية على جميع أمور الدنيا، أي فلا تهتم يا محمد بأعمال قومك فإن الجزاء لهم بالمرصاد، فاصفح عن أعمالهم، أي ولها صفحة عنقك بالإعراض عنها، وأكد الصفح بنعت الجمال إذ المراد منه أن يكون لا عتب فيه ولا تعرض.

وهذه الآية تقتضي مداهنة، ونسخها في آية السيف قاله قتادة، ثم تلاه في آخر الآية بأن الله تعالى يخلق من شاء لما شاء ويعلم تعالى وجه الحكمة في ذلك لا هذه الأوثان التي يعبدونها، وقرأ جمهور الناس «الخلاق» ، وقرأ الأعمش والجحدري «الخالق» .

قوله عز وجل:

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٧ الى ٩٣]

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١)

فو ربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣)." [١]

"قال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وابن جبير: «السبع» هنا هي السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والمص والأنفال مع براءة، وقال ابن جبير: بل السابعة يونس وليست الأنفال وبراءة منها، والمثاني على قول هؤلاء: القرآن كما قال تعالى: كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم [الزمر: ٢٣] ، وسمي بذلك لأن القصص والأخبار تثنى فيه وتردد، وقال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس أيضا وابن مسعود والحسن وابن أبي مليكة وعبيد بن عمير وجماعة: «السبع» هنا هي آيات الحمد، قال ابن عباس: هي سبع: ببسم الله الرحمن الرحيم، وقال غيره هي سبع دون البسملة، وروي في هذا حديث أبي بن كعب ونصه: قال أبي: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أعلمك يا أبي سورة لم تنزل في التوراة والإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها» ، قلت: بلى، قال: «إني لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها» ، فقام رسول الله وقمت معه ويدي في يده وجعلت أبطىء في المشي مخافة أن أخرج، فلما دنوت من باب المسجد، قلت: يا رسول الله، السورة التي وعدتنيها؟ فقال: «كيف تقرأ إذا قمت في الصلاة» ؟ قال: فقرأت الحمد لله رب العالمين [الفاتحة:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٧٢/٣

١] حتى كملت فاتحة الكتاب، فقال: «هي هي، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت» ، كذا أو نحوه ذكره مالك في الموطأ، وهو مروي في البخاري ومسلم عن أبي سعيد بن المعلى أيضا، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «إنها السبع المثاني، وأم القرآن، وفاتحة الكتاب» وفي كتاب الزهراوي: وليس فيها بسملة، والمثاني على قول هؤلاء يحتمل أن يكون القرآن، ف من للتبعيض، وقالت فرقة: بل أراد الحمد نفسها كما قال الرجس من الأوثان [الحج: ٣٠] ف من لبيان الجنس، وسميت بذلك لأنها تثنى في كل ركعة، وقيل سميت بذلك لأنها يثنى بها عز الله تعالى، جوزه الزجاج.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا القول من جهة التصريف نظر، وقال ابن عباس: سميت بذلك لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة ولم يعطها لغيرها، وقال نحوه ابن أبي مليكة، وقرأت فرقة «والقرآن» بالخفض عطفا على المثاني وقرأت فرقة «والقرآن» بالنصب عطفا على قوله سبعا، وقال زياد بن أبي مريم:

المراد بقوله ولقد آتيناك سبعا أي سبع معان من القرآن خولناك فيها شرف المنزلة في الدنيا والآخرة وهي: مر، وانه، وبشر، وأنذر، واضرب الأمثال، واعدد النعم، واقصص الغيوب، وقال أبو العالية «السبع المثاني» هي آية فاتحة الكتاب، ولقد نزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطوال شيء، وقوله **لا تمدن عينيك** الآية، حكى الطبري، عن سفيان بن عيينة أنه قال هذه الآية أمر بالاستغناء بكتاب الله عن جميع زينة الدنيا، وهي ناظرة إلى قوله عليه السلام: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أي يستغني به.." (١)

"الخمس قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل العتمة وأطراف النهار المغرب والظهر. وقالت فرقة آناء الليل المغرب والعشاء، وأطراف النهار الظهر وحدها، ويحتمل اللفظ أن يراد قول سبحان الله وبحمده من بعد صلاة الصبح إلى ركعتي الضحى وقبل غروب الشمس فقد قال صلى الله عليه وسلم: «من سبح قبل غروب الشمس سبعين تسبيحة غربت بذنوبه» ع وسمى الطرفين أطرافا على أحد وجهين إما على نحو فقد صغت قلوبكما: وإما على أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف وهي التي جمع، وأما من قال أطراف النهار لصلاة الظهر وحدها فلا بد له من أن يتمسك بأن يكون النهار للجنس كما قلنا أو نقول إن النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال ولكل قسم طرفان فعند الزوال طرفان الآخر من القسم الأول والأول من القسم الآخر فقال عن الطرفين أطرافا على نحو فقد صغت قلوبكما، وأشار إلى هذا النظر ابن فورك في المشكل والآناء جمع أنى وهي الساعة من الليل ومنه قول الهذلي:

حلو ومر كعطف القدح مر به ... في كل أنى حداة الليل تنتقل

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٧٣/٣

وقالت فرقة في الآية إشارة إلى نوافل، فمنها آناء الليل ومنها قبل طلوع الشمس وركعتا الفجر والمغرب أطراف النهار، وقرأ الجمهور «لعلك ترضى» بفتح التاء أي لعلك تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به، وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم «لعلك ترضى» أي لعلك تعطى ما يرضيك.

قوله عز وجل:

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٣١ الى ١٣٣]

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣)

قال بعض الناس سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزل به ضيف فلم يكن عنده شيء فبعث إلى يهودي ليسلفه شعيرا فأبى اليهودي إلا برهن فبلغ الرسول بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال «والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض» فرهنه درعه فنزلت الآية في ذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا معترض أن يكون سببا لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت، وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها وذلك أن الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار بالأمم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل ثم أمر نبيه بالاحتقار لشأنهم والصبر على أقوالهم والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا إذ ذاك منحصر عندهم صائر بهم إلى خزي، وقوله **ولا تمدن عينيك** أبلغ من ولا تنظر، لأن الذي يمد بصره إنما يحمله على ذلك حرص مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه. و «الأزواج» الأنواع فكأنه قال إلى ما متعنا به أقواما منهم وأصنافا. وقوله تعالى: زهرة الحياة الدنيا شبه نعم هؤلاء الكفار." (١)

"بالزهر وهو ما اصفر من النور، وقيل «الزهر» النور جملة لأن الزهر له منظر ثم يضمحل فكذلك حال هؤلاء، ونصب زهرة يجوز أن ينصب على الحال وذلك أن تعرفها ليس بمحض، وقرأت فرقة «زهرة» بسكون الهاء، وفرقة «زهرة» بفتح الهاء ثم أخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، أن ذلك إنما هو ليختبرهم به ويجعله فتنة لهم وأمرا يجازون عليه بالسوء لفساد تقلبهم فيه، ورزق الله تعالى الذي أحله للمتقين من عباده خير وأبقى أي رزق الدنيا خير ورزق الآخرة أبقى وبين أنه خير من رزق الدنيا، ثم أمره تعالى بأن يأمر

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٧٠/٤

أهله بالصلاة وتمثيلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها ويتكفل هو برزقه لا إله إلا هو، وأخبره أن العاقبة الأولى التقوى وفي حيزها فثم نصر الله في الدنيا ورحمته في الآخرة، وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل في عمومه جميع أمته. وروي أن عروة بن الزبير رضي الله عنه كان إذا رأى شيئا من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله وهو يقرأ **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا الآية إلى قوله وأبقى، ثم ينادي بالصلاة الصلاة يرحمكم الله، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بهذه الآية، وقرأ الجمهور «نحن نرزقك» بضم القاف، وقرأت فرقة «نرزقك» بسكونها، ثم أخبر تعالى عن طوائف من الكفار قالوا عن محمد صلى الله عليه وسلم، لولا يأتينا بآية من ربه أي بعلامة مما اقترحناها عليه وبما يبهر ويضطر.

قال القاضي أبو محمد: ورسل الله إنما اقترنت معهم آيات معرضة للنظر محفوفة بالبراهين العقلية ليضل من سبق في علم الله تعالى ضلاله ويهتدي من سبق في علم الله تعالى هداه، فوبخهم الله تعالى بقوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى يعني التوراة أعظم شاهد وأكبر آية له. وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم «تأتهم» على لفظة بينة وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم «يأتهم» بالياء على المعنى، وقرأت فرقة «بينة ما» بالإضافة إلى ما وقرأت فرقة «بينة» بالتنوين، وما على هذه القراءة فاعلة ب «تأتي» ، وقرأ الجمهور «في الصحف» بضم الحاء، وقرأت فرقة «في الصحف» بسكونها.

قوله عز وجل:

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٣٤ الى ١٣٥]

ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

أخبر الله تعالى نبيه عليه السلام أنه لو أهلك هذه الأمة الكافرة قبل إرساله إليهم محمدا لقامت لهم حجة ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا الآية. وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال «يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة والمغلوب على عقله والصبي الصغير فيقول المغلوب على عقله رب لم تجعل لي عقلا ويقول الصبي نحوه ويقول الهالك في الفترة رب لم ترسل إلي رسولا ولو جاءني

لكنت أطوع خلقك لك» قال «فترفع لهم نار ويقال لهم ردوها» قال «فيردها من كان في علم الله تعالى أنه سعيد ويكع عنها الشقي فيقول الله تعالى إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم» أما الصبي." (١)

"قوله تعالى: ثوابا من عند الله قال الزجاج: هو مصدر مؤكد لما قبله، لأن معنى ولأدخلنهم جنات: لأثيبنهم.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٩٦ الى ١٩٧]

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد (١٩٦) متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد (١٩٧)

قوله تعالى: لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما:

أنها نزلت في اليهود، ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا يضربون في الأرض. فيصيبون الأموال، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

(٢٥٣) والثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم، أراد أن يستسلف من بعضهم شعيرا، فأبى إلا على رهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أعطاني لأوفيته، إني لأمين في السماء أمين في الأرض» فنزلت، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

والقول الثاني: أنها نزلت في مشركي العرب كانوا في رخاء، فقال بعض المؤمنين: قد أهلكنا الجهد، وأعداء الله فيما ترون، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. قال قتادة: والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد غيره. وقال غيره: إنما خاطبه تأديبا وتحذيرا، وإن كان لا يغتر.

وفي معنى «تقلبهم» ثلاثة أقوال: أحدها: تصرفهم في التجارات، قاله ابن عباس، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: تقلب ليلهم ونهارهم، وما يجري عليهم من النعم، قاله عكرمة ومقاتل.

والثالث: تقلبهم غير مأخوذين بذنوبهم، ذكره بعض المفسرين. قال الزجاج: ذلك الكسب والربح متاع قليل، وقال ابن عباس: منفعة يسيرة في الدنيا. والمهاد: الفراش.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٩٨]

لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار (١٩٨)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٧١/٤

قوله تعالى: لكن الذين اتقوا ربهم قرأ أبو جعفر: «لكن» بالتشديد هاهنا، وفي «الزمر» قال مقاتل: وحدوا. قال ابن عباس: «النزل» الثواب. قال ابن فارس: النزل: ما يهيأ للنزيل، والنزيل: الضيف.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٩٩]

وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب (١٩٩)

قوله تعالى: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

لم أقف عليه هكذا، والذي ورد في ذلك أن الآية التي نزلت هي قوله تعالى: **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم....- طه: ١٣١- أخرجه الواحدي ٦١٥ والطبري ٢٢٤٥٥ من حديث أبي رافع، وفيه موسى بن عبيدة الربذي ضعيف، وكرره الطبري ٢٤٤٥٦ من طريق حسين بن داود عن أبي رافع وحسين واه والمتن منكر، لأن سورة طه مكية، وخبر رهن الدرع متأخر جدا كما قال القرطبي، وسيأتي.

وانظر «تفسير القرطبي» ٤٣٣٢ بتخريجنا.." [١]

"قوله تعالى: وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا قد شرحناه في (الأعراف) «١» . وفي قوله: آمنين ثلاثة أقوال: أحدها: آمنين أن تقع عليهم. والثاني: آمنين من خرابها. والثالث: من عذاب الله عز وجل. وفي قوله: ما كانوا يكسبون قولان: أحدهما: ما كانوا يعملون من نحت الجبال. والثاني: ما كانوا يكسبون من الأموال والأنعام.

قوله تعالى: إلا بالحق أي: للحق ولإظهار الحق، وهو ثواب المصدق وعقاب المكذب.

وإن الساعة لآتية أي: وإن القيامة لتأتي، فيجازى المشركون بأعمالهم، فاصفح الصفح الجميل عنهم، وهو الإعراض الخالي من جزع وفحش، قال المفسرون: وهذا منسوخ بآية السيف.

فأما الخلاق فهو خالق كل شيء. والعليم قد سبق شرحه في سورة البقرة «٢» .

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٧ الى ٨٩]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١/٣٦٣

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩)

قوله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني. سبب نزولها:

(٨٤٩) «أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات «٣» ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البز والطيب والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل» ، ويدل على صحة هذا قوله: **لا تمدن عينيك** الآية، قاله الحسين بن الفضل. وفي المراد بالسبع المثاني أربعة أقوال:

(٨٥٠) أحدها: أنها فاتحة الكتاب، قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية الأكثرين عنه، وأبو هريرة، والحسن، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية، وعطاء، وقتادة في آخرين. فعلى هذا، إنما سميت بالسبع، لأنها سبع آيات. وفي تسميتها بالمثاني سبعة أقوال «٤» : أحدها: لأن الله تعالى استثناها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يعطها أمة قبلهم،

عزاه المصنف للحسين بن الفضل تبعا للواحدي في «أسباب النزول» ٥٥٦، والحسين هذا لم أجد له ترجمة، فهو مجهول، وخبره معضل، وتفرده به دون سائر أهل الحديث والأثر دليل وهنه بل بطلانه، والخبر أمارة الوضع لائحة عليه.

هو أصح الأقوال حيث ورد مرفوعا. أخرجه البخاري ٤٧٠٤ والترمذي ٣١٢٤ وأحمد ٢/ ٤٤٨ من حديث أبي هريرة. وورد من حديث أبي سعيد بن المعلى، أخرجه البخاري ٤٧٠٣ وغيره، وتقدم. وفي الباب أحاديث أخرجها الطبري ٢١٣٥٣- ٢١٣٦١.

---

(١) عند الآية: ٧٤.

(٢) عند الآية: ٢٩. [.....]

(٣) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور البلقاء وعمان، كما في «معجم البلدان» لياقوت الحموي ١/ ١٣٠.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٥٣٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالسبع المثاني: السبع اللواتي هن آيات أم الكتاب لصحة الخبر بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم

الذي حدثنيه يزيد بن مخلد بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أم القرآن السبع المثاني التي أعطيتها» .." [١]

"والقصص تثنى فيه، فعلى هذا القول، المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، ويكون في الكلام إضمار، تقديره: وهي القرآن العظيم.

فأما قوله تعالى: من المثاني ففي «من» قولان: أحدهما: أنها للتبعيض، فيكون المعنى: آتيناك سبعا من جملة الآيات التي يثنى بها على الله تعالى، وآتيناك القرآن. والثاني: أنها للصفة، فيكون السبع هي المثاني، ومنه قوله تعالى: فاجتنبوا الرجس من الأوثان «١» لا أن بعضها رجس، ذكر الوجهين الزجاج، وقد ذكرنا عن ابن الأنباري قريبا من هذا المعنى.

قوله تعالى: والقرآن العظيم يعني: العظيم القدر، لأنه كلام الله تعالى، ووحيه، وفي المراد به ها هنا قولان: أحدهما: أنه جميع القرآن. قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك.

والثاني: أنه الفاتحة أيضا، قاله أبو هريرة، وقد روينا فيه حديثا في أول تفسير (الفاتحة) . قال ابن الأنباري: فعلى القول الأول، يكون قد نسق الكل على البعض، كما يقول العربي: رأيت جدار الدار والدار، وإنما يصلح هذا، لأن الزيادة التي في الثاني من كثرة العدد أشبه بها ما يغاير الأول، فجوز ذلك عطفه عليه.

وعلى القول الثاني، نسق الشيء على نفسه لما زيد عليه معنى المدح والثناء، كما قالوا:

روي ذلك عن عمر، وابن الخطاب، يعنون بابن الخطاب: الفاضل العالم الرفيع المنزلة، فلما دخلته زيادة، أشبه ما يغاير الأول فعطف عليه.

ولما ذكر الله تعالى منته عليه بالقرآن، نهاه عن النظر إلى الدنيا ليستغني بما آتاه من القرآن عن الدنيا، فقال: **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم أي: أصنافا من اليهود والمشركين، والمعنى: أنه نهاه عن الرغبة في الدنيا، وفي قوله: ولا تحزن عليهم قولان:

أحدهما: لا تحزن عليهم إن لم يؤمنوا. والثاني: لا تحزن بما أنعمت عليهم في الدنيا.

قوله تعالى: واخفض جناحك للمؤمنين أي: ألن جانبك لهم، وخفض الجناح، عبارة عن السكون وترك التعصب والإباء، قال ابن عباس: ارفق بهم ولا تغلظ عليهم.

قوله تعالى: وقل إني أنا النذير المبين حرك ياء «إني» ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع.

وذكر بعض المفسرين أن معناها منسوخ بآية السيف.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٤١/٢

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٩٠ الى ٩٣]

كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١) فو ربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣)

قوله تعالى: كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) في هذه الكاف قولان:

أحدهما: أنها متعلقة بقوله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أن المعنى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني، كما أنزلنا الكتاب على المقتسمين، قاله مقاتل.

والثاني: أن المعنى: ولقد شرفناك وكرمناك بالسبع المثاني، كما شرفناك وأكرمناك بالذي أنزلناه على المقتسمين من العذاب، والكاف بمعنى «مثل» و «ما» بمعنى «الذي» ذكره ابن الأنباري. والثاني: أنها

---

(١) س‍ورة الحج: ٣٠.." (١)

"فسبح أي: فصل.

وفي المراد بهذه الصلاة أربعة أقوال: أحدها: المغرب والعشاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: جوف الليل، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: العشاء، قاله مجاهد، وابن زيد. والرابع: أول الليل وأوسطه وآخره، قاله الحسن.

قوله تعالى: وأطراف النهار المعنى: وسبح أطراف النهاء. قال الفراء: إنما هما طرفان، فخرجا مخرج الجمع، كقوله تعالى: إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما «١» .

وللمفسرين في المراد بهذه الصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الظهر، قاله قتادة فعلى هذا، إنما قيل لصلاة الظهر: أطراف النهار، لأن وقتها عند الزوال، فهو طرف النصف الأول النصف الثاني.

والثاني: أنها صلاة المغرب وصلاة الصبح، قاله ابن زيد وهذا على أن الفجر في ابتداء الطرف الأول، والمغرب عند انتهاء الطرف الثاني. والثالث: أنها الفجر والظهر والعصر فعلى هذا يكون الفجر من الطرف الأول، والظهر والعصر من الطرف الثاني، حكاه الفراء.

قوله تعالى: لعلك ترضى قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «ترضى» بفتح التاء. وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم بضمها. فمن فتح، فالمعنى: لعلك ترضى ثواب الله الذي

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٤٣/٢

يعطيك. ومن ضمها، ففيه وجهان: أحدهما: لعلك ترضى بما تعطى. والثاني: لعل الله أن يرضاك.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٣١ الى ١٣٢]

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١)
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)

قوله تعالى: **ولا تمدن عينيك**.

(٩٨٢) سبب نزولها، ما روى أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني فأرسلني إلى رجل من اليهود يبيع طعاما، فقال: قل له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: »بعني كذا وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب» فأتيته فقلت له ذلك، فقال اليهودي: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: «والله لو باعني أو أسلفني لقضيته، وإني لأمين في السماء أمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه» ، فنزلت هذه الآية تعزية له في الدنيا. قال أبي بن كعب: من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا. وقد مضى تفسير هذه الآية في آخر سورة الحجر «٢» .

إسناده ضعيف، والمتن منكر. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٥ من طريق روح عن موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد عن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع به. وفيه موسى بن عبيدة الربذي، ضعيف ليس بشيء.
وأخرجه الطبري ٢٤٤٥٥ من طريق موسى بن عبيدة بالإسناد السابق مختصرا. وأخرجه الطبري ٢٤٤٥٦ من وجه آخر من حديث أبي رافع، وفيه الحسين بن داود، وهو ضعيف. ثم إن السورة مكية كما تقدم في مطلعها، وأما الخبر فمدني. وانظر «فتح القدير» ١٦١٦.

---

(١) سورة التحريم: ٤.
(٢) سورة الحجر: ٨٨.." [1]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٨٢/٣

"السلام طردهم والله تعالى نهاه عن ذلك الطرد، فكان ذلك الطرد ذنبا. والثاني: أنه تعالى قال: فتطردهم فتكون من الظالمين وقد ثبت أنه طردهم، فيلزم أن يقال: إنه كان من الظالمين. والثالث: أنه تعالى حكى عن نوح عليه السلام أنه قال: وما أنا بطارد الذين آمنوا [هود: ٢٩] ثم إنه تعالى أمر محمدا عليه السلام بمتابعة الأنبياء عليهم السلام في جميع الأعمال الحسنة، حيث قال: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده [الأنعام: ٩٠] فبهذا الطريق وجب على محمد عليه السلام أن لا يطردهم، فلما طردهم كان ذلك ذنبا. والرابع:

أنه تعالى ذكر هذه الآية في سورة الكهف، فزاد فيها فقال: تريد زينة الحياة الدنيا [الكهف: ٢٨] ثم إنه تعالى نهاه عن الالتفات إلى زينة الحياة الدنيا في آية أخرى فقال **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا [طه: ١٣١] فلما نهي عن الالتفات إلى زينة الدنيا، ثم/ ذكر في تلك الآية أنه يريد زينة الحياة الدنيا كان ذلك ذنبا. الخامس:

نقل أن أولئك الفقراء كلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الواقعة فكان عليه السلام يقول «مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم»

أو لفظ هذا معناه، وذلك يدل أيضا على الذنب.

والجواب عن الأول: أنه عليه السلام ما طردهم لأجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وإنما عين لجلوسهم وقتا معينا سوى الوقت الذي كان يحضر فيه أكابر قريش فكان غرضه منه التلطف في إدخالهم في الإسلام ولعله عليه السلام كان يقول هؤلاء الفقراء من المسلمين لا يفوتهم بسبب هذه المعاملة أمر مهم في الدنيا وفي الدين، وهؤلاء الكفار فإنه يفوتهم الدين والإسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى فأقصى ما يقال إن هذا الاجتهاد وقع خطأ إلا أن الخطأ في الاجتهاد مغفور. وأما قوله ثانيا: إن طردهم يوجب كونه عليه السلام من الظالمين.

فجوابه: أن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه، والمعنى أو أولئك الضعفاء الفقراء كانوا يستحقون التعظيم من الرسول عليه السلام فإذا طردهم عن ذلك المجلس كان ذلك ظلما، إلا أنه من باب ترك الأولى والأفضل لا من باب ترك الواجبات وكذا الجواب عن سائر الوجوه فإنا نحمل كل هذه الوجوه على ترك الأفضل والأكمل والأولى والأحرى، والله أعلم.

المسألة الثالثة: قرأ ابن عامر بالغدوة والعشي بالواو وضم الغين وفي سورة الكهف مثله والباقون بالألف وفتح الغين. قال أبو علي الفارسي الوجه قراءة العامة بالغداة لأنها تستعمل نكرة فأمكن تعريفها بإدخال لام

التعريف عليها. فأما (غدوة) فمعرفة وهو علم صيغ له، وإذا كان كذلك، فوجب أن يمتنع إدخال لا م التعريف عليه، كما يمتنع إدخاله على سائر المعارف. وكتبة هذه الكلمة بالواو في المصحف لا تدل على قولهم، ألا ترى أنهم كتبوا «الصلاة» بالواو وهي ألف فكذا هاهنا. قال سيبويه «غدوة وبكرة« جعل كل واحد منهما اسما للجنس كما جعلوا أم حبين اسما لدابة معروفة. قال وزعم يونس عن أبي عمرو أنك إذا قلت لقيته يوما من الأيام غدوة أو بكرة وأنت تريد المعرفة لم تنون. فهذه الأشياء تقوي قراءة العامة، وأما وجه قراءة ابن عامر فهو أن سيبويه قال زعم الخليل أنه يجوز أن يقال أتيتك اليوم غدوة وبكرة فجعلهما بمنزلة ضحوة، والله أعلم.

المسألة الرابعة: في قوله يدعون ربهم بالغداة والعشي قولان: الأول: أن المراد من الدعاء الصلاة، يعني يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة، وهي صلاة الصبح وصلاة العصر وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد.." (١)

"والتوحيد. وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على إسناد الفعل إلى الله عز وجل.

[سورة التوبة (٩) : آية ٥٥]

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٥٥)

[في قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم] اعلم أنه تعالى لما قطع في الآية الأولى رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة، بين أن الأشياء التي يظنونها من باب المنافع في الدنيا، فإنه تعالى جعلها أسباب تعظيمهم في الدنيا، وأسباب اجتماع المحن والآفات عليهم، ومن تأمل في هذه الآيات عرف أنها مرتبة على أحسن الوجوه، فإنه تعالى لما بين قبائح أفعالهم وفضائح أعمالهم، بين مالهم في الآخرة من العذاب الشديد ومالهم في الدنيا من وجوه المحنة والبلية، ثم بين بعد ذلك أن ما يفعلونه من أعمال البر لا ينتفعون به يوم القيامة البتة. ثم بين في هذه الآية أن ما يظنون أنه من منافع الدنيا فهو في الحقيقة سبب لعذابهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم، وعند هذا يظهر أن النفاق جالب لجميع الآفات في الدين والدنيا، ومبطل لجميع الخيرات في الدين والدنيا، وإذا وقف الإنسان على هذا الترتيب عرف أنه لا يمكن ترتيب الكلام على وجه أحسن من هذا. ومن الله التوفيق. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: هذا الخطاب، وإن كان في الظاهر مختصا بالرسول عليه السلام، إلا أن المراد منه كل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٤١/١٢

المؤمنين، أي لا ينبغي أن تعجبوا بأموال هؤلاء المنافقين والكافرين، ولا بأولادهم ولا بسائر نعم الله عليهم، ونظيره قوله تعالى: **ولا تمدن عينيك** [طه: ١٣١] الآية.

المسألة الثانية: الإعجاب: السرور بالشيء كه مع نوع الافتخار به، ومع اعتقاد أنه ليس لغيره ما يساويه، وهذه الحالة تدل على استغراق النفس في ذلك الشيء وانقطاعها عن الله، فإنه لا يبعد في حكم الله أن يزيل ذلك الشيء عن ذلك الإنسان ويجعله لغيره، والإنسان متى كان متذكرا لهذا المعنى زال إعجابه بالشيء، ولذلك

قال عليه السلام: «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه»

وكان عليه السلام يقول: «هلك المكثرون»

وقال عليه السلام: «ما لك من مالك/ إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت»

وذكر عبيد بن عمير، ورفعه إلى الرسول عليه السلام: «من كثر ماله اشتد حسابه، ومن كثر بيعه كثرت شياطينه، ومن ازداد من السلطان قربا، ازداد من الله بعدا»

والأخبار المناسبة لهذا الباب كثيرة، والمقصود منها الزجر عن الارتكان إلى الدنيا، والمنع من التهالك في حبها والافتخار بها. قال بعض المحققين: الموجودات بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام: الأول: الذي يكون أزليا أبديا، وهو الله جل جلاله والثاني: الذي لا يكون أزليا ولا أبديا وهو الدنيا. والثالث: الذي يكون أزليا ولا يكون أبديا وهذا محال الوجود، لأنه ثبت بالدليل أن ما ثبت قدمه امتنع عدمه. والرابع: الذي يكون أبديا ولا يكون أزليا وهو الآخرة وجميع المكلفين، فإن الآخرة لها أول، لكن لا آخر لها، وكذلك المكلف سواء كان مطيعا أو كان عاصيا فلحياته أول، ولا آخر لها.

وإذا ثبت هذا ثبت أن المناسبة الحاصلة بين الإنسان المكلف وبين الآخرة أشد من المناسبة بينه وبين الدنيا، ويظهر من هذا أنه خلق للآخرة لا للدنيا، فينبغي أن لا يشتد عجبه بالدنيا، وأن لا يميل قلبه إليها فإن المسكن الأصلي له هو الآخرة لا الدنيا.

أما قوله: إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ففيه مسائل:." (١)

"اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه أهلك الكفار فكأنه قيل: الإهلاك والتعذيب كيف يليق بالرحيم الكريم. فأجاب عنه بأني إنما خلقت الخلق ليكونوا مشتغلين بالعبادة والطاعة فإذا تركوها/ وأعرضوا عنها وجب في الحكمة إهلاكهم وتطهير وجه الأرض منهم، وهذا النظم حسن إلا أنه إنما يستقيم على قول المعتزلة، قال

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧١/١٦

الجبائي:

دلت الآية على أنه تعالى ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا حقا وبكون الحق لا يكون الباطل، لأن كل ما فعل باطلا وأريد بفعله كون الباطل لا يكون حقا ولا يكون مخلوقا بالحق، وفيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون أن أكثر ما خلقه الله تعالى بين السموات والأرض من الكفر والمعاصي باطل.

واعلم أن أصحابنا قالوا: هذه الآية تدل على أنه سبحانه هو الخالق لجميع أعمال العباد، لأنها تدل على أنه سبحانه هو الخالق للسموات والأرض ولكل ما بينهما. ولا شك أن أفعال العباد بينهما فوجب أن يكون خالقها هو الله سبحانه، وفي الآية وجه آخر في النظم وهو أن المقصود من ذكر هذه القصص تصبير الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام على سفاهة قومه فإنه إذا سمع أن الأمم السالفة كانوا يعاملون أنبياء الله تعالى بمثل هذه المعاملات الفاسدة سهل تحمل تلك السفاهات على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إنه تعالى لما بين أنه أنزل العذاب على الأمم السالفة فعند هذا قال لمحمد صلى الله عليه وسلم: وإن الساعة لآتية وإن الله لينتقم لك فيها من عدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم، فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والعدل والإنصاف فكيف يليق بحكمته إهمال أمرك، ثم إنه تعالى لما صبره على أذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفح عن سيئاتهم فقال:

فاصفح الصفح الجميل أي فأعرض عنهم، واحتمل ما تلقى منهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء، وقيل: هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد، لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح، فكيف يصير منسوخا.

ثم قال: إن ربك هو الخلاق العليم ومعناه أنه خلق الخلق مع اختلاف طبائعهم وتفاوت أحوالهم مع علمه بكونهم كذلك، وإذا كان كذلك فإنما خلقهم مع هذا التفاوت، ومع العلم بذلك التفاوت. أما على قول أهل السنة فلمحض المشيئة والإرادة. وأما على قول المعتزلة فلأجل المصلحة والحكمة، والله أعلم.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٧ الى ٨٨]

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨)

[في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم] اعلم أنه تعالى لما صبره على أذى قومه وأمره بأن يصفح الصفح الجميل أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بها، لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن قوله: آتيناك سبعا يحتمل أن يكون سبعا من الآيات وأن يكون سبعا من السور وأن يكون سبعا من الفوائد. وليس في اللفظ ما يدل على التعيين. وأما المثاني: فهو صيغة جمع. واحده مثناة، والمثناة كل شيء يثنى، أي يجعل اثنين من قولك: ثنيت الشيء إذا عطفته أو ضممت إليه آخر، ومنه يقال: لركبتي الدابة ومرفقيها مثاني، لأنها تثنى بالفخذ والعضد، ومثاني الوادي معاطفه.

إذا عرفت هذا فنقول: سبعا من المثاني مفهومه سبعة أشياء من جنس الأشياء التي تثنى ولا شك أن هذا." (١)

"القرآن ويكون التقدير: ولقد آتيناك سبع آيات هي الفاتحة وهي من جملة المثاني الذي هو/ القرآن وهذا القول عين الأول والتفاوت ليس إلا بقليل والله أعلم.

المسألة الثانية: لفظة «من» في قوله: سبعا من المثاني قال الزجاج فيها وجهان: أحدهما: أن تكون للتبعيض من القرآن أي ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله تعالى وآتيناك القرآن العظيم قال ويجوز أن تكون من صلة، والمعنى: آتيناك سبعا هي المثاني كما قال: فاجتنبوا الرجس من الأوثان [الحج: ٣٠] المعنى: اجتنبوا الأوثان، لا أن بعضها رجس والله أعلم.

أما قوله تعالى: **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم فاعلم أنه تعالى لما عرف رسوله عظم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين، وهو أنه آتاه سبعا من المثاني والقرآن العظيم، نهاه عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها وفي مد العين أقوال:

القول الأول: كأنه قيل له إنك أوتيت القرآن العظيم فلا تشغل سرك وخاطرك بالالتفات إلى الدنيا ومنه الحديث: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»

وقال أبو بكر: من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا، وقيل: وافت من بعض البلاد سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير، فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله تعالى فقال الله تعالى لهم: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع.

القول الثاني: قال ابن عباس: **لا تمدن عينيك** أي لا تتمن ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا، وقرر الواحدي هذا المعنى فقال: إنما يكون مادا عينيه إلى الشيء إذا أدام النظر ونحوه، وإدامة النظر إلى الشيء تدل على استحسانه وتمنيه، وكان صلى الله عليه وسلم لا ينظر إلى ما يستحسن من متاع الدنيا،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥٨/١٩

وروي أنه نظر إلى نعم بني المصطلق، وقد عبست في أبوالها وأبعارها فتقنع في ثوبه وقرأ هذه الآية

وقوله عبست في أبوالها وأبعارها

هو أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها إذا تركت من العمل أيام الربيع فتكثر شحومها ولحومها وهي أحسن ما تكون.

والقول الثالث: قال بعضهم: **ولا تمدن عينيك** أي لا تحسدن أحدا على ما أوتي من الدنيا قال القاضي: هذا بعيد، لأن الحسد من كل أحد قبيح، لأنه إرادة لزوال نعم الغير عنه، وذلك يجري مجرى الاعتراض على الله تعالى والاستقباح لحكمه وقضائه، وذلك من كل أحد قبيح، فكيف يحسن تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم به؟

أما قوله تعالى: أزواجا منهم قال ابن قتيبة أي أصنافا من الكفار، والزوج في اللغة الصنف/ ثم قال: ولا تحزن عليهم إن لم يؤمنوا فيقوى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون. والحاصل أن قوله: **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم نهي له عن الالتفات إلى أموالهم وقوله: ولا تحزن عليهم نهي له عن الالتفات إليهم وأن يحصل لهم في قلبه قدر ووزن.

ثم قال: واخفض جناحك للمؤمنين الخفض: معناه في اللغة نقيض الرفع، ومنه قوله تعالى في صفة القيامة: خافضة رافعة [الواقعة: ٣] أي أنها تخفض أهل المعاصي، وترفع أهل الطاعات، فالخفض معناه." (١)

"المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين، حيث قالوا بعنادهم وجهلهم بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل.

فإن قيل: فعلى هذا القول كيف توسط بين المشبه والمشبه به قوله: **ولا تمدن عينيك** [الحجر: ٨٨] إلى آخره؟

قلنا: لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم، اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم.

والوجه الثاني: أن يتعلق هذا الكلام بقوله: وقل إني أنا النذير المبين.

واعلم أن هذا الوجه لا يتم إلا بأحد أمرين: إما التزام إضمار أو التزام حذف، أما الإضمار فهو أن يكون التقدير إني أنا النذير المبين عذابا كما أنزلناه على المقتسمين، وعلى هذا الوجه، المفعول محذوف وهو المشبه، ودل عليه المشبه به، وهذا كما تقول: رأيت كالقمر في الحسن، أي رأيت إنسانا كالقمر في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦١/١٩

الحسن، وأما الحذف فهو أن يقال: الكاف زائدة محذوفة، والتقدير: إني أنا النذير المبين ما أنزلناه على المقتسمين، وزيادة الكاف له نظير وهو قوله تعالى: ليس كمثله شيء [الشورى: ١١] والتقدير: ليس مثله شيء، وقال بعضهم: لا حاجة إلى الإضمار والحذف، والتقدير: إني أنا النذير أي أنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين وقوله: الذين جعلوا القرآن عضين فيه بحثان:

البحث الأول: في هذا اللفظ قولان: الأول: أنه صفة للمقتسمين. والثاني: أنه مبتدأ، وخبره هو قوله: لنسئلنهم [الحجر: ٩٢] وهو قول ابن زيد.

البحث الثاني: ذكر أهل اللغة في واحد عضين قولين:

القول الأول: أن واحدها عضة مثل عزة وبرة وثبة، وأصلها عضوة من عضيت الشيء إذا فرقته، وكل قطعة عضة، وهي مما نقص منها واو هي لام الفعل، والتعضية التجزئة والتفريق، يقال: عضيت الجزور والشاة تعضية إذا جعلتها أعضاء وقسمتها، وفي الحديث: «لا تعضية في ميراث إلا فيما احتمل القسمة» أي لا تجزئة فيما لا يحتمل القسمة كالجوهرة والسيف. فقوله: جعلوا القرآن عضين يريد جزؤه أجزاء، فقالوا: سحر وشعر وأساطير الأولين ومفترى.

والقول الثاني: أن واحدها عضة وأصلها عضهة، فاستثقلوا الجمع بين هاءين، فقالوا: عضة كما قالوا شفة، والأصل شفهة بدليل قولهم: شافهت مشافهة، وسنة وأصلها سنهة في بعض الأقوال، وهو مأخوذ من العضة بمعنى الكذب، ومنه

الحديث: «إياكم والعضة»

وقال ابن السكيت: العضة بأن يعضه الإنسان ويقول فيه ما ليس فيه. وهذا قول الخليل فيما روى الليث عنه، فعلى هذا القول معنى قوله تعالى: جعلوا القرآن عضين أي جعلوه مفترى. وجمعت العضة جمع ما يعقل لما لحقها من الحذف، فجعل الجمع بالواو والنون عوضا مما لحقها من الحذف.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٩٢ الى ٩٦]

فو ربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣) فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤) إنا كفيناك المستهزئين (٩٥) الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون (٩٦)." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٣/١٩

"والجواب عن الأول: أن/كاد معناه المقاربة فكان معنى الآية أنه قرب وقوعه في الفتنة، وهذا القدر لا يدل على الوقوع في تلك الفتنة فإنا إذا قلنا كاد الأمير أن يضرب فلانا لا يفهم منه أنه ضربه، والجواب عن الثاني:
أن كلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره، تقول لولا علي لهلك عمر، معناه أن وجود علي منع من حصول الهلاك لعمر، فكذلك هاهنا قوله: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم معناه أنه حصل تثبيت الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان حصول ذلك التثبيت مانعا من حصول ذلك الركون، والجواب عن الثالث: أن ذلك التهديد على المعصية لا يدل على الإقدام عليها والدليل عليه آيات منها قوله: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين [الحاقة: ٤٤- ٤٦] ومنها قوله: لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر: ٦٥] ومنها قوله: ولا تطع الكافرين والمنافقين [الأحزاب: ٤٨] والله أعلم.
المسألة الرابعة: احتج أصحابنا على صحة قولهم بأنه لا عصمة عن المعاصي إلا بتوفيق الله تعالى بقوله: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا قالوا إنه تعالى بين أنه لولا تثبيت الله تعالى له لمال إلى طريقة الكفار ولا شك أن محمد صلى الله عليه وسلم كان أقوى من غيره في قوة الدين وصفاء اليقين فلما بين الله تعالى أن بقاءه معصوما عن الكفر والضلال لم يحصل إلا بإعانة الله تعالى وإغاثته كان حصول هذا المعنى في حق غيره أولى.
قالت المعتزلة: المراد بهذا التثبيت الألطاف الصارفة له عن ذلك وهي ما خطر بباله من ذكر وعده ووعيده، ومن ذكر أن كونه نبيا من عند الله تعالى يمنع من ذلك، والجواب: لا شك أن هذا التثبيت عبارة عن فعل فعله الله يمنع الرسول من الوقوع في ذلك العمل المحذور، فنقول: لو لم يوجد المقتضى للإقدام على ذلك العمل المحذور في حق الرسول لما كان إلى إيجاد هذا المانع حاجة وحيث وقعت الحاجة إلى تحصيل هذا المانع علمنا أن المقتضى قد حصل في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وأن هذا المانع الذي فعله الله منع ذلك المقتضى من العمل وهذا لا يتم إلا إذا قلنا إن القدرة مع الداعي توجب الفعل، فإذا حصلت داعية أخرى معارضة للداعية الأولى اختل المؤثر فامتنع الفعل ونحن لا نريد إلا إثبات هذا المعنى والله أعلم.
المسألة الخامسة: قال القفال رحمه الله: قد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية الوجوه المذكورة، ويمكن أيضا تأويلها من غير تقييد بسبب يضاف نزولها فيه لأن من المعلوم أن المشركين كانوا يسعون في إبطال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقصى ما يقدرون عليه، فتارة كانوا يقولون: إن عبدت آلهتنا عبدنا إلهك،

فأنزل الله تعالى: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون [الكافرون: ١، ٢] وقوله: ودوا لو تدهن فيدهنون [القلم: ٩] وعرضوا عليه الأموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك ادعاء النبوة فأنزل الله تعالى: **ولا تمدن عينيك** [طه: ١٣١] ودعوه إلى طرد المؤمنين عن نفسه فأنزل الله تعالى قوله: ولا تطرد الذين يدعون ربهم [الأنعام: ٥٢] فيجوز أن تكون هذه الآيات نزلت في هذا الباب/ وذلك أنهم قصدوا أن يفتنوه عن دينه وأن يزيلوه عن منهجه، فبين تعالى أنه يثبته على الدين القويم والمنهج المستقيم، وعلى هذا الطريق فلا حاجة في تفسير هذه الآيات إلى شيء من تلك الروايات. والله أعلم.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٧٦ الى ٧٧]

وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا (٧٦) سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٧٧)." (١)

"وقت السكون والراحة. فإذا صرف إلى العبادة كانت على الأنفس أشق وللبدن أتعب فكانت أدخل في استحقاق الأجر والفضل.

المسألة الخامسة: لقائل أن يقول: النهار له طرفان فكيف قال: وأطراف النهار بل الأولى أن يقول كما قال: وأقم الصلاة طرفي النهار [هود: ١١٤] ، وجوابه من الناس من قال أقل الجمع اثنان فسقط السؤال، ومنهم من قال: إنما جمع لأنه يتكرر في كل نهار ويعود، أما قوله تعالى: لعلك ترضى ففيه وجوه. أحدها:
أن هذا كما يقول الملك الكبير: يا فلان اشتغل بالخدمة فلعلك تنتفع به ويكون المراد إني أوصلك إلى درجة عالية في النعمة، وهو إشارة إلى قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى [الضحى: ٥] وقوله: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا [الإسراء: ٧٩] ، وثانيها: لعلك ترضى ما تنال من الثواب. وثالثها: لعلك ترضى ما تنال من الشفاعة. وقرأ الكسائي وعاصم: لعلك ترضى بضم التاء والمعنى لا يختلف لأن الله تعالى إذا أرضاه فقد رضيه وإذا رضيه فقد أرضاه.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٣١ الى ١٣٥]

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١/٣٨٠

من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

اعلم أنه تعالى لما صبر رسوله عليه السلام على ما يقولون، وأمره بأن يعدل إلى التسبيح أتبع ذلك بنهيه عن مد عينيه إلى ما متع به القوم فقال تعالى: **ولا تمدن عينيك** وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: **ولا تمدن عينيك** وجهان: أحدهما: المراد منه نظر العين وهؤلاء قالوا: مد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه إعجابا به كما فعل نظارة قارون حيث قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم [القصص: ٧٩] حتى واجههم أولوا العلم والإيمان بقولهم: ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا [القصص: ٨٠] وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك كما إذا نظر الإنسان إلى شيء مرة ثم غض، ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع قيل: **ولا تمدن عينيك** أي لا تفعل ما أنت معتاد له. ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمركوب وغير ذلك لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمقوي لهم على اتخاذها. القول الثاني: قال أبو مسلم الذي نهي عنه بقوله: **ولا تمدن عينيك** ليس هو النظر، بل هو الأسف أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا.

المسألة الثانية:

قال أبو رافع: «نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني إلى يهودي لبيع أو سلف، فقال: والله لا أفعل ذلك إلا برهن فأخبرته بقوله فأمرني أن أذهب بدرعه إليه فنزل قوله تعالى: **ولا تمدن عينيك**»

وقال عليه السلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم»

وقال أبو." [1]

"على تحسين الخلق وتطهير النفس عن المعاصي والقبائح.

المسألة الثانية: احتج من جوز المعاصي على الأنبياء بهذه الآية، قال لولا أنه كان مشتغلا بها وإلا لما زجر عنها بقوله: والرجز فاهجر والجواب المراد منه الأمر بالمداومة على ذلك الهجران، كما أن المسلم إذا قال: اهدنا فليس معناه أنا لسنا على الهداية فاهدنا، بل المراد ثبتنا على هذه الهداية، فكذا هاهنا.

المسألة الثالثة: قرأ عاصم في رواية حفص والرجز بضم الراء في هذه السورة وفي سائر القرآن بكسر الراء،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢/١١٤

وقرأ الباقون وعاصم في رواية أبي بكر بالكسر وقرأ يعقوب بالضم، ثم قال الفراء: هما لغتان والمعنى واحد، وفي كتاب الخليل الرجز بضم الراء عبادة الأوثان وبكسر الراء العذاب، ووسواس الشيطان أيضا رجز، وقال أبو عبيدة: أفشى اللغتين وأكثرهما الكسر.

[سورة المدثر (٧٤) : آية ٦]

ولا تمنن تستكثر (٦)

فيه مسائل:

المسألة الأولى: القراءة المشهورة تستكثر برفع الراء وفيه ثلاثة أوجه أحدها: أن/ يكون التقدير ولا تمنن لتستكثر فتنزع اللام فيرتفع وثانيها: أن يكون التقدير لا تمنن أن تستكثر ثم تحذف أن الناصبة فتسلم الكلمة من الناصب والجازم فترتفع ويكون مجاز الكلام لا تعط لأن تستكثر وثالثها: أنه حال متوقعة أي لا تمنن مقدرا أن تستكثر قال أبو علي الفارسي: هو مثل قولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرا للصيد فكذا هاهنا المعنى مقدرا الاستكثار، قال: ويجوز أن يحكى به حالا آتيه، إذا عرفت هذا فنقول، ذكروا في تفسير الآية وجوها أحدها: أنه تعالى أمره قبل هذه الآية، بأربعة أشياء: إنذار القوم، وتكبير الرب، وتطهير الثياب، وهجر الرجز، ثم قال: ولا تمنن تستكثر أي لا تمنن على ربك بهذه الأعمال الشاقة، كالمستكثر لما تفعله، بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك متقربا بذلك إليه غير ممتن به عليه. قال الحسن، لا تمنن على ربك بحسناتك فتستكثرها وثانيها: لا تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدين، والوحي كالمستكثر لذلك الإنعام، فإنك إنما فعلت ذلك بأمر الله، فلا منة لك عليهم، ولهذا قال: ولربك فاصبر [المدثر: ٧] ، وثالثها: لا تمنن عليهم بنبوتك لتستكثر، أي لتأخذ منهم على ذلك أجرا تستكثر به مالك ورابعها: لا تمنن أي لا تضعف من قولهم:

حبل منين أي ضعيف، يقال: منه السير أي أضعفه. والتقدير فلا تضعف أن تستكثر من هذه الطاعات الأربعة التي أمرت بها قبل هذه الآية، ومن ذهب إلى هذا قال: هو مثل قوله: أفغير الله تأمروني أعبد [الزمر: ٦٤] أي أن أعبد فحذفت أن وذكر الفراء أن في قراءة عبد الله (ولا تمتن تستكثر) وهذا يشهد لهذا التأويل، وهذا القول اختيار مجاهد وخامسها: وهو قول أكثر المفسرين أن معنى قوله: ولا تمنن أي لا تعط يقال: مننت فلانا كذا أي أعطيته، قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك [ص: ٣٩] أي فأعط، أو أمسك وأصله أن من أعطى فقد من، فسميت العطية بالمن على سبيل الاستعارة، فالمعنى ولا تعط مالك لأجل أن تأخذ أكثر منه، وعلى هذا التأويل سؤالات:

السؤال الأول: ما الحكمة في أن الله تعالى منعه من هذا العمل؟ الجواب: الحكمة فيه من وجوه الأول: لأجل أن تكون عطاياه لأجل الله لا لأجل طلب الدنيا، فإنه نهي عن طلب الدنيا في قوله: **ولا تمدن عينيك**." [١]

"العظمى وأسمائه الحسنى، ويجوز أن يراد ب المثاني القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبعيض. والقرآن العظيم إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص، وإن أريد به الأسباع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٨ الى ٨٩]

لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩)

لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب. إلى ما متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار، فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات. وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه «من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا» .

وروي «أنه عليه الصلاة والسلام وافى بأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فقال لهم: لقد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع» .

ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا.

وقيل إنهم المتمتعون به. واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم.

وقل إني أنا النذير المبين أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا.

[سورة الحجر (١٥) : آية ٩٠]

كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠)

كما أنزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي أنزلناه عليهم، فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٠/٧٠٠

والمقتسمون هم الإثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فأهلكهم الله تعالى يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا أي تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه. ولقد آتيناك فإنه بمعنى أنزلنا إليك. والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا: بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما، أو قسموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين، أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرءون من كتبهم، فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله **لا تمدن عينيك** الخ اعتراضا ممدا لها.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٩١ الى ٩٣]

الذين جعلوا القرآن عضين (٩١) فو ربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣)

الذين جعلوا القرآن عضين أجزاء جمع عضة، وأصلها عضوة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء.

وقيل فعلة من عضهته إذا بهته،

وفي الحديث «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة»

وقيل أسحارا وعن عكرمة المعضة السحر، وإنما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره.

فو ربك لنسئلنهم أجمعين. عما كانوا يعملون من التقسيم أو النسبة إلى السحر فنجازيهم عليه.

وقيل هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي.

[سورة الحجر (١٥) : آية ٩٤]

فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤)

فاصدع بما تؤمر فاجهر به، من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا، أو فافرق به بين الحق والباطل، وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة، والراجع محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع. وأعرض عن." (١)

"أو أمر بصلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أو لأن النهار جنس، أو بالتطوع في أجزاء النهار. لعلك ترضى متعلق ب سبح أي سبح في هذه الأوقات

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢١٧/٣

طمعا أن تنال عند الله ما به ترضي نفسك. وقرأ الكسائي وأبو بكر بالبناء للمفعول أي يرضيك ربك.

[سورة طه (٢٠) : آية ١٣١]

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١)

ولا تمدن عينيك أي نظر عينيك. إلى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله. أزواجا منهم وأصنافا من الكفرة، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم أي إلى الذي متعنا به، وهو أصناف بعضهم أو ناسا منهم. زهرة الحياة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى أعطينا، أو بالبدل من محل به أو من أزواجا بتقدير مضاف ودونه، أو بالذم وهي الزينة والبهجة. وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة، أو جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد. لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه. ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة، أو ما رزقك من الهدى والنبوة. خير مما منحهم في الدنيا. وأبقى فإنه لا ينقطع.

[سورة طه (٢٠) : آية ١٣٢]

وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)

وأمر أهلك بالصلاة أمره بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمر بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة. واصطبر عليها وداوم عليها. لا نسئلك رزقا أي أن ترزق نفسك ولا أهلك. نحن نرزقك وإياهم ففرغ بالك لأم الآخرة. والعاقبة المحمودة. للتقوى لذوي التقوى.

روي «أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية» .

[سورة طه (٢٠) : آية ١٣٣]

وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣)

وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة، أو بآية مقترحة إنكارا لما جاء به من الآيات، أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فألزمهم بإتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها، لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم أو العمل على وجه خارق للعادة، ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرا وأبقى أثرا فكذا ما كان من هذا القبيل، ونبههم أيضا على وجه أبين من وجوه

إعجاز المختصة بهذا الباب فقال: أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، فإن اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أمي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين، وفيه إشعار بأنه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث أنه معجز وتلك ليست كذلك، بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها. وقرئ «الصحف» بالتخفيف وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم أولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٣٤ الى ١٣٥]

ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أو البينة والتذكير لأنها في معنى." (١)

"**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨)

ثم قال لرسوله ﴿**لا تمدن عينيك**﴾ أي لا تطمح ببصرك طموح راغب ٢ فيه متمن له ﴿إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به **ولا تمدن عينيك** إلى متاع الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر." (٢)

"الذين جعلوا القرآن عضين (٩١)

﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوارة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزءون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول

الحجر (٩١ ـ ٩٩)

الآخر سورة آل عمران لي أو أريد بالقرآن ما يقرءونه من كتبهم وقد اقتسموه فاليهود أقرت ببعض التوارة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزءون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤٣/٤

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٩٨/٢

المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله **ولا تمدن عينيك** على الوجه الآول اعترض بينهما لأنه لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الإلتفات." (١)

"**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١)

﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أن يبادر الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عنابنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا إلى دقدقة هما ليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل العصية من تلك الرقاب وهذا لا يهما إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لعرهم ومغر لهم على اتخاذها ﴿إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أصنافا من الكفرة ويجوزان ينصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ زينتها وبهجتها وانتصب على الذم وعلى ابداله محل به أو على إبداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود." (٢)

"وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)

﴿وأمر أهلك﴾ أمتك أو أهل بيتك ﴿بالصلاة واصطبر﴾ أنت داوم ﴿عليها لا نسألك رزقا﴾ أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ﴿نحن نرزقك﴾ واياهم فلا تهتم لأمر الرزق وفرغ باك الامر والآخرة لأن من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين فرأ **ولا تمدن عينيك** الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله

طه (١٣٥ - ١٣٢)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٩٩/٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٩٠/٢

الأنبياء (١)

وعن مالك بن دينار مثله في بعض المسانيد أنه عليه السلام كان إذا اصاب اهله ضرا أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين." (١)

"الحديث، والمثاني: مشتق من التثنية وهي التكرير، لأن الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة، ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها، وقيل: هي مشتقة من الثناء، لأن فيها ثناء على الله، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو لبيان الجنس، وعطف القرآن على السبع المثاني لأنه يعني ما سواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص

لا تمدن عينيك أي لا تنظر إلى ما متعناهم به في الدنيا كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم، فلا تنظر إلى الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظم منها أزواجا منهم يعني أصنافا من الكفار ولا تحزن عليهم أي لا تتأسف لكفرهم واخفض جناحك أي تواضع ولن للمؤمنين والجناح هنا استعارة كما أنزلنا على المقتسمين الكاف من كما متعلقة بقوله: أنا النذير أي أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين، وقيل: متعلق بقوله: ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين، واختلف في المقتسمين فقيل: هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فاقتسموا إلى قسمين، وقيل: هم قريش اقتسموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب، يقول أحدهم:
هو شاعر، ويقول الآخر: هو ساحر، وغير ذلك الذين جعلوا القرآن عضين أي أجزاء، وقالوا فيه أقوالا مختلفة وواحد عضين عضة وقيل: هو من العضه وهو السحر، والعاضه الساحر، والمعنى على هذا أنه سحر، والكلمة محذوفة اللام ولامها على القول الأول واو وعلى الثاني هاء فو ربك لنسئلنهم أجمعين إن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان؟ فالجواب أن السؤال المثبت هو على: وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفي هو: على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها فاصدع بما تؤمر أي صرح به وأنفذه إنا كفيناك المستهزئين يعني قوما من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعى النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس، وقصة هلاكهم مذكورة في السير، وقيل: الذين قتلوا ببدر كأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعقبة

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/ ٣٩١

بن أبي معيط وغيرهم، والأول أرجح، لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأنيس حتى يأتيك اليقين أي الموت.." (١)

"أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك فيكون أمرا بالجمع بين قوله: سبحان الله وقوله الحمد لله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض «١» قبل طلوع الشمس وقبل غروبها إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح: الصلاة، فالتي قبل طلوع الشمس الصبح، والتي قبل غروبها الظهر والعصر، ومن آناء الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح، وكرر الصبح في ذلك تأكيدا للأمر بها، وسمى الطرفين اطرافا لأحد وجهين: إما على نحو فقد صغت قلوبكما، وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف، وآناء الليل ساعاته، واحدها إني **ولا تمدن عينيك** ذكر في [الحجر: ٨٨] ومد العينين هو تطويل النظر ففي ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه زهرة الحياة الدنيا شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار، لأن الزهر له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل، وفي نصب زهرة خمسة أوجه: أن ينتصب بفعل مضمر على الذم، أو يضمن متعنا معنى أعطينا، ويكون زهرة مفعولا ثانيا له، أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور، أو يكون بدلا من أزواجا على تقدير ذوي زهرة أو ينتصب على الحال.

لنفتنهم فيه أي لنختبرهم لا نسئلك رزقا أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال:

قوموا فصلوا بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى البينة هنا البرهان، والصحف الأولى هي التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، والضمير في قالوا وفي أو لم تأتهم لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت: أجابهم الله بهذا الجواب، والمعنى قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم، فلأي شيء تطلبون آية أخرى، ويحتمل أن يكون المعنى: قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله الآية: معناها لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لاحتجوا على الله بأن يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولا، ولولا هنا:

عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه صلى الله عليه وسلم قل كل متربص أي قل كل واحد منا ومنكم منتظر

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/ ٤٢١

لما يكون من هذا الأمر فتربصوا تهديد الصراط السوي المستقيم.

---

(١) . جزء من حديث رواه النووي في الأربعين رقم ٢٣ وأوله: الطهور شطر الإيمان وهو في مسلم ج ١/. ٢٠٣

أول كتاب الطهارة.." (١)

"بأنفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤوا إليها، واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم جميعا وإنهما يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة لبإمام مبين يعني طريق واضح مستبين لمن مر بهما، وقيل: الضمير راجع إلى الأيكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا إليهما وإنما سمي الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع، ولأن المسافر يأتم به حتى يصير إلى الموضع الذي يريده. قوله عز وجل ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين قال المفسرون: الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام إلى الحجاز، وأهل الحجاز إلى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده، وإنما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لأنهم كذبوه، وكذبوا من قبله من الرسل.

[سورة الحجر (١٥): الآيات ٨١ الى ٨٨]

وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥)

إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦) ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨)

وآتيناهم آياتنا يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة، وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها، وإنما أضاف الآيات إليهم وإن كانت لصالح، لأنه مرسل إليهم بهذه الآيات فكانوا عنها يعني عن الآيات معرضين يعني تاركين لها غير ملتفتين إليها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين خوفا من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقف فأخذتهم الصيحة يعني العذاب مصبحين يعني وقت الصبح

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٧/٢

فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يعني من الشرك والأعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي» قوله سبحانه وتعالى وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق يعني لإظهار الحق والعذاب، وهو أن يثاب المؤمن المصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب وإن الساعة لآتية يعني: وإن القيامة لتأتي ليجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فاصفح الصفح الجميل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فأعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا. واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح والإعراض منسوخ بآية القتال، وقيل فيه بعد لأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف إن ربك هو الخلاق العليم يعني أنه سبحانه وتعالى خلق خلقه، وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم. قوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال ابن الجوزي: سبب نزولها أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البز والطيب والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله هذه الآية. وقال: قد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله **لا تمدن عينيك** الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف، أو لا يصح لأن هذه السورة مكية، بإجماع أهل التفسير وليس فيها من المدني شيء. ويهود قريظة والنضير، كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال إن سبع قوافل جاءت في يوم واحد، فيها أموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فأنزل الله هذه الآية، وأخبرهم أن هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل والله أعلم، وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها." (١)

"أنها فاتحة الكتاب، وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس، وفي رواية الأكثرين عنه وأبي هريرة والحسن، وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين. ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب، والسبع المثاني» أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي سعيد ابن المعلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» أخرجه البخاري. وفيه زيادة أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني، فلأنها سبع آيات بإجماع

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٦١

أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني. فقال ابن عباس والحسن وقتادة: لأنها تثنى في الصلاة تقرأ في كل ركعة. وقيل: لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين:

فنصفها الأول ثناء على الله. ونصفها الثاني: دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث مذكور في فضل الفاتحة. وقيل سميت مثاني لأن كلماتها مثناة مثل قوله: «الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين» فكل هذه ألفاظ مثناة. وقال الحسن بن الفضل: لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ومعها سبعون ألف ملك. وقال مجاهد: لأن الله سبحانه وتعالى استثناها وادخرها لهذه الأمة فلم يعطها لغيرهم. وقال أبو زيد البلخي: لأنها تثني أهل الشرك عن الشر من قول العرب ثنيت عناني. وقال ابن الزجاج:

سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده، وملكه وإذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وأنها من أفضل سور القرآن، لأن إفرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع أنها جزء من أجزاء القرآن وإحدى سوره لا بد. وأن يكون لاختصاصها بالشرف، والفضيلة. القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني أنها السبع الطوال، وهذا قول ابن عمر وابن مسعود في رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. واختلفوا في السابعة فقيل الأنفال مع براءة لأنهما كالسورة الواحدة، ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم. وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المائتين مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني ربي بالمفصل» أخرجه البغوي بإسناد الثعلبي قال ابن عباس: إنما سميت السبع الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود، والأمثال والخبر والعبر ثنيت فيها، وأورد على هذا القول أن هذه السور الطوال غالبها مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها، وهي مكية وأجيب عن هذا الإيراد بأن الله سبحانه وتعالى، حكم في سابق علمه بإنزال هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم وإذا كان الأمر كذلك صح أن تفسر هذه الآية بهذه السورة، القول الثالث: أن السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال، وفوق المفصل وهي المئين، وحجة هذا القول الحديث المتقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني، والقول الرابع: أن السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول أن الله سبحانه وتعالى

قال «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني» وسمي القرآن كله مثاني لأن الأخبار والقصص والأمثال ثنيت فيه فإن قلت: كيف يصح عطف القرآن في قوله «والقرآن العظيم» على قوله «سبعا من المثاني» وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟ قلت: إذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فما وراءهن ينطلق عليه القرآن لأن القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى إلى قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام. وإذا عنى بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني، وهي القرآن العظيم وإنما سمي القرآن عظيما، لأنه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم. قوله **لا تمدن عينيك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي **لا تمدن عينيك** يا محمد إلى ما متعنا به أزواجا يعني أصنافا منهم يعني من." (١)

"[سورة طه (٢٠): الآيات ١٣٠ الى ١٣٥]

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤)

قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

فاصبر على ما يقولون نسختها آية السيف وسبح بحمد ربك أي صل بأمر ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها أي صلاة العصر ومن آناء الليل أي ومن ساعاته فسبح يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل وأطراف النهار يعني صلاة الظهر سمي وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء لعلك ترضى أي ترضى ثوابه في المعاد، وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة، وقرئ ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه، وقيل يرضاك ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال: «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم، وهو الظلم والمعنى أنكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته وروي بتشديد الميم من الانضمام والازدحام، أي لا يزدحم ولا ينضم بعضكم

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٦٢

إلى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية لا للمرئي وهي فعل الرائي، ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معه، الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر ولا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل: **ولا تمدن عينيك** قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني إلى يهودي فقال قل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بعني كذا وكذا من الدقيق أو سلفني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعني أو أسلفني لقضيته إني لأمين في السماء وأمين في الأرض أذهب بدرعي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية: **ولا تمدن عينيك** أي لا تنظر نظرا تكاد ترده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وتمنيا له إلى ما متعنا به أي أعطينا أزواجا أي أصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وبهجتها لنفتنهم فيه أي لنجعل ذلك فتنة بأن تزيد النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ورزق ربك أي في المعاد في الجنة خير وأبقى أي أدوم وقال أبي بن كعب من لم يعتز بالله تقطعت نفسه حسرات، ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه. ف قوله تعالى: وأمر أهلك أي قومك وقيل من كان على دينك بالصلاة يعني بالمحافظة عليها واصطبر عليها يعني اصبر على الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فإن الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول لا نسئلك رزقا أي لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا نحن نرزقك أي بل نحن نرزقك ونرزق أهلك والعاقبة للتقوى أي الخصلة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفي بعض المسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا يأتينا بآية من ربه أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى أي بيان ما فيها وهو القرآن لأنه أقوى." (١)

"ليس معللا بعموم كونه فسقا، بل بخصوص وصفه وهو كون ذلك الفسق كفرا، فثبت أن استدلال الجبائي باطل انتهى. وفيه بعض تلخيص.

وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون.

ذكر السبب الذي هو بمفرده مانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر، وأتبعه بما هو ناشيء عن الكفر ومستلزم

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢١٨/٣

له وهو دليل عليه. وذلك هو إتيان الصلاة وهم كسالى، وإيتاء النفقة وهم كارهون. فالكسل في الصلاة وترك النشاط إليها وأخذها بالإقبال من ثمرات الكفر، فإيقاعها عندهم لا يرجون به ثوابا، ولا يخافون بالتفريط فيها عقابا. وكذلك الإنفاق للأموال لا يكرهون ذلك إلا وهم لا يرجون به ثوابا. وذكر من أعمال البر هذين العملين الجليلين وهما الصلاة والنفقة، واكتفى بهما وإن كانوا أفسد حالا في سائر أعمال البر، لأن الصلاة أشرف الأعمال البدنية، والنفقة في سبيل الله أشرف الأعمال المالية، وهما وصفان المطلوب إظهارهما في الإسلام، ويستدل بهما على الإيمان، وتعداد القبائح يزيد الموصوف بها ذما وتقبيحا. وقرأ الأخوان وزيد بن علي: أن يقبل بالياء، وباقي السبعة بالتاء، ونفقاتهم بالجميع، وزيد بن علي بالإفراد. وقرأ الأعرج بخلاف عنه: أن تقبل بالتاء من فوق نفقتهم بالإفراد. وفي هذه القراءات الفعل مبني للمفعول. وقرأت فرقة: أن نقبل منهم نفقتهم بالنون ونصب النفقة. قال الزمخشري: وقراءة السلمي أن نقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله تعالى انتهى. والأولى أن يكون فاعل منع قوله: إلا أنهم أي كفرهم، ويحتمل أن يكون لفظ الجلالة أي: وما منعهم الله، ويكون إلا أنهم تقديره: إلا لأنهم كفروا. وأن تقبل مفعول ثان إما لوصول منع إليه بنفسه، وإما على تقدير حذف حرف الجر، فوصل الفعل إليه.

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدني ا وتزهق أنفسهم وهم كافرون: لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة، بين أن الأشياء التي يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى أسبابا ليعذبهم بها في الدنيا أي: ولا يعجبك أيها السامع بمعنى لا يستحسن ولا يفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله: **ولا تمدن عينيك** وفي هذا تحقير لشأن المنافقين. قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وابن قتيبة: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة." [١]

"ذلك الكوفيون وتبعهم من أصحابنا الأستاذ أبو الحسن بن خروف، ودلائل ذلك مسطرة في كتب النحو. والذي يظهر أن إبليس لما استثنى العباد المخلصين كانت الصفة ملحوظة في قوله: إن عبادي أي: عبادي المخلصين الذين ذكرتهم ليس لك عليهم سلطان. ومن في من الغاوين لبيان الجنس أي: الذين هم الغاوون. وقال الجبائي: هذه الآية تدل على بطلان قول من زعم أن الشيطان والجن يمكنهم صرع الناس وإزالة عقولهم كما تقول العامة، وربما نسبوا ذلك إلى السحرة. قال: وذلك خلاف ما نص الله تعالى عليه، ولموعدهم مكان وعد اجتماعهم والضمير للغاوين. وقال ابن عطية: وأجمعين تأكيد، وفيه معنى الحال انتهى. وهذا جنوح لمذهب من يزعم أن أجمعين تدل على اتحاد الوقت، والصحيح أن مدلوله مدلول كلهم.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/٤٣٥

والظاهر أن جهنم هي واحدة، ولها سبعة أبواب. وقيل: أبواب النار أطباقها وأدراكها، فأعلاها للموحدين، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصائبين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. وقرأ ابن القعقاع: جز بتشديد الزاي من غير همز، ووجهه أنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي، ثم وقف بالتشديد نحو: هذا فرج، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف. واختلف عن الزهري، ففي كتاب ابن عطية: وقرأ ابن شهاب بضم الزاي، ولعله تصحيف من الناسخ، لأني وجدت في التحرير: وقرأ ابن وثاب بضمها مهموزا فيهما. وقرأ الزهري بتشديد الزاي دون همز، وهي قراءة ابن القعقاع. وأن فرقة قرأت بالتشديد منهم: ابن القعقاع. وفي كتاب الزمخشري وكتاب اللوامح: أنه قرأ بالتشديد، وفي اللوامح هو وأبو جعفر.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٤٥ الى ٩٩]

إن المتقين في جنات وعيون (٤٥) ادخلوها بسلام آمنين (٤٦) ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين (٤٧) لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين (٤٨) نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (٤٩)

وأن عذابي هو العذاب الأليم (٥٠) ونبئهم عن ضيف إبراهيم (٥١) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون (٥٢) قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم (٥٣) قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون (٥٤)

قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين (٥٥) قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون (٥٦) قال فما خطبكم أيها المرسلون (٥٧) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٥٨) إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين (٥٩) إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين (٦٠) فلما جاء آل لوط المرسلون (٦١) قال إنكم قوم منكرون (٦٢) قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون (٦٣) وأتيناك بالحق وإنا لصادقون (٦٤)

فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون (٦٥) وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (٦٦) وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ول، تخزون (٦٩)

قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠) قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١) لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢) فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٧٤)

إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) وإنها لبسبيل مقيم (٧٦) إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧) وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين (٧٨) فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين (٧٩)

ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤)
وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥) إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦) ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩)
كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١) فو ربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣) فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤)
إنا كفيناك المستهزئين (٩٥) الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون (٩٦) ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)." [١]

"ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون: أصحاب الحجر ثمود قوم صالح عليه السلام، والحجر أرض بين الحجاز والشام، وتقدمت قصته في الأعراف مستوفاة. والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحا، لأن من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا. قال الزمخشري: أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل: الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه.
وعن جابر قال: مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذر أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء، ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها» وفي بعض طرقه ثم قال: «هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله إلا رجلا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله» قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «أبو رغال» وإليه تنسب ثقيف.
وآتيناهم آياتنا قيل: أنزل إليهم آيات من كتاب الله، وقيل: يراد نصب الأدلة فأعرضوا عنها. وقيل: كان في الناقة آيات خمس. خروجها من الصخرة، ودنو نتاجها عند خروجها، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعا. وقيل: كانت له آيات غير الناقة. وقرأ الجمهور: ينحتون بكسر الحاء. وقرأ الحسن، وأبو حيوة بفتحها وصفهم بشدة النظر للدنيا والتكسب منها، فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٧٩/٦

بالمعاول ونحوها في الحجارة. وآمنين، قيل: من الانهدام. وقيل: من حوادث الدنيا. وقيل: من الموت لاغترارهم بطول الأعمار. وقيل: من نقب اللصوص، ومن الأعداء. وقيل: من عذاب الله، يحسبون أن الجبال تحميهم منه. قال ابن عطية: وأصح ما يظهر في ذلك أنهم كانوا يأمنون عواقب الآخرة، فكانوا لا يعملون بحسبها، بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها.

ومصبحين: داخلين في الصباح. والظاهر أن ما في قوله فما أغنى نافية، وتحتمل الاستفهام المراد منه التعجب. وما في كانوا يحتمل أن تكون مصدرية، والظاهر أنها بمعنى الذي، والضمير محذوف أي: يكسبونه من البيوت الوثيقة والأموال والعدد، بل خروا جاثمين هلكى وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فو ربك." [١]

"السلام أي فنسي موسى أن يذكر لكم أن هذا إلهكم أو فنسي الطريق إلى ربه، وكلا هذين القولين عن ابن عباس. أو فنسي موسى إلهه عندكم وخالفه في طريق آخر قاله قتادة، وعلى هذه الأقوال يكون من كلام السامري.

ثم بين تعالى فساد اعتقادهم بأن الألوهية لا تصلح لمن سلبت عنه هذه الصفات فقال: أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا كقول إبراهيم لأبيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر

«١» والرؤية هنا بمعنى العلم، ولذلك جاء بعدها أن المخففة من الثقيلة كما جاء ألم يروا أنه لا يكلمهم

«٢» بأن الثقيلة وبرفع يرجع قرأ الجمهور. وقرأ أبو حيوة ألا يرجع بنصب العين قاله ابن خالويه. وفي الكامل ووافقه على ذلك وعلى نصب ولا يملك الزعفراني وابن صبيح وأبان والشافعي محمد بن إدريس الإمام المطلبي جعلوها أن الناصبة للمضارع وتكون الرؤية من الإبصار.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٩٠ الى ١٣٥]

ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري (٩٠) قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى (٩١) قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا (٩٢) ألا تتبعن أفعصيت أمري (٩٣) قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٤٩٢

ولم ترقب قولي (٩٤)
قال فما خطبك يا سامري (٩٥) قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي (٩٦) قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا (٩٧) إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما (٩٨) كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا (٩٩)
من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا (١٠٠) خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا (١٠١) يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (١٠٢) يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا (١٠٣) نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما (١٠٤)
ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا (١٠٥) فيذرها قاعا صفصفا (١٠٦) لا ترى فيها عوجا ولا أمتا (١٠٧) يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا (١٠٨) يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا (١٠٩)
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما (١١٠) وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما (١١١) ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما (١١٢) وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا (١١٣) فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما (١١٤)
ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما (١١٥) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى (١١٦) فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (١١٧) إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨) وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى (١١٩)
فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢) قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (١٢٧) أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت

من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩)
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤)
قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

---

(١) سورة مريم: ١٩/ ٤٣.
(٢) سورة الأعراف: ٧/ ١٤٨.." [١]

"قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا «١» وقيل: أعمى البصيرة. قال ابن عطية:
ولو كان هذا لم يحس الكافر بذلك لأنه مات أعمى البصيرة ويحشر كذلك. وقال مجاهد والضحاك ومقاتل وأبو صالح وروي عن ابن عباس: أعمى عن حجته لا حجة له يهتدي بها. وعن ابن عباس يحشر بصيرا ثم إذا استوى إلى المحشر أعمى. وقيل: أعمى عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه كالأعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه. وقيل أعمى عن كل شيء إلا عن جهنم. وقال الجبائي: المراد من حشره أعمى لا يهتدي إلى شيء. وقال إبراهيم بن عرفة: كل ما ذكره الله عز وجل في كتابه فذمه فإنما يريد عمى القلب قال تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.
وقال مجاهد: معنى لم حشرتني أعمى أي لا حجة لي وقد كنت عالما بحجتي بصيرا بها أحاج عن نفسي في الدنيا انتهى. سأل العبد ربه عن السبب الذي استحق به أن يحشر أعمى لأنه جهله، وظن أنه لا ذنب له فقال له جل ذكره كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى أي مثل ذلك أنت، ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر، ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك قاله الزمخشري. والنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الذهول، ومعنى تنسى تترك في العذاب وكذلك نجزي أي مثل ذلك الجزاء نجزي من أسرف أي من جاوز الحد في المعصية ثم أخبر تعالى أن عذاب الآخرة أشد أي من عذاب الدنيا لأنه أعظم منه وأبقى أي منه لأنه دائم مستمر

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧/٣٧٠

وعذاب الدنيا منقطع. وقال الزمخشري: والحشر على العمى الذي لا يزوال أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي، أو أراد ولتركنا إياه في العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا.

أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى. ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى. **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى. وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا

---

(١) سورة الإسراء: ١٧/ ٩٧.." [١]

"﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٥٥) ﴾

يقول تعالى لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ كما قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١]." [٢]

"شرع بعد الهجرة.

وقوله: ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ تقرير للمعاد، وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة، فإنه الخلاق الذي لا يعجزه خلق ما يشاء، وهو العليم بما تمزق (١) من الأجساد، وتفرق (٢) في سائر أقطار الأرض، كما قال تعالى: ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾ [يس: ٨١-٨٣].

﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) ﴾

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧/٣٩٥

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/١٦٢

يقول تعالى لنبيه: كما آتيناك القرآن العظيم، فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها، وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه، فلا تغبطهم بما هم فيه، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم في تكذيبهم لك، ومخالفتهم دينك. ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥] أي: ألن لهم جانبك (٣) كما قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨]

وقد اختلف في السبع المثاني: ما هي؟

فقال ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك وغير واحد: هي السبع الطول. يعنون: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، نص عليه ابن عباس، وسعيد بن جبير.

وقال سعيد: بين (٤) فيهن الفرائض، والحدود، والقصص، والأحكام.

وقال ابن عباس: بين (٥) الأمثال والخبر والعبر (٦)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر قال: قال سفيان: ﴿المثاني﴾ المثنى: (٧) البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال وبراءة (٨) سورة واحدة.

قال ابن عباس: ولم يعطهن أحد إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وأعطي موسى منهن ثنتين. رواه هشيم، عن الحجاج، عن الوليد بن العيزار (٩) عن سعيد بن جبير عنه.

[و] (١٠) قال الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أوتي النبي صلى الله عليه وسلم سبعا من المثاني الطول، وأوتي موسى، عليه السلام، ستا، فلما ألقى الألواح ارتفع (١١) اثنتان وبقيت أربع.

---

(١) في ت، أ: "يمزق".

(٢) في ت، أ: "ويفرق"

(٣) في ت: "جنابك".

(٤) في ت، أ: "ثنى".

(٥) في ت، أ: "ثنى".

(٦) في ت: "الخير والشر".

(٧) في ت: "المبين".

(٨) في ت: "وبراءة والأنفال".

(٩) في ت: "العيزان".

(١٠) زيادة من ت، أ:

(١١) في ت، أ: "رفعت".." [1]

"ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة، والله أعلم.

وقوله: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أي: استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية.

ومن هاهنا ذهب ابن عيينة إلى تفسير الحديث الصحيح: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" (١) إلى أنه يستغنى به عما عداه، وهو تفسير صحيح، ولكن ليس هو المقصود من الحديث، كما تقدم في أول التفسير.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن وكيع بن الجراح، حدثنا موسى بن عبيدة، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي رافع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال: أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيف (٢) ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم شيء (٣) يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود: يقول لك محمد رسول الله: أسلفني دقيقا إلى هلال رجب. قال: لا إلا برهن. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم [فأخبرته (٤) فقال: "أما والله إني لأمين من في السماء وأمين من في الأرض ولئن أسلفني أو باعني لأؤدين إليه". فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ إلى آخر الآية. [طه: ١٣١] كأنه (٥) يعزيه عن الدنيا (٦)

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿**لا تمدن عينيك**﴾ قال: نهي الرجل أن يتمنى مال صاحبه.

وقال مجاهد: ﴿إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ هم الأغنياء.

﴿وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) ﴾

---

(١) وانظر فيما تقدم في فضائل القرآن، باب: من لم يتغن بالقرآن.

(٢) في ت: "ضيفا" وهو الصواب".

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٤٦/٤

(٣) في ت، أ: "أمرا".

(٤) زيادة من ت، أ.

(٥) في ت: "كما".

(٦) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١/٣٣١) من طريق عبد الله بن نمير، عن موسى بن عبيدة به نحوه، وقال العراقي: "إسناده ضعيف" وذلك لأجل موسى بن عبيدة الربذي.." [١]

"رضي الله عنهم.

وقوله: ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: ولا تجاوزهم إلى غيرهم: يعني: تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة.

﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ أي: شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿ [واتبع هواه] وكان أمره فرطا﴾ (١) أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعا له ولا محبا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه، كما قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه:١٣١]

﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا (٢٩) ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد للناس: هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد؛ ولهذا قال: ﴿إنا أعتدنا﴾ أي: أرصدنا ﴿للظالمين﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿نارا أحاط بهم سرادقها﴾ أي: سورها.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم (٢) عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لسرادق النار أربعة جدر، كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة".

وأخرجه الترمذي في "صفة النار" وابن جرير في تفسيره، من حديث دراج أبي السمح به (٣)

[وقال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ قال: حائط من نار] (٤)

وقال ابن جرير: حدثني الحسين بن نصر والعباس بن محمد قالا حدثنا أبو عاصم، عن عبد الله بن أمية،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٤٨/٤

حدثني محمد بن حيي بن يعلى، عن صفوان بن يعلى، عن يعلى بن أمية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البحر هو جهنم" قال: فقيل له: [كيف ذلك؟] (٥) فتلا هذه الآية -أو: قرأ هذه الآية-: ﴿نارا أحاط بهم سرادقها﴾ ثم قال: "والله لا أدخلها أبدا أو: ما دمت حيا -ولا تصيبني منها قطرة" (٦) .

وقوله: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾ قال ابن عباس: "المهل": ماء غليظ مثل (٧) دردي الزيت.

---

(١) زيادة من ف.

(٢) في ت: "هشيم".

(٣) المسند (٣/٢٩) وسنن الترمذي برقم (٢٥٨٤) وتفسير الطبري (١٥/١٥٧) . ودراج عن أبي الهيثم ضعيف.

(٤) زيادة من ف.

(٥) زيادة من ف.

(٦) تفسير الطبري (١٥/١٥٧) .

(٧) في ت: "قيل".." [١]

"وقوله: ﴿ومن آناء الليل فسبح﴾ أي: من ساعاته فتهجد به. وحمله بعضهم على المغرب والعشاء، ﴿وأطراف النهار﴾ في مقابلة آناء الليل، ﴿لعلك ترضى﴾ كما قال تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى: ٥] .

وفي الصحيح: " يقول الله: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: إني أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا " (١) .

وفي الحديث [الآخر] (٢) يقال: " يا أهل الجنة، إن لكم (٣) عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا (٤) الجنة؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم خيرا من النظر إليه، وهي (٥) الزيادة " (٦) .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/١٥٤

﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيٰة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين (٧) وأشباههم ونظرائهم، وما فيه من النعم (٨) فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور.

وقال مجاهد: ﴿أزواجا منهم﴾ يعني: الأغنياء فقد آتاك [الله] (٩) خيرا مما آتاهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨] ، وكذلك (١٠) ما ادخره الله تعالى لرسوله في الدار الآخرة أمر عظيم لا يحد ولا يوصف، كما قال تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى: ٥] ولهذا قال: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ .

وفي الصحيح: أن عمر بن الخطاب لما دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه، حين آلى منهم فرآه متوسدا مضطجعا على رمال حصير وليس في البيت إلا صبرة من قرظ، وأهب (١١) معلقة، فابتدرت عينا عمر بالبكاء، فقال رسول الله: " ما يبكيك (١٢) ؟ ".

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٩) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) زيادة من ف، أ.

(٣) في ف: "بكم".

(٤) في ف: "تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتزحزحنا عن النار وتدخلنا".

(٥) في أ: "وهو".

(٦) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٧) من أ: "إلى ما متعنا به هؤلاء المسرفين".

(٨) في ف، أ: "النعيم".

(٩) زيادة من ف، أ.

(١٠) في ف: "ولذلك".

(١١) في أ: "واهية".

(١٢) في ف: "ما يبكيك يا عمر؟ ".." [1]

"قرأ: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ إلى قوله: ﴿نحن نرزقك﴾ ثم يقول: الصلاة الصلاة، رحمكم الله.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، عن ثابت قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصة نادى أهله: " يا أهلاه، صلوا، صلوا ". قال ثابت: وكانت (١) الأنبياء إذا نزل بهم (٢) أمر فزعوا إلى الصلاة. (٣)

وقد روى الترمذي وابن ماجه، من حديث عمران بن زائدة، عن أبيه، عن أبي خالد الوالبي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك " (٤) .

وروى ابن ماجه من حديث الضحاك، عن الأسود، عن ابن مسعود: سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: " من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه. ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك " (٥) .

وروي أيضا من حديث شعبة، عن عمر بن سليمان (٦) عن عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه، عن زيد بن ثابت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له. ومن كانت الآخرة نيته، جمع له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة " (٧) .

﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي: وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة، وهي الجنة، لمن اتقى الله.

وفي الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " رأيت الليلة كأنا في دار عقبة بن رافع وأنا أتينا برطب [من رطب] (٨) ابن طاب، فأولت ذلك أن العاقبة لنا في (٩) الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب " . (١٠)

---

(١) في ف: "وكان".

(٢) في أ: "بها".

(٣) ورواه الإمام أحمد في الزهد برقم (٤٨) عن سيار به، دون قول ثابت.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٢٦/٥

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٤٦٦) وسنن ابن ماجه برقم (٤١٠٧) وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

(٥) سنن ابن ماجه برقم (٤١٠٦) .

(٦) في ف: "عمرو بن سليم".

(٧) سنن ابن ماجه برقم (٤١٠٥) . وقال البوصيري في الزوائد (٢٧١/٣) : "هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات".

(٨) زيادة من ف، أ، ومسلم.

(٩) في ف: "في الدار الدنيا".

(١٠) صحيح مسلم برقم (٢٢٧٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.." [1]

"عنه في بعض الروايات، وهوق ول طاوس رضي الكله عنه لقوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر﴾ [الزمر: ٢٣] فوصف كل القرآن بكونه مثاني؛ لأنه كرر فيه دلائل التوحيد، والنبوة، والتكاليف.

قالوا: وهو ضعيف؛ لأنه لو كان المراد بالسبع المثاني القرآن لكان قوله: ﴿والقرآن العظيم﴾ ، عطفا على نفسه، وذلك غير جائز.

وأجيب عنه: بأنه إنما حسن العطف فيه لاختلاف اللفظين؛ كقول الشاعر:

٣٢٩١ - إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

واعلم أن هذا، وإن كان جائزا إلا أنهم أجمعوا على أن الأصل خلافه.

القول الرابع: أنه يجوز أن يكون المراد بالسبع الفاتحة، وبالمثاني كل القرآن، ويكون التقدير: ولقد آتيناك سبع آيات هي الفاتحة، وفي من جملة المثاني الذي هو القرآن، وهذا عين الأول.

و «من» في قوله: «من المثاني» .

قال الزجاج رحمه الله تعالى: فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون للتبعيض من القرآن، أي: ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله، وآتيناك القرآن العظيم.

ويجوز أن تكون «من» صفة، والمعنى: أتيناك سبعا هي المثاني، كقوله تعالى:

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٢٨/٥

﴿فاجتنبوا

الرجس من الأوثان﴾ [الحج: ٣٠] ، أي اجتنبوا الأوثان؛ لان بعضها رجس.

قوله: «والقرآن» فيه أوجه:

أحدها: أنه من عطف بعض الصفات على بعض، أي: الجامع بين هذه النعتين.

الثاني: أنه من عطف العام على الخاص، إذ المراد بالسبع: إما الفاتحة، أو الطوال، فكأنه ذكر مرتين بجهة الخصوص، ثم باندراجه في العموم.

الثالث: أن الواو مقحمة، وقرىء «والقرآن» بالجر عطفا على: «المثاني» .

قوله تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا﴾ الآية لما عرف رسوله عظيم نعمه عليه فما يتعلق بالدين، وهو أنه تعالى آتاه سبعا من المثاني، والقرآن العظيم نهاه عن الرغبة في الدنيا فقال: ﴿**لا تمدن عينيك**﴾ ، أي لا تشتغل سرك، وخاطرك بالالتفات إلى الدينا، وقد أوتيت القرآن العظيم.

قال أبو بكر رضي الله عنه «من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل." (١)

"مما أوتي، فقد صغر عظيما وعظم صغيرا» . وتأول سفيان بن عيينة هذه الآية بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أي لم يستغن.

وقال ابن [عباس] رضي الله عنهما: «**لا تمدن عينيك**» ، أي لا تتمن ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا.

وقرر الواحدي هذا المعنى فقال: «إنما يكون مادا عينيه إلى الشيء، إذا أدام النظر نحوه، وإدامة النظر إلى الشيء تدل على استحسانه، وتمنيه، وكان النبي صلى لله عليه وسلم لا ينظر إلى ما يستحسن من متاع الدنيا» .

وروي أنه صلى الله عليه وسلم «نظر إلى نعم بني المصطلق، وقد [عبست] في أبوالها، وأبعارها؛ فتنع في ثوبه؛ وقرأ هذه الآية» .

قوله: «عبست في أبوالها وأبعارها» هون أن تجف أبعارها، وأبوالها على أفخاذها، إذا تركت من العمل أيام الربيع؛ فيكثر شحومها، ولحومها، وهي أحسن ما تكون.

قوله: ﴿أزواجا منهم﴾ .

قال ابن قتيبة: أي أصنافا من الكفار، والزوج في اللغة: الصنف ﴿ولا تحزن عليهم﴾ ؛ لأنهم لم يؤمنوا لم يؤمنوا، فيتقوى بإسلامهم، ثم قال عز وجل ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/٤٨٨

الخفض: معناه في اللغة: نقيض الرفع، ومنه قوله تعالى في وصف القيامة ﴿خافضة رافعة﴾ [الواقعة: ٣] ، أي: أنها تخفض أهل المعاصي، وترفع أهل الطاعة، وجناح الإنسان: يده.

قال الليث رضي الله عنه يد الإنسان: جناحه، قال تعالى: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ [القصص: ٣٢] ، وخفض الجناح كناية عن اللين، والرفق، والتواضع، والمقصود: أنه نهاه عن الالتفات إلى الأغنياء من الكفار، وأمره بالتواضع لفقراء المؤمنين [ونظيره] ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقوله: ﴿أشدآء على الكفار رحمآء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] .

قوله: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا، وخفض الجناح للمؤمنين، أمره أن يقول للقوم: ﴿أنا النذير المبين﴾ ، وهذا يدخل تحته كونه مبلغا لجميع التكاليف، وكونه [شارحا لمراتب] الثواب والعقاب، والجنة والنار،." (١)

"وروي أن قريشا قالت: اجعل آية رحمة آية عذاب، وآية عذاب بية رحمة؛ حتى نؤمن بك، فنزلت الآية.

قال القفال: ويمكن تأويل الآية من غير تقييد بسبب يضاف إلى نزولها فيه؛ لأن من المعلوم أن المشركين كانوا يسعون في إبطال أمر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بأقصى ما يقدرون عليه، فتارة كانوا يقولون: إن عبدت آلهتنا عبدنا إلهك، فأنزل الله تعالى:

﴿قل

يا

أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ [الكافرون: ١، ٢] . ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم: ٩] .

وعرضوا عليه الأموال الكثيرة، والنسوان الجميلة؛ ليترك غدعاء النبوة، فأنزل الله - تعالى -: **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به﴾ [طه: ١٣١] .

ودعوه إلى طرد المؤمنين عن نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ [الأنعام: ٥٢] .

ودعوه إلى طرد الذين يدعون ربهم، فيجوز أن تكون هذه الآيات نزلت في هذا الباب، وذلك أنهم قصدوا أن يفتنوه عن دينه، وأن يزيلوه عن منهجه، فبين الله - تعالى - أنه يثبته على الدين القويم، والمنهج المستقيم، وعلى هذا الطريق، فلا حاجة في تفسير هذه الآيات إلى شيء من تلك الروايات.

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ : «إن» هذه فيها لمذهبان المشهوران: مذهب البصريين: أنها مخففة،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨٩/١١

واللام فارقة بينها وبين طإن «النافية، ولهذا دخلت على فعل ناسخ، ومذهب الكوفيين أنها بمعنى» ما «النافية، واللام بمعنى» إلا «وضمن» يفتنونك «معنى» يصرفونك «فلهذا عدي ب» عن «تقديره: ليصرفونك بفتنتهم، و» لتفتري «متعلق بالفتنة.

قوله: ﴿وإذا لاتخذوك﴾ » إذن «حرف جواب وجزاء؛ ولهذا تقع أداة الشرط موقعها، و» لاتخذوك «جواب قسم محذوف، تقديره: إذن، والله لاتخذوك، وهو مستقبل في المعنى؛ لأن» إذن «تقتضي الاستقبال؛ إذ معناها المجازاة، وهو كقوله: ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا﴾ [الروم: ٥١] أي: ليظلن، وقول الزمخشري:» أي: ولو اتبعت مرادهم، لاتخذوك «تفسير معنى، لا إعراب، لا يريد بذلك أن» لاتخذوك «جواب ل» لو «محذوفة؛ إذ لا حاجة إليه.

فصل في معنى الآية

قال الزجاج: معنى الكلام: كادوا يفتنونك، ودخلت» إن «و» اللام «للتأكيد، و» إن «مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية.

والمعنى: الشأن أنهم قاربوا أن يفتنوك، أي: يخدعوك فاتنين، وأصل الفتنة: الاختبار.." (١)

"قوله: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ قيل: المراد منه نظر العين، وهؤلاء قالوا: مد النظر تطويله، وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور وإعجابا به، كما فعل نظارة قارون حيث قالوا: ﴿ياليت لنا مثل مآ أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ [القصص: ٧٩] حتى واجههم أولو العلم والإيمان فقالوا: ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا﴾ [القصص: ٨٠] وفيه أن النظر غير الممدود يعفى عنه كنظر الإنسان إلى الشيء مرة ثم." (٢)

"يغض. ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطبائع قيل: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي: لا تفعل ما أنت معتاد له. ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة، ولباس الفسقة، ومراكبهم وغير ذلك، لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغرى لهم على اتخاذها. قال أبو مسلم: ليس المنهي عنه هنا هو النظر بل هو الأسف، أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا.

قال أبو رافع: نزل ضيف بالرسول - عليه السلام - فبعثني إلى يهودي، فقال قل له: إن رسول الله يقول:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٤٨/١٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٥/١٣

يعني كذا وكذا من الدقيق، وأسلفني إلى هلال رجب، فأتيته، فقلت له ذلك، فقال: والله لا ابيعه ولا أسلفه إلا بهن، فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته بقوله فقال: «والله لئن باعني وأسلفني لقضيته، وإني لأمشين في السماء وآمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية. وقال عليه السلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» .

وقال أبو الدرداء: الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له. وعن الحسن: لولا حمق الناس لخربت الدنيا.

وعن عيسى ابن مريم – عليه السلام – لا تتخذوا دارا فتتخذكم لها عبيدا.." (١)

"وثالثها: أنه – تعالى – حكى عن نوح أنه قال: ﴿ومآ أنا بطارد المؤمنين﴾ [الشعراء: ١١٤] ثم إنه تعالى – أمر محمدا – عليه الصلاة والسلام – بمتابعة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في جميع الأعمال الحسنة بقوله: ﴿فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠] فوجب على محمد – عليه الصلاة والسلام – ألا يطردهم [فلما طردهم] كان ذلك ذنبا.

ورابعها: أنه قال: ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٢٨] وقال: **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه: ١٣١] .

فنهاه عن الالتفات إلى زينة الحياة الدنيا، فكان ذنبا.

وخامسها: أن أولئك الفقراء كانوا كلما دخلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هه الواقعة يقول: «مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم» أو لفظا هذا معناه، وذلك أيضا يدل على الذنب.

فالجواب عن الأول: أنه – عليه الصلاة والسلام – ما طردهم لأجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم، وإنما عين لجلوسهم وقتا معينا سوى الوقت الذي كان يحضر فيه أكابر قريش، وكان غرضه التلطف بهم في إدخالهم في الإسلام، ولعله – عليه الصلاة والسلام – كان يقول: هؤلاء الفقراء من المسلمين لا يفوتهم [بسبب هذه] المعاملة شيء من أمرهم في الدنيا وفي الدين، وهؤلاء الكفار فإنه يفوتهم الدين والإسلام، فكان ترجيح هذا الجانب أولى، فأقصى ما يقال: إن هذا الاجتهاد وقع خطأ، إلا أن الخطأ في الاجتهاد مغفور.

وأما قولهم: إنه – عليه الصلاة والسلام – طردهم، فيلزم كونه من الضالمين؟

فالجواب: أن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه، والمعنى أن أولءك الفقراء كانوا يستحقون

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٦/١٣

التعظيم من الرسول – عليه الصلاة والسلام – فلما طردهم عن ذلك المجلس، فكان ذلك ظلما، إلا أنه من باب ترك الأولى أو الأفضل، لا من باب ترك الواجبات، وكذلك الجواب عن سائر الوجوه، فإنا نحمل كل هذه الوجوه على ترك الأفضل والأكمل والأولىن والله أعلم.

قوله: «بالغداة» : قرأ الجمهور «بالغداة» هنا وفي «الكهف» وابن عامر «بالغدوة» بضم الغين وسكون الدال، وفتح الواو في الموضعين، وهي قراءة أبي عبد." (١)

"إلى أن السبع هنا: آيات الفاتحة، وهو نص حديث أبي بن كعب وغيره «١» .

ت: وهذا هو الصحيح، وقد تقدم بيان ذلك أول الكتاب.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٨ الى ٩١]

لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١)

وقوله سبحانه: **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم: حكى الطبري عن سفيان بن عيينة أنه قال: هذه الآية آمرة بالاستغناء بكتاب الله عن جميع زينة الدنيا «٢» .

قال ع «٣» : فكأنه قال: آتيناك عظيما خطيرا، فلا تنظر إلى غير ذلك من أمور الدنيا وزينتها التي متعنا بها أنواعا من هؤلاء الكفرة ومن هذا المعنى: قول النبي صلى الله عليه وسلم:

«من أوتي القرآن، فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي، فقد عظم صغيرا وصغر عظيما» .

ت: وفي «صحيح مسلم» عن أبي سعيد ق ال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطب الناس، فقال: «لا والله، ما أخشى عليكم، أيها الناس، إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ... » الحديث، وفي رواية: «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا» ، قالوا: وما زهرة الدنيا، يا رسول الله؟ قال: «بركات الأرض ... » الحديث، وفي رواية: «إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح لكم من زهرة الدنيا وزينتها ... »

الحديث، انتهى. والأحاديث في هذه الباب أكثر من أن يحصيها كتاب، قال الغزالي في «المنهاج» : وإذا أنعم الله عليك بنعمة الدين، فإياك أن تلتفت إلى الدنيا وحطامها، فإن ذلك منك لا يكون إلا بضرب من التهاون بما أولاك مولاك من نعم الدارين أما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين: ولقد آتيناك سبعا من المثاني

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨/١٦١

والقرآن العظيم **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ... الآية، تقديره: إن من أوتي القرآن العظيم حق له ألا ينظر إلى الدنيا الحقيرة نظرة باستحلاء، فضلا عن أن يكون له فيها رغبة، فليلتزم الشكر على ذلك، فإنه الكرامة التي حرص عليها الخليل لأبيه، والمصطفى عليه السلام لعمه، فلم يفعل، وأما حطام الدنيا، فإن الله سبحانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٥٣٧) برقم: (٢١٣٢٦) .

(٢) ذكره الطبري (٧/ ٥٤٢) ، وذكره البغوي (٥٨١٣) بنحوه، وابن عطية (٣/ ٣٧٣) ، وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٥٧) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٩٨) ، وعزاه لابن المنذر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٧٤) .." [١]

"وجاهل وفاسق الذين هم أهون خلقه عليه، ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم أعز خلقه عليه حتى إنهم لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة، ويمن عليهم سبحانه بألا يلطخهم بقذرها، انتهى.

وقال ابن العربي في «أحكامه» «١» : قوله تعالى: **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم: المعنى: أعطيناك الآخرة، فلا تنظر إلى الدنيا، وقد أعطيناك العلم، فلا تتشاغل/ بالشهوات، وقد منحناك لذة القلب، فلا تنظر إلى لذة البدن، وقد أعطيناك القرآن، فاستغن به، فمن استغنى به، لا يطمح بنظره إلى زخارف الدنيا، وعنده معارف المولى، حيي بالباقي، وفني عن الفاني. انتهى.

وقوله سبحانه: وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين.

قال ع «٢» : والذي أقول به في هذا: أن المعنى: وقل أنا نذير، كما قال قبلك رسلنا، ونزلنا عليهم كما أنزلنا عليك، واختلف في المقتسمين، من هم؟ فقال ابن عباس، وابن جبير: «المقتسمون» : هم أهل الكتاب الذين فرقوا دينهم، وجعلوا كتاب الله أعضاء، آمنوا ببعض، وكفروا ببعض وقال نحوه مجاهد «٣» ، وقالت فرقة: «المقتسمون» :

هم كفار قريش جعلوا القرآن سحرا وشعرا وكهانة، وجعلوه أعضاء بهذا التقسيم، وقالت فرقة: «عضين» : جمع عضة، وهي اسم للسحر خاصة بلغة قريش وقاله عكرمة «٤» .

ت: وقال الواحدي: كما أنزلنا عذابا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإيمان.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٠٧/٣

انتهى من «مختصره» .

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٩٢ الى ٩٩]
فو ربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣) فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤) إنا كفيناك المستهزئين (٩٥) الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون (٩٦)
ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)

---

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١١٣٦) .
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٧٤) . [.....]
(٣) أخرجه الطبري (٧/ ٥٤٣) برقم: (٢١٣٦٨) ، وبرقم: (٢١٣٧٢) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٣٧٤) ، وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٥٨) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٩٨) ، وعزاه للبخاري، وسعيد بن منصور، والحاكم، والفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.
(٤) أخرجه الطبري (٧/ ٥٤٧) برقم: (٢١٣٩٢) ، وبرقم: (٢١٣٧٢) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٣٧٤) ، وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٥٨) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٩٨) ، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن جرير.." [1]

"ويخدشنه إلى يوم القيامة، ويحشر من قبره إلى موقفه أعمى» «١» . انتهى من «التذكرة» فإن صح هذا الحديث، فلا نظر لأحد معه، وإن لم يصح، فالصواب حمل الآية على عمومها والله أعلم.
قال الثعلبي: قال ابن عباس: فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال: أجار الله تعالى تابع القرآن من أن يضل في الدنيا، أو يشقى في الآخرة «٢» . وفي لفظ آخر: «ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن ... » الحديث، وعنه: من قرأ القرآن واتبع ما فيه، هداه الله تعالى من الضلالة ووقاه الله تعالى يوم القيامة سوء الحساب. انتهى.
وقوله سبحانه: «ونحشره يوم القيامة أعمى» قالت فرقة: وهو عمى البصر، وهذا هو الأوجه، وأما عمى البصيرة، فهو حاصل للكافر.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٠٨/٣

وقوله سبحانه: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها النسيان هنا: هو الترك، ولا مدخل للذهول في هذا الموضع، وتنسى أيضا بمعنى: تترك في العذاب.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٢٨ الى ١٣٣]

أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)

وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣)

وقوله سبحانه: أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون المعنى: أفلم «٣» يبين لهم.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (١١/ ٥٢١- ٥٢٢) رقم (٦٦٤٤) ، وابن حبان (٨٧٢- موارد) ، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٨) من حديث أبي هريرة.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٥٨) : رواه أبو يعلى، وفيه دراج، وحديثه حسن، واختلف فيه.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٥٧) ، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» ، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٤٦٩) برقم (٢٤٤٠٠) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٢٣٥) ، وابن كثير (٣/ ١٦٨) ، والسيوطي (٤/ ٥٥٦) ، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق عن ابن عباس.

(٣) في ج: أو لم.." [1]

"وقوله: زهرة الحياة الدنيا شبه سبحانه نعم هؤلاء الكفار بالزهر، وهو ما اصفر من النور، وقيل: الزهر: النور جملة لأن الزهر له منظر، ثم يضمحل عن قرب، فكذلك مآل هؤلاء، ثم أخبر سبحانه نبيه صلى الله

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/ ٧٢

عليه وسلم: أن ذلك إنما هو ليختبرهم به، ويجعله فتنة لهم وأمرا يجازون عليه أسوأ الجزاء لفساد تقلبهم فيه.

ص: وزهرة: منصوب على الذم، أو مفعول ثان ل: متعنا مضمن معنى أعطينا. اهـ.

ورزق الله تعالى الذي أحله للمتقين من عباده، خير وأبقى، أي: رزق الدنيا خير ورزق الآخرة أبقى، وبين أنه خير من رزق الدنيا، ثم أمره سبحانه وتعالى بأن يأمر أهله بالصلاة، ويمتثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها، وتكفل هو تعالى برزقه لا إله إلا هو، وأخبره أن العاقبة للمتقين بنصره في الدنيا، ورحمته في الآخرة، وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عمومه: جميع أمته.

وروي: أن عروة بن الزبير رضي الله عنه كان إذا رأى شيئا من أخبار السلاطين وأحوالهم، بادر إلى منزله، فدخله وهو يقول: **ولا تمدن عينيك** ... الآية إلى قوله وأبقى ثم ينادي: الصلاة الصلاة رحمكم الله، ويصلي «١» .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بالآية «٢» .

قال الداودي: وعن عبد الله بن سلام، قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله ضيق أو شدة أمرهم بالصلاة، ثم قرأ: وأمر أهلك بالصلاة إلى قوله للتقوى «٣» . انتهى.

قال ابن عطاء الله في «التنوير» : واعلم أن هذه الآية علمت أهل الفهم عن الله تعالى كيف يطلبون/ رزقهم، فإذا توقفت عليهم أسباب المعيشة، أكثروا من الخدمة والموافقة، ١٥ أوقرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق- جل وعلا- ثم قال: وسمعت شيخنا أبا العباس

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٤٨٠) رقم (٢٤٤٥٩) ، وذكره ابن عطية (٤/ ٧١) ، وابن كثير (٣/ ١٧١) .

(٢) ذكره ابن عطية (4/ ٧١) ، وابن كثير (٣/ ١٧١) نحوه، والسيوطي (٤/ ٥٦١) ، وعزاه لمالك، والبيهقي عن أسلم عن عمر.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٦١) ، وعزاه إلى أبي عبيد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، والطبراني في «الأوسط» ، وأبي نعيم في «الحلية» ، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن سلام.." (١)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٧٥/٤

"الذي يدخله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، انتهى، أخرجه «١» في «الموطإ» .

وقوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أظهر ما في من أن تكون للتبعيض، لأن أول نظرة لا يملكها الإنسان وإنما يغض فيما بعد ذلك، فقد وقع التبعيض بخلاف الفروج إذ حفظها عام لها، والبصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وحفظ الفرج هو عن الزنا وعن كشفه حيث لا يحل.

قلت: النواظر «٢» صوارم مشهورة فاغمدها في غمد الغض والحياء من نظر المولى وإلا جرحك بها عدو الهوى، لا ترسل بريد النظر فيجلب لقلبك رديء الفكر، غض البصر يورث القلب نورا، وإطلاقه يقدح في القلب نارا. انتهى من «الكلم الفارقية في الحكم الحقيقية» .

قال ابن العربي»

في «أحكامه» : قوله تعالى: ذلك أزكى لهم يريد: أطهر وأنمى، يعني: إذا غض بصره كان أطهر له من الذنوب وأنمى لعمله في الطاعة.

قال ابن العربي «٤» : ومن غض البصر: كف التطلع إلى المباحات من زينة الدنيا وجمالها كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ٣٧ ب زهرة الحياة/ الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى [طه: ١٣١] . يريد ما عند الله تعالى، انتهى.

وقوله تعالى: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ... الآية: أمر الله تعالى النساء في هذه الآية بغض البصر عن كل ما يكره- من جهة الشرع- النظر إليه، وفي حديث أم سلمة قالت: كنت أنا وعائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن أم مكتوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«احتجبن، فقلن: إنه أعمى! فقال صلى الله عليه وسلم: «أفعمياوان أنتما» «٥» ومن الكلام فيها كالتي قبلها.

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٦٢) كتاب «السلام» : باب جامع السلام حديث (٨) .

(٢) في ج: النظر.

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٣٦٦) .

(٤) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٣٦٦) .

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٦٢) كتاب «اللباس» : باب قول الله تعالى: وقل للمؤمنات يغضضن من

أبصارهن حديث (٤١١٢) ، والترمذي (٥/ ٩٤) كتاب «الأدب» : باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال، حديث (٢٧٧٨) ، وأحمد (٦/ ٢٩٦) ، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٣٩٣) كتاب «عشرة النساء» : باب نظر-." [١]

"وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥) إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦) ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١) فوربك لنسألنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣) فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤) إنا كفيناك المستهزئين (٩٥) الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون (٩٦) ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)

* * *

(ولقد كذب أصحاب الحجر) وهو مدينة بين المدينة والشام يسكنها ثمود، (المرسلين) أي: صالحا، ومن كذب نبيا فقد كذب الرسل بأجمعهم، (وآتيناهم آياتنا) معجزات، كما في الناقة من غرائب الآيات، (فكانوا عنها معرضين) ما استدلوا بها علي صدق نبيهم - عليه الصلاة والسلام، (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من أن تنهدم، أو من عذاب الله، يحسبون أن الجبال تحميهم منه، (فأخذتهم الصيحة مصبحين) داخلين في الصباح، (فما أغنى عنهم) ما دفع عنهم العذاب، (ما كانوا يكسبون) من البيوت الوثيقة والزراعة والأموال، (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق)، خلقا متلبسا بالحق (ليجزي الذين أساؤوا بما." [٢]

"للسبع لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر ثنيت في تلك السورة؛ أو لأن الفاتحة تثني في كل صلاة فيقرأ في كل ركعة، (والقرآن العظيم) إن أريد به جميع القرآن، فمن عطف الكل على البعض، وإن أريد به الفاتحة كما دل عليه حديث البخاري، فمن عطف أحد الموصوفين على الآخر، وعن بعض السلف القرآن كله مثاني؛ لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه، فعلى هذا المراد بالسبع أسباع القرآن، (**لا تمدن عينيك**) لا تطمح ببصرك طموح راغب متمن، (إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار، أي: استغن

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٨٢/٤

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٢١/٢

بما آتاك الله – تعالى – من القرآن عما في الدنيا من الزهرة الفانية، (ولا تحزن عليهم) إن لم يؤمنوا أو عن بعضهم لا تحزن على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا، (واخفض جناحك للمؤمنين) أي: ارفق بهم، (وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين) تقديره أنا النذير لمن لا يؤمن عذابا مثل ما أنزلنا عليهم. والمقتسمون المتحالفون الذين تحالفوا على مخالفة الأنبياء وأذاهم، كما قال – تعالى – في قوم صالح: (تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله)، أي: نقتلهم ليلا (الذين جعلوا القرآن عضين) أي: جعلوا كتبهم المنزلة عليهم أجزاء، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو معناه اقتسموا كتبهم." [١]

"بواسطة مضمونها أي كثرة إهلاكنا لأن كم لا يعمل فيه ما قبله أو فاعله ضمير لله، والجملة في تأويل المفعول أي: أفلم يبين الله لهم مضمون هذه الجملة، وعند البصريين فاعله مضمر يفسره كم أهلكنا (يمشون في مساكنهم)، والحال إنهم [يترددون في] مساكنهم الخالية حين سفرهم إلى الشام فإن ديار ثمود ولوط بين الشام ومكة (إن في ذلك لآيات لأولي النهى): لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامي.

* * *

(ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

* * *

(ولولا كلمة سبقت من ربك): حكم بتأخير عذابهم، (لكان لزاما): لكان العذاب لازما لهم كما لزم الكفار الماضين، وهو مصدر لازم وصف به (وأجل مسمى) عطف على كلمة أي لولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم، والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، وقيل عطف على ضمير كان أي: لكان العذاب العاجل وأجل مسمى لازمين لهم، (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك) المراد." [٢]

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٢٣/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٣٣/٢

"(**لا تمدن عينيك**) لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك (إلى ما متعنا به) من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة فإن ما في الدنيا من أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحقر لا يعبأ به أصلا وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه من أوتي القرآن فرآى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي أنه وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فقيل لهم قد أعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا أتباعك في سلك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل أو أنهم المتمتعون به ويأباه كلمة على فإن تمتعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم (واخفض جناحك للمؤمنين) أي تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك لهم وطب نفسا من إيمان الأغنياء." (١)

"﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ أي لا تطل نظر هما بطريق الرغبة والميل ﴿إلى ما متعنا به﴾ من زخارف الدنيا وقوله تعالى ﴿أزواجا منهم﴾ أي أصناما من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به أو هو حال من الضمير والمفعول منهم أي إلى الذي متعنا به وهو أصناف وأنواع بعضهم على أنه معنى من التبعيضة أو بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا أي أعطينا أو به على تضمين معناه أو بالبدلية من محل به اومن أزواجا بتقدير مضاف أو بدونه أو بالذم وهي الزينة والبهجة وقرىء زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة أو جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهر والدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد ﴿لنفتنهم فيه﴾ متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا إثر إظهار بهجته حالا أي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ﴿ورزق ربك﴾ أي ما ادخر لك في الآخرة أو ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى ﴿خير﴾ مما منحهم في الدنيا لأنه مع كونه." (٢)

"حتى ترد النعيم الباقي، والجزاء الجزيل. وتخلق بأخلاق الحليم الكريم، إن ربك هو الخلاق العليم، فلا قدرة لك على شيء إلا بقدرة السميع العليم.

ثم أمر نبيه بالغنى بالله وبكلامه، عن التطلع إلى زهرة الدنيا، والمراد: الأمر بدوامه على ما كان عليه، فقال:

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥/٨٩

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٥٠

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٧ الى ٩٩]

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١)

فو ربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣) فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤) إنا كفيناك المستهزئين (٩٥) الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون (٩٦)

ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)

قلت: السبع المثاني: هي الفاتحة عند الجمهور، و (من المثاني) : للبيان، وعطف القرآن عليها من عطف العام على الخاص. و (أنزلنا) : نعت لمفعول النذير، أي: أنا النذير عذابا مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين. وقيل:

صفة لمصدر محذوف يدل عليه: (ولقد آتيناك) فإنه بمعنى أنزلنا إليك إنزالا مثل ما أنزلنا على المقتسمين، وهم، على هذا، أهل الكتاب. و (عضين) : جمع عضة. وأصله: عضوة، من عضوت الشيء: فرقته، حذفت لامه، وعوض منها هاء التأنيث، فجمع على عضين، كعزة وعزين. وقيل: أصله: عضة من عضهته: رميته بالبهتان، قال في الصحاح: عضهه عضها: رماه بالبهتان. وقد أعضهت، أي: جئت بالبهتان. فهما قولان في أصل عضة.

هل هو واوي أو هائي. والموصول مع صلته نعت للمقتسمين.

يقول الحق جل جلاله، لنبيه عليه الصلاة والسلام: ولقد آتيناك سبعا من المثاني، وهي فاتحة الكتاب لأنها سبع آيات، وتثنى- أي: تكرر- في كل صلاة، فالمثاني من التثنية، وقيل: من الثناء لأن فيها الثناء على الله تعالى، وقيل: السبع المثاني هي السبع الطوال، وهي البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة. ولذلك تركت البسملة بينهما. وكونها مثاني لتثنية قصصها، أو ألفاظها، وقيل: هى الحواميم السبع. وآتيناك القرآن العظيم، ففيه الغنية والكفاية عن كل شيء.." [1]

"**لا تمدن عينيك**: لا تطمح ببصرك طموح راغب إلى ما متعنا به أزواجا منهم أي: أصنافا من الكفار، من زهرة الحياة الدنيا، فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته. وفي حديث أبي بكر: «من أوتي القرآن، فرأى

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/١٠٢

أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي، فقد صغر عظيما وعظم صغيرا» . «١» قال ابن جزي: أي: لا تنظر إلى ما متعناهم به في الدنيا، ومعنى الآية: تزهيد في الدنيا، كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم فلا تنظر إلى الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظم منها. هـ.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم وافى مع أصحابه أذرعات، فرأى سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير، فيها أنواع البر، والطيب والجواهر، وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقربنا بها، ولأنفقناها في سبيل الله، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «قد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل» . «٢» .

ولا تحزن عليهم: ل؛ تتأسف على كفرهم حيث أنذرتهم فلم ينزجروا ولم يؤمنوا. أو: حيث متعناهم بالدنيا فلم ينتفعوا بها، ولم يصرفوها في مرضاة الله، واخفض جناحك للمؤمنين أي: تواضع وألن جانبك للمؤمنين، وارفق بهم. والجناح، هنا، استعارة. وقل إني أنا النذير المبين: البين الإنذار، أنذرتكم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا، وفي الحديث: «أنا النذير، والموت مغير، والقيامة الموعد» . أو كما قال عليه الصلاة والسلام، وفي حديث آخر: «أنا النذير العريان» . وكانت العرب، إذا رأى أحدهم جيشا يقصدهم، تجرد من ثيابه، ثم أنذر قومه ليصدقوه، أي: وقل: إني أنذرتكم ان ينزل بكم عذابه.

كما أنزلنا على المقتسمين، أي: مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين، وهم أهل الكتاب، الذين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض، فاقتسموا قسمين. والعذاب الذي نزل بهم هو الذل والهوان وضرب الجزية، أو تسليط عدوهم عليهم. وقيل: هم كفار قريش اقتسموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب، وكانوا اثني عشر رجلا، لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام، يقول أحدهم: هو ساحر، والآخر: هو شاعر، فأهلكهم الله يوم بدر. وقيل: هم الرهط الذين اقتسموا، أي: تقاسموا ليبيتوا صالحا، فأسقط الله عليهم الغار الذي كمنوا فيه، فشدخهم.

أو: آتيناك القرآن، وأنزلناه عليك كما أنزلنا التوراة على المقتسمين، وهم اليهود، الذين جعلوا القرآن عضين أي: أجزاء متفرقة، وقالوا فيه أقوالا مختلفة، فقالوا عنادا وكفرا: بعضه موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه

---

(١) قال الولي العراقي: لم أقف عليه، وقال الحافظ ابن حجر فى الكافي الشاف: لم أجده من حديث أبى بكر.

وأخرجه ابن عدى فى الكامل (٢/ ٧٨٧) ، ولفظه: (من تعلم القرآن وظن أن أحدا ...) فذكره من حديث

ابن مسعود مرفوعا..

وراجع الفتح السماوي (٢/ ٧٥٠) .

(٢) قال المناوى فى الفتح السماوي: لم أقف عليه. وذكره الواحدي فى الأسباب (٢٨٣) عن الحسين بن الفضل مرسلا.." [١]

"وقيل: هم الذين قتلوا ببدر كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط. والأول أرجح لأن الله تعالى كفاه أمرهم بمكة قبل الهجرة. إلا أن يكون عبر بالماضي عن المستقبل لتحققه، أي: إنا سنكفيك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر يعبدونه من دون الله فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين.

ثم سلى نبيه عن أذاهم فقال: ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون في جانبنا من الشرك والطعن في القرآن، والاستهزاء بك، فلا تعبأ بهم، ولا تلتفت إليهم. فسبح بحمد ربك أي: فنزه أنت ذاتنا وصفتنا، مكان مقالتهم فينا فإن مثلك منزهنا لا غير، وكن من الساجدين أي: المصلين، أو: فافزع إلى الله فيما نابك وضاق منه صدرك بالتسبيح والتحميد. وكن من الساجدين من المصلين، يكفك، ويكشف الغم عنك، وعنه صلى الله عليه وسلم: «أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة» «١» أو: فنزهه عما يقولون، حامدا له على أن هداك للحق، وكن من الساجدين له شكرا.

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أي: الموت، فإنه متيقن لحاقه، وليس اليقين من أسماء الموت، وإنما العلم به يقين، لا يمتري فيه، فسمي يقينا تجوزا. أو: لما كان يحصل اليقين بعده بما كان غيبا سمي يقينا. والمعنى:

فاعبده ما دمت حيا، ولا تخل بالعبادة لحظة. وفي بعض الأحاديث عنه- عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «إن الله لم يوح إلي أن أجمع المال، وأكون من التاجرين، وإنما أوحى إلي أن: سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» «٢» . أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

الإشارة: يقال للعابد، أو الزاهد: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم، تتمتع بحلاوته، وبالتهجد بتلاوته، ففيه كفايتك وغناك، **فلا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أصنافا من أهل الدنيا، الراغبين فيها، المشتغلين بها عن عبادة خالقها. قيل: لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والنظر في أبناء الدنيا، فإنه يقسي القلب ويورث حب الدنيا، ولا تكثروا الجلوس مع أهل الثروة، فتميلوا لزينة الدنيا فو

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٠٣/٣

الله لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء» . وقال صلى الله عليه وسلم: «من تواضع لغني لأجل غناه اقترب من النار مسيرة سنة، وذهب ثلثا دينه» . هذا إن تواضع بجسمه فقط، فإن تواضع بجسمه وقلبه ذهب دينه كله.

ويقال للعارف: ولقد آتيناك شهود المعاني، وغيبناك عن حس الأواني، حتى شهدت المتكلم بالسبع المثاني، فسمعت القرآن من منزله دون واسطة. وذلك بالفناء، عن الوسائط، في شهود الموسوط، حتى يفنى عن نفسه في حال قراءته.

---

(١) أخرجه بنحوه أبو داود فى (الصلاة، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل) عن حذيفة، وأخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٨٨) فى قصة الخندق مطولا.

(٢) أخرجه ابن عدى فى الكامل (٥/ ١٨٩٧ ، والواحدي: فى الوسيط (٣/ ٥٤) والبغوي فى تفسيره (٤/ ٣٩٧) عن جبير بن نفيل، مرسلا..." [١]

"ويقال له: **لا تمدن عينيك** إلى شهود الحس، ولا إلى ما متعنا به أصنافا من أهل الحس، الواقفين مع شهود الحس فإن ذلك يحجبك عن شهود المعاني القائمة بالأواني، بل المفنية للأواني عند سطوع المعاني. ولا تحزن عليهم حيث رايتهم منهمكين في الحس فإن قيام عالم الحكمة لا يكون إلا بوجود أهل الحس، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين بخصوصيتك، وقل: إني أنا النذير المبين من الاشتغال بالبطالة، والغفلة، حتى ينزل بأهلهما ما نزل على المقتسمين، الذين جعلوا القرآن عضين إجزاء متفرقة فما كان فيه مما يدل على التسهيل لجواز جمع الدنيا واحتكارها والاشتغال بها أخذوا به، وما كان فيه مما يدل على الزهد فيها، والانقطاع إلى الله عنها، والتجريد عن أسبابها، رفضوه. فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون.

فاصدع، أيها العارف الواعظ، بما تؤمر من الأمر بالزهد، والانقطاع إلى الله، ولرفض كل ما يشغل عن الله، ولا تراقب أحدا في ذات الله، وأعرض عن المشركين، الذين أشركوا في محبة الله سواه، وشهدوا الأكوان موجودة مع الله، وهي ثابتة بإثباته، ممحوة بأحدية ذاته، فلا وجود لها في الحقيقة مع الله. فإن استهزءوا بك، وصغروا أمرك، فسيكفيكهم الله. فاشتغل بالله عنهم، فلا يضيق صدرك بما فيه يخوضون، (فسبح بحمد ربك) أي: نزهه عن شهود السوى معه، حامدا الله على ما أولاك من نعمة توحيده، (وكن من

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٠٥/٣

الساجدين) لله شكرا، وقياما برسم العبودية، أو: كن من الساجدين بقلبك في حضرة القدس، حتى يأتيك اليقين «١» .

وفي الورتجبي، في قوله: (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك) ، قال: واسى الحق حبيبه بما سمع من أعدائه، وقال له: أنت بمرأى منا، يضيق صدرك من لطافتك، بما يقول الجاهلون بنا في حقنا، مما لا يليق بتنزيهنا، فنزه أنت صفتنا مكان مقالتهم فينا، فإن مثلك منزهنا لا غير، وكن من الساجدين حتى ترانا بوصف ما علمت منا، وتخرج من ضيق الصدر بما تشاهد من جمالنا، فإذا كنت تعايننا سقط عنك ضيق صدرك من جهة مقالتهم. هـ.

وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

---

(١) اليقين- هنا- هو الموت. أي: اعبد ربك إلى آخر لحظة من عمرك.." [١]

"غروبها فافعلوا، ثم تلا هذه الآية: «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» «١» ففيه ترجيح من فسرها بالصلاة، وفيه إشارة إلى أن الصلاة ذكر وإقبال على الله وانقطاع إليه، وذلك مزرعة المشاهدة والرؤية في الآخرة. وقد جاء في أهل الجنة: «أنهم يرون ربهم بكرة وعشيا» ، هذا في حق العموم، وأما خصوص الخصوص، ففي كل ساعة ولحظة. والله تعالى أعلم.

الإشارة: أفلم يهد لأهل الإيمان والاعتبار، وأهل الشهود والاستبصار، كم أهلكنا قبلهم من القرون الخالية، والأمم الماضية، فهم يمشون في مساكنهم الدارسة، ويشاهدون آثارهم الداثرة، كيف رحلوا عنها وتركوها، واستبدلوا ما كانوا فيه من سعة القصور بضيق القبور، وما كانوا عليه من الفرش الممهدة بافتراش التراب وتغطية اللحود الممددة، فيعتبروا ويتأهبوا للحوق بهم، فقد كانوا مثلهم أو أشد منهم، قد نما ذكرهم، وعلا قدرهم، وخسف بعد الكمال بدرهم. فكأنهم ما كانوا، وعن قريب مضوا وبانوا، وأفضوا إلى ما قدموا، وانقادوا قهرا، إلى القضاء وسلموا، ففي ذلك عبر وآيات لأولي النهى. لكن القلوب القاسية لا ينفع فيها وعظ ولا تذكير، فلولا كلمة الرحمة والحلم بتأخير العذاب، وأجل مسمى لأعمارهم لعجل لهم العقاب.

فاصبر، أيها المتوجه إلى الله، المنفرد بطاعة مولاه، على ما يقولون، مما يكدر القلوب، واشتغل بذكر ربك وتنزيهه، مع الطلوع والغروب وآناء الليل والنهار، حتى تغيب في حضرة علام الغيوب، لعلك ترضى بمشاهدة المحبوب. وبالله التوفيق.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٠٦/٣

ولما كان محصل الاعتبار هو صرف الهمة عن هذه الدار، أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم ومن كان على قدمه، فقال:

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٣١ الى ١٣٢]
ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١)
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)
قلت: (زهرة) : مفعول بمحذوف، يدل عليه (متعنا) أي: أعطينا، أو على الذم، وفيه لغتان: سكون الهاء وفتحها.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر) ، ومسلم (كتاب المساجد، باب فضل صلاتى الصبح والعصر) من حديث جرير بن عبد الله. ووقع عند مسلم أن الذي قرأ الآية هو جرير، راوى الحديث.." [1]

"يقول الحق جل جلاله لنبيه صلى الله عليه وسلم: **ولا تمدن عينيك** أي: لا تطل نظرهما، بطريق الرغبة والميل إلى ما متعنا به من زخارف الدنيا أزواجا منهم أي: أصنافا من الكفرة، والمعنى: لا تنظر إلى ما أعطيناه أصناف الكفرة من زخارف الدنيا الغرارة، ولا تستحسن ذلك، فإنه فان، وهو من زهرة الحياة الدنيا أي: بهجتها، ثم يفنى ويبيد، كشأن الزهر، فإنه فائق المنظر، سريع الذبول والذهاب.
متعناهم بذلك، وأعطيناهم الأموال والعز في الدنيا لنفتنهم فيه أي: لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم، هل يقومون بشكره فيؤمنوا بك، ويصرفوه في الجهاد معك، وينفقوه على من آمن معك.. أم لا؟ أو لنعذبهم في الآخرة بسببه، فلا تهتم بذلك. ورزق ربك أي: ما ادخر لك في الآخرة خير، أو: ورزقك في الدنيا من الكفاف مع الهدى، خير مما منحهم في الدنيا، لأنه مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه، فعاقبته الحساب والعقاب. وأبقى فإنه لا ينقطع نفسه أو أثره، بخلاف زهرة الدنيا، فإنها فانية منقطعة.
فالواجب: الاشتغال بما يدوم ثوابه، ولذلك قال له صلى الله عليه وسلم: وأمر أهلك بالصلاة، أمره بأن يأمر أهل بيته، أو التابعين له من أمته، بالصلاة، بعد ما أمر هو بقوله: (وسبح بحمد ربك) على ما مر ليتعاونوا على الاستعانة على الخصاصة، ولا يهتموا بأمر المعيشة، ولا يلتفتوا لغنى أرباب الثروة. واصطبر عليها

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٤٣٥

وتكلف الصبر على مداومتها، غير ملتفت لأمر المعاش، لا نسئلك رزقا أي: لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك، نحن نرزقك وإياهم، ففرغ قلبك لمشاهدة أسرارنا، والعاقبة المحمودة للتقوى أي: لأهل التقوى. روي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضر أو خصاصة أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية «١» . والله تعالى أعلم.

الإشارة: ما خوطب به نبينا صلى الله عليه وسلم خوطب به خاصة أمته، **فلا تمدن عينيك**، أيها الفقير، إلى ما متع به أهل الدنيا، من زهرتها وبهجتها، بل ارفع همتك عن النظر إليها، واستنكف عن استحسان ما شيدوا وزخرفوا، فإن ذلك حمق وغرور. كان عروة بن الزبير رضي الله عنه إذا رأى أبناء السلاطين وشاراتهم دخل داره وتلا: (**ولا تمدن عينيك**) ...

الآية. وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء زمانه: يا علماء السوء دياركم هامانية، ومراكبكم قارونية، وملابسكم فرعونية، فأين السنة المحمدية؟.

ولا تشتغل بطلب رزق، فرزق ربك- وهو ما يبرز لك في وقتك من عين المنة، من غير سبب ولا خدمة- خير وأبقى، أما كونه خيرا فلما يصحبه من اليقين والفرح بالله وزيادة المعرفة، وأما كونه أبقى لأن خزائنه لا تنفد،

---

(١) أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان (باب فى الصبر، ح ٩٧٠٥) ، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٧٦) من حديث عبد الله بن سلام.

وعزاه الهيثمي فى مجمع الزوائد (٧/ ٦٧) للطبراني فى الأوسط، من حديث ابن سلام، وقال: رجاله ثقات.." [(١)]

"قال القشيري: هو استفهام بمعنى الأمر، فمن قارنه التوفيق صبر وشكر، ومن قارنه الخذلان أبى وكفر. هـ.

وقيل: هو الأمر بالإعراض عما جعل في نظره فتنة، كما قال: **ولا تمدن عينيك** «١» ، فينبغي ألا ينظر بعض إلى بعض، إلا لمن دونه، كما ورد في الخبر «٢» . هـ.

وكان ربك بصيرا عالما بالحكمة فيما يبتلي به، أو: بمن يصبر ويجزع. وقال أبو السعود: هو وعد كريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالأجر الجزيل لصبره الجميل، مع مزيد تشريف له- عليه الصلاة والسلام-

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٣٦/٣

بالالتفات إلى إسم الرب مضافا إلى ضميره صلى الله عليه وسلم. هـ.

الإشارة: الطريق الجادة التي درج عليها الأنبياء والأولياء هي سلوك طريق الفقر والتخفيف من الدنيا، إلا قدر الحاجة، بعد التوقف والاضطرار، ابتداء وانتهاء، حتى تحققوا بالله. ومنهم من أتته الدنيا بعد التمكين فلم تضره. والحالة الشريفة: ما سلكها نبينا صلى الله عليه وسلم وهو التخفيف منها وإخراجها من اليد، حتى مات ودرعه مرهونة عند يهودي، في وسق من شعير. وعادته تعالى، فيمن سلك هذا المسلك، أن يديل الغنى في عقبه، فيكونون أغنياء في الغالب. والله تعالى أعلم.

وما وصف به الحق تعالى رسله من كونهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، هو وصف للأولياء أيضا- رضى الله عنهم- فيمشون في الأسواق للعبرة والاستبصار في تجليات الواحد القهار، فحيث يحصل الزحام يعظم الشهود للملك العلام، وفي ذلك يقول الششتري رضي الله عنه: عين الزحام هو الوصول لحينا.

وكان شيخ أشياخنا- سيدي علي العمراني- يقول لأصحابه: من أراد أن يذوق فليمش إلى السوق. هـ.

فينبغي للمريد أن يربي فكرته في العزلة والخلطة والخلوة والجلوة، ولا يتقصر على تربيتها في العزلة فقط لئلا يتغير حاله في حال الخلطة فيبقى ضعيفا. فالعزلة تكون ابتداء، قبل دخول بلاد المعاني، فإذا دخل بلاد المعاني فليختر الخلطة على العزلة، حتى يستوي قلبه في الخلوة والجلوة، فالعزلة عن الناس عزلة الضعفاء والعزلة بين الناس عزلة الأقوياء. فالمشي في الأسواق والأكل فيها من سنة الفقراء، أهل الأحوال مجاهدة لنفوسهم، وترييضا لها على إسقاط مراقبة الخلق، والخوف منهم. وقد ورد أن الله تعالى أمر بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم تشريفا لأهل الأحوال، كما ذكره صاحب اللباب عند قوله: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ...

---

(١) من الآية ١٣١ من سورة طه.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه» . أخرجه البخاري فى (الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه، ح ٤٦٩٠) ، ومسلم فى (الزهد والرقائق، ٤/ ٢٢٧٥، ح ٢٩٦٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.." [١]

"بإيضاح النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك في الحديث الصحيح.

قال البخاري في صحيحه في تفسير هذه الآية الكريمة: حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٨٧/٤

شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى، قال: مر بي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، ثم أتيت فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» فقلت: كنت أصلي. فقال: «ألم يقل الله: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول [٨ \ ٢٤] ، ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد، فذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - ليخرج، فذكرته، فقال: الحمد لله رب العالمين [١ \ ٢] ، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» . حدثنا آدم، حدثنا ابن أبي ذئب، حدثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم» .

فهذا نص صحيح من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم: فاتحة الكتاب، وبه تعلم أن قول من قال: إنها السبع الطوال، غير صحيح، إذ لا كلام لأحد معه - صلى الله عليه وسلم - ومما يدل على عدم صحة ذلك القول: أن آية الحجر هذه مكية، وأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة. والعلم عند الله تعالى.

وقيل لها: «مثاني» ؛ لأنها تثنى قراءتها في الصلاة.

وقيل لها: «سبع» ؛ لأنها سبع آيات.

وقيل لها: «القرآن العظيم» ؛ لأنها هي أعظم سورة ؛ كما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح المذكور آنفا.

وإنما عطف القرآن العظيم على السبع المثاني، مع أن المراد بهما واحد وهو الفاتحة ؛ لما علم في اللغة العربية: من أن الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى، تنزيلا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات. ومنه قوله تعالى: سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى [٨٧ \ ٤] ، وقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم.

قوله تعالى: **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم.

لما بين تعالى أنه آتى النبي - صلى الله عليه وسلم - السبع المثاني والقرآن العظيم، وذلك أكبر نصيب، وأعظم حظ عند الله تعالى،." (١)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣١٥/٢

"نهاه أن يمد عينيه إلى متاع الحياة الدنيا الذي متع به الكفار ؛ لأن من أعطاه ربه – جل وعلا – النصيب الأكبر والحظ الأوفر، لا ينبغي له أن ينظر إلى النصيب الأحقر الأخس، ولا سيما إذا كان صاحبه إنما أعطيه لأجل الفتنة والاختبار. وأوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع ؛ كقوله في (طه) : فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى [٢٠ \ ١٣٠ – ١٣٢] ، والمراد بالأزواج هنا: الأصناف من الذين متعهم الله بالدنيا.

قوله تعالى: ولا تحزن عليهم.

الصحيح في معنى هذه الآية الكريمة: أن الله نهى نبيه – صلى الله عليه وسلم – عن الحزن على الكفار إذا امتنعوا من قبول الإسلام. ويدل لذلك كثرة ورود هذا المعنى في القرآن العظيم. كقوله: ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون [١٦ \ ١٢٧] ، وقوله: فلا تذهب نفسك عليهم حسرات [٣٥ \ ٨] ، وقوله: لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين، وقوله: فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا [١٨ \ ٦] ، وقوله: وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين [٥ \ ٦٨] ، إلى غير ذلك من الآيات.

والمعنى: قد بلغت ولست مسئولا عن شقاوتهم إذا امتنعوا من الإيمان، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، فلا تحزن عليهم إذا كانوا أشقياء.

قوله تعالى: واخفض جناحك للمؤمنين.

أمر الله – جل وعلا – نبيه في هذه الآية الكريمة بخفض جناحه للمؤمنين. وخفض الجناح كناية عن لين الجانب والتواضع، ومنه قول الشاعر:

وأنت الشهير بخفض الجناح ... فلا تك في رفعه أجدلا

وبين هذا المعنى في مواضع أخر ؛ كقوله في «الشعراء» : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين [٢٦

\ ٢١٥] ، وكقوله: فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر [٣ \ ١٥٩] إلى غير ذلك من الآيات.." (١)

"يدعون ربهم بالغداة والعشي، أي: يصلون صلاة الصبح والعصر، والتحقيق أن الآية تشمل أعم من مطلق الصلاة، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا.

نهى الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن تعدو عيناه عن ضعفاء المؤمنين وفقرائهم، طموحا إلى الأغنياء وما لديهم من زينة الحياة الدنيا، ومعنى ولا تعد عيناك [١٨ \ ٢٨] ، أي: لا تتجاوزهم عيناك وتنبو عن رثاثة زيهم، محتقرا لهم طامحا إلى أهل الغنى والجاه والشرف بدلا منهم، وعدا يعدو: تتعدى بنفسها إلى المفعول وتلزم، والجملة في قوله: تريد زينة الحياة الدنيا في محل حال والرابط الضمير، على حد قوله في الخلاصة:

وذات بدء بمضارع ثبت ... حوت ضميرا ومن الواو خلت

وصاحب الحال المذكورة هو الضمير المضاف إليه في قوله: «عيناك» ، وإنما ساغ ذلك لأن المضاف هنا جزء من المضاف إليه، على حد قوله في الخلاصة:

ولا تجز حالا من المضاف له إلا إذا اقتضى المضاف عمله أو كان جزء ما له أضيفا أو مثل جزئه فلا تحيفا وما نهى الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة من طموح العين إلى زينة الحياة الدنيا، مع الاتصاف بما يرضيه جل وعلا من الثبات على الحق، كمجالسة فقراء المؤمنين، أشار له أيضا في مواضع أخر، كقوله: فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا [٢٠ \ ١٣٠ - ١٣١] ، وقوله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم الآية [١٥ \ ٨٧] .

قوله تعالى: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا.

نهى الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة عن طاعة من أغفل الله قلبه عن ذكره

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٣١٦

واتبع هواه، وكان أمره فرطا، وقد كرر في القرآن نهي نبيه صلى الله عليه وسلم عن اتباع مثل هذا الغافل عن ذكر الله المتبع هواه، كقوله تعالى: فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا [٧٦ \ ٢٤] ، وقوله: ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم الآية [٣٣ \ ٤٨] ،." (١)

"قوله تعالى: احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم. المراد بـ: الذين ظلموا الكفار، كما يدل عليه قوله بعده: وما كانوا يعبدون من دون الله.

وقد قدمنا إطلاق الظلم على الشرك في آيات متعددة ؛ كقوله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم [٣١ \ ١٣] ، وقوله تعالى: والكافرون هم الظالمون [٢ \ ٢٥٤] ، وقوله تعالى: ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين [١٠ \ ١٠٦] .

وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر الظلم بالشرك، في قوله تعالى: ولم يلبسوا إيمانهم بظلم [٦ \ ٨٢] ، وقوله تعالى: وأزواجهم، جمهور أهل العلم منهم: عمر وابن عباس، على أن المراد به أشباههم ونظراؤهم، فعابد الوثن مع عابد الوثن، والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني، واليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني، وهكذا وإطلاق الأزواج على الأصناف مشهور في القرآن، وفي كلام العرب ؛ كقوله تعالى: والذي خلق الأزواج كلها الآية [٤٣ \ ١٢] ، وقوله تعالى: سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون [٣٦ \ ٣٦] ، وقوله تعالى: فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى الآية [٢٠ \ ٥٣] ، وقوله تعالى: **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم [١٥ \ ٨٨] ، إلى غير ذلك من الآيات.

فقوله تعالى: احشروا الذين ظلموا وأزواجهم، أي: اجمعوا الظالمين وأشباههم ونظراءهم، فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم، وبذلك تعلم أن قول من قال: المراد بـ أزواجهم نساؤهم اللاتي على دينهم، خلاف الصواب. وقوله تعالى: وما كانوا يعبدون من دون الله، أي: احشروا مع الكفار الشركاء التي كانوا يعبدونها من دون الله ليدخل العابدون والمعبودات جميعا النار ؛ كما أوضح ذلك بقوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون [٢١ \ ٩٨ - ٩٩] . وقد بين تعالى أن الذين عبدوا من دون الله من الأنبياء، والملائكة، والصالحين ؛ كعيسى وعزير خارجون عن هذا، وذلك في." (٢)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٢٦٤

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦/٣٠٩

"وقال – تعالى –: وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى [٢٠ \ ٥٣] .
وقال – تعالى –: فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج [٢٢ \ ٥] . أي من كل صنف حسن من أصناف النبات.
وقال – تعالى –: وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم [٣١ \ ١٠] .
ومن إطلاق الأزواج على الأصناف في القرآن قوله – تعالى –: وآخر من شكله أزواج [٣٨ \ ٥٨] . وقوله – تعالى –: **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم [٢٠ \ ١٣١] .
وقد قدمنا طرفا من ذلك في سورة «الصافات» في الكلام على قوله – تعالى –: احشروا الذين ظلموا وأزواجهم الآية [٣٧ \ ٢٢] .

قوله – تعالى –: وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه.
قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة «المؤمن» في الكلام على قوله – تعالى –: الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها الآية [٤٠ \ ٧٩] . وضمير المفرد المذكر الغائب في قوله: لتستووا على ظهوره، وقوله: إذا استويتم عليه – راجع إلى لفظ (ما) في قوله: وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون.

قوله – تعالى –: وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين.
يعني – جل وعلا – أنه جعل لبني آدم ما يركبونه من الفلك التي هي السفن، ومن الأنعام ليستووا، أي يرتفعوا معتدلين على ظهوره، ثم يذكروا في قلوبهم نعمة ربهم عليهم بتلك المركوبات، ثم يقولوا – بألسنتهم مع تفهم معنى ما يقولون –: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين.
وقوله: «سبحان» قد قدمنا في أول سورة «بني إسرائيل» معناه بإيضاح، وأنه يدل على تنزيه الله – جل وعلا – أكمل التنزيه وأتمه، عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، والإشارة في قوله: هذا راجعة إلى لفظ ما من قوله: ما تركبون وجمع الظهور نظرا إلى معنى ما ؛ لأن معناها عام شامل لكل ما تشمله صلتها، ولفظها مفرد، فالجمع في الآية باعتبار معناها، والإفراد باعتبار لفظها.." (١)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨٦/٧

"الحالتين، في حالي الفقر والغنى، إن قل ماله صبر، وإن كثر بذل وشكر.

استغن ما أغناك ربك بالغنى ... وإذا تصبك خصاصة فتجمل

ومما يدل على عظم عطاء الله له مما فاق كل عطاء. قوله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم [١٥ \ ٨٧] ، ثم قال: **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين [١٥ \ ٨٨] .

وقد اختلفوا في المقارنة بين الفقير الصابر والغني الشاكر، ولكن الله تعالى قد جمع لرسوله – صلى الله عليه وسلم – كلا الأمرين ؛ ليرسم القدوة المثلى في الحالتين.

تنبيه.

في الآية إشارة إلى أن الإيواء والهدى والغنى من الله ؛ لإسنادها هنا لله تعالى.

ولكن في السياق لطيفة دقيقة، وهي معرض التقرير، يأتي بكاف الخطاب: ألم يجدك يتيما، ألم يجدك ضالا، ألم يجدك عائلا، لتأكيد التقرير، لم يسند اليتم ولا الإضلال ولا الفقر لله، مع أن كله من الله، فهو الذي أوقع عليه اليتم، وهو سبحانه الذي منه كلما وجده عليه، ذلك لما فيه من إيلام له، فما يسنده لله ظاهرا، ولما فيه من التقرير عليه أبرز ضمير الخطاب.

وفي تعداد النعم: فآوى، فهدى، فأغنى. أسند كله إلى ضمير المنعم، ولم يبرز ضمير الخطاب.

قال المفسرون: لمراعاة رءوس الآي والفواصل، ولكن الذي يظهر – والله تعالى أعلم –: أنه لما كان فيه امتنان، وأنها نعم مادية لم يبرز الضمير لئلا يثقل عليه المنة، بينما أبرزه في: ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك [٩٤ \ ١ – ٢] ، ورفعنا لك ذكرك [٩٤ \ ٤] ؛ لأنها نعم معنوية، انفرد بها. صلى الله عليه وسلم. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث

مجيء الفاء هنا مشعر، إما بتفريع وهذا ضعيف، وإما بإفصاح عن تعدد، وقد ذكر الجمل بتقدير مهما يكن من شيء.." [(١)]

"(٤٠٦٣٠) – عن سعيد بن جبير – من طريق أبي بشر – قال: هن السبع الطول – قال: ويقال: هن القرآن العظيم أخرجه ابن جرير (١٤) / (١٠٩) – .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٦٣/٨

(٤٠٦٣١) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (والقرآن العظيم): سائره أخرجه ابن جرير (١٤) / (١٢٦)، والبيهقي ((٢٤١٩)) - وعزاه السيوطي إلى آدم بن أبي إياس، وابن أبي شيبة، وابن المنذر - .

(٤٠٦٣٢) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق عبيد - في قوله: (والقرآن العظيم)، قال: يعني: الكتاب كله أخرجه ابن جرير (١٤) / (١٢٦) - .

(٤٠٦٣٣) - قال مقاتل بن سليمان: (والقرآن) كله مثاني، ثم قال: (العظيم) يعني: سائر القرآن كله تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٣٦) - .

(**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم)

(٤٠٦٣٤) - عن يحيى بن أبي كثير، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بإبل لحي يقال لهم: بنو الملوح أو بنو المصطلق، قد عبست عبست أبوالها: هو أن تجف أبوالها على أفخاذها، وذلك إنما يكون من كثرة الشحم والسمن، وإنما عداه بـ «في» لأنه أعطاه معنى: انغمست - النهاية (عبس) - في أبوالها من السمن، فتقنع بثوبه، ومر ولم ينظر إليها؛ لقوله: (**لا تمدن عينيك**) الآية أخرجه أبو عبيد ص (٥٤) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٤٠٦٣٥) - عن عبد الله بن عباس - من طريق العوفي - في قوله: (**لا تمدن عينيك**) الآية، قال: نهي الرجل أن يتمنى مال صاحبه أخرجه ابن جرير (١٤) / (١٢٨) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤٠٦٣٦) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (أزواجا منهم)، قال: الأغنياء، الأمثال، الأشباه أخرجه ابن جرير (١٤) / (١٢٧) - (١٢٨) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٤٠٦٣٧) - قال مقاتل بن سليمان: (**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم)، يعني:
". [(١)]

"(٤٨٦٢٨) - عن فضالة بن وهب الليثي، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: «حافظ على العصرين» - قلت: وما العصران؟ قال: «صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» أخرجه أبو داود (١) / (٣١٩) ((٤٢٨))، والحاكم (١) / (٦٩) ((٥١))، (١) / (٣١٥) ((٧١٧))، (٣) / (٧٢٨) ((٦٦٣٧)) - قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وعبد الله هو ابن فضالة بن عبيد، وقد خرج له في الصحيح حديثان» - ووافقه الذهبي - قال إبراهيم الحسيني الحنفي في البيان والتعريف

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١/٤٠٤

(٢) / (١٩) ((٩٣٥)): «قال الحافظ ابن حجر في الأربعين المتباينة: هذا حديث صحيح» - وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢) / (٣٠٦) ((٤٥٤)): «إسناده صحيح، وصححه ابن حبان، والسيوطي» - .

(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) الآية

نزول الآية

(٤٨٦٢٩) - عن أبي رافع، قال: أضاف النبي - صلى الله عليه وسلم - ضيفا، ولم يكن عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يصلحه، فأرسلني إلى رجل من اليهود أن: «بعنا أو أسلفنا دقيقا إلى هلال رجب» - فقال: لا، إلا برهن - فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأخبرته، فقال: «أما - والله - إني لأمين في السماء، أمين في الأرض، ولئن أسلفني أو باعني لأديت إليه، اذهب بدرعي الحديد» - فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) - كأنه يعزيه عن الدنيا أخرجه الروياني في مسنده (١) / (٤٧٢) ((٧١٥))، والطبراني في الكبير (١) / (٣٣١) ((٩٨٩)) - وأورده البغوي (٥) / (٣٠٣) - وأخرجه إسحاق البستي في تفسيره ص (٢٨٧)، عن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة، قال: بلغني أن النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فذكر نحوه - قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ص (١٠٤٧): «أخرجه الطبراني بسند ضعيف» - وقال الهيثمي في المجمع (٤) / (١٢٦) ((٦٦١٩)): «رواه الطبراني في الكبير، والبزار، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف» - انتقد ابن عطية ((٦) / (١٤٦)) مستندا إلى دلالة التاريخ أن يكون هذا الحديث سبب نزول الآية، فقال: «وهذا معترض أن يكون سببا؛ لأن السورة مكية، والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ لأنه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت» - ثم رجح مستندا إلى السياق تناسق الآية مع ما قبلها: «وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها، وذلك أن الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار بالأمم السابقة، ثم توعدهم بالعذاب المؤجل، ثم أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالاحتقار لشأنهم، والصبر على أقوالهم، والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا، إذ ذلك منصرم عنهم، صائر بهم إلى خزي» - .

تفسير الآية

(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم)

(٤٨٦٣٠) - تفسير مجاهد بن جبر: قوله: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم)، يعني:

الأغنياء علقه يحيى بن سلام (١) / (٢٩٤) - .

(٤٨٦٣١) - قال مقاتل بن سليمان: (**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم) يعني: كفار مكة، من الرزق أصنافا (منهم) من الأموال تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٤٦) - .

(٤٨٦٣٢) - عن سفيان، في قوله: (**ولا تمدن عينيك**) الآية، قال: تعزية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(زهرة الحياة الدنيا)

(٤٨٦٣٣) - عن أبي سعيد، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا» - قالوا: وما زهرة الدنيا، يا رسول الله؟ قال: «بركات الأرض» أخرجه البخاري (٤) / (٢٦) ((٢٨٤٢))، (٨) / (٩١) ((٦٤٢٧))، ومسلم (٢) / (٧٢٨) ((١٠٥٢))، وابن أبي حاتم (٧) / (٢٤٤٢) ((١٣٥٨٩)) - .

(٤٨٦٣٤) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (زهرة الحياة الدنيا)، قال: زينة الحياة الدنيا أخرجه ابن جرير (١٦) / (٢١٥) - وعلقه يحيى بن سلام (١) / (٢٩٤) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - وعقب عليه يحيى بن سلام بقوله - وقد يكون القول لقتادة -: أمره أن يزهد في الدنيا - .

(٤٨٦٣٥) - قال مقاتل بن سليمان: فإنها (زهرة) يعني: زينة (الحياة الدنيا) تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٤٦) - .

(لنفتنهم فيه)

". [1]

"(٤٨٦٦٢) - عن أسلم، قال: كان عمر بن الخطاب يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، ويقول لهم: الصلاة الصلاة - ويتلو هذه الآية: (وأمر أهلك بالصلاة) أخرجه مالك (١) / (١١٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣) / (٤٩) ((٤٧٤٣))، والبيهقي ((٣٠٨٦)) - .

(٤٨٦٦٣) - عن هشام بن عروة بن الزبير، قال: قال لنا أبي [عروة بن الزبير]: إذا رأى أحدكم شيئا من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله، وليأمر أهله بالصلاة، وليصطبر عليها؛ فإن الله قال لنبيه: (**ولا تمدن عينيك**

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٤٨/٢٥

إلى ما متعنا به أزواجا منهم) وقرأ إلى آخر الآية أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) (١٩) / (٤٠٣) ((٣٦٤٨٣)) - .

(٤٨٦٦٤) - عن عروة [بن الزبير]: أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا، فإذا رجع إلى أهله، فدخل الدار، قرأ: (**ولا تمدن عينيك**) إلى قوله: (نحن نرزقك)، ثم يقول: الصلاة الصلاة، رحمكم الله أخرجه ابن جرير (١٦) / (٢١٧)، وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٥) / (٣٢١) - ولفظه: كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره - إلخ - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٤٨٦٦٥) - قال مالك بن دينار: كان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة يقول: قوموا فصلوا - ثم يقول: بهذا أمر الله رسوله - ويتلو هذه الآية تفسير الثعلبي (٦) / (٢٦٧) - .

(وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣))

(٤٨٦٦٦) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (تأتهم)، قال: التوراة والإنجيل أخرجه ابن أبي شيبة (١٤) / (١٢٠)، وإسحاق البستي في تفسيره ص (٢٨٨) من طريق ابن جريج، وابن جرير (١٦) / (٢١٨) - وعلقه يحيى بن سلام (١) / (٢٩٦) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٤٨٦٦٧) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - قوله: (أولم تأتهم بينة ما في الصحف ".[1]

"وقوله: ﴿والقرآن العظيم﴾ من باب عطف الكل على البعض؛ للتعميم وتكثير الامتنان، وتفخيم شأن البعض المعطوف عليه، كأنه المقصود بالذكر، والأصل لسائر الأبعاض، والمراد من الكل: مجموع ما نزل وقت نزول هذه الآية، لا مجموع القرآن حتى يلزم المحذور المذكور آنفا.

* * *

(٨٨) - ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾.

﴿**لا تمدن عينيك**﴾: لا تطمحن ببصرك طموح راغب.

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٥٣/٢٥

الناظر إنما يكون مادا عينيه إلى الشيء إذا أدام النظر إليه، وإدامة النظر إلى الشيء تدل على استحسانه والرغبة فيه.

* * *

(١) في (ف): "والثناء".

الجزء: ٥ - الصفحة: ٥٣٤

﴿إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾: أصنافا من الكفار، فإن ما أوتيته من القرآن العظيم أعظم منها؛ لأنه كمال مطلوب بالذات، موصل إلى دوام جوامع اللذات، أو ما أوتوا فهو مستحقر بالنسبة إليه أقل من لا شيء.

﴿ولا تحزن عليهم} أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم الإسلام، أو أنهم المتمتعون به دون المؤمنين.

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾: لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم.

خفض الجناح مجاز مرسل عن التعطف والرفق، مرتب على الكناية، وأصله: أن الطائر إذا ضم الفرخ إليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه.

* * *

(٨٩) - ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾.

﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا.." [١]
"(١٣١) - ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ١٥٣/٥

﴿**ولا تمدن عينيك**﴾؛ أي: نظر عينيك ﴿إلى ما متعنا به﴾ مد النظر: تطويله مستمرا بحيث لا يكاد يرد؛ استحسانا للمنظور وتمنيا أن يكون للناظر.

﴿أزواجا﴾: أصنافا ﴿منهم﴾ من الكفرة، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في ﴿به﴾، والمفعول ﴿منهم﴾؛ أي: إلى الذي متعنا به - وهو أصناف - بعضهم وناسا منهم (٣).

* * *

(١) في (م): "والخلو". (٢) وهي قراءة الكسائي وشعبة. انظر: "التيسير" (١٥٣). (٣) أي: أن (من) تبعيضية وهي مفعول ﴿متعنا﴾، فقوله: "وهو أصناف" تفسير للحال، و"بعضهم" بالنصب هو المفعول، و"ناسا منهم" تفسير له. انظر: "حاشية الشهاب" (٦/ ٢٣٥).

الجزء: ٦ - الصفحة: ٥٠٦

﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ الزهرة: الزينة والبهجة.

وقرئ بفتح الهاء (١)، وهي لغة فيها، كالجهرة في الجهرة، أو جمع زاهر، كالجهرة في جمع جاهر.

نصب على الذم، أو على الاختصاص؛ أي: أعني أو أخص، أو على المفعول الثاني لما دل عليه ﴿متعنا﴾، أو على تضمينه معنى أعطينا.

وأما نصبه على البدل من محل الجار والمجرور؛ أي: ﴿به﴾، أو من ﴿أزواجا﴾، على تقدير مضاف؛ أي: ذوي زهرة، فضعيف؛ لأنه لا يقال: مررت بزيد أخاك؛ ولأن الإبدال من الضمير العائد إلى الموصول ونحوه مما اختلف في جوازه.

وعلى قراءة الفتح نعت على أنه جمع زاهر، وجاز أن يكون حالا، والإضافة لفظية؛ لأن الأصل: زاهرين الحياة الدنيا، وصف لهم بأنهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم، بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد.." [١]

"ومنها: أن مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل، وتعظم عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه. ومجالسة الأغنياء توجي السخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله عز وجل نبيه) عن ذلك فقال تعالى:)**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى(طه: ١٣١، وقال النبي): "انظروا إلى من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم". قال أبو ذر: أوصاني رسول الله) أن أنظر إلى من دوني ولا أنظر إلى من فوقي، وأوصاني أن أحب المساكين وأن أدنو منهم.

وكان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يجالس الأغنياء فلا يزال في غم، لأنه لا يزال يرى من هو أحسن منه لباسا ومركبا ومسكنا ومطعما، فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك.

وقد روي عن النبي) أنه نهى عائشة من مخالطة الأغنياء. وقال عمر: إياكم والدخول على أهل السعة فإنه مسخطة للرزق.

واعلم أن المسكين إذا أطلق يراد به غالبا من لا مال له يكفيه، فإن الحاجة توجب السكون والتواضع، بخلاف الغني فإنه يوجب الطغيان، ولهذا ذم الفقير المختال وعظم وعيده لأنه عصى بما ينافي فقره، وهو الاختيال والزهو والكبر.

ولما كان المسكين عند الإطلاق لا ينصرف إلا إلى من لا كفاية له من المال وصى الله تعالى بإيثار المساكين وإطعامهم الطعام، ومدح من يطعمهم، وذم من لا يحض على إطعامهم، وجعل لهم حقا في أموال الصدقات والفئ وخمس الغنائم وحضور قسمة الأموال.." [٢]

"""""""" صفحة رقم ١٥٦ """""""

أقول : ما فتح الله هذا على قوم قط إلا سفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم وقال : اللهم منعت هذا رسولك إكراما منك له ، وفتحته على لتبتليني به ، اللهم اعصمنى من فتنته . فهذا كله يدل أن الغنى بلية وفتنة ، ولذلك استعاذ النبى (صلى الله عليه وسلم) من شر فتنته ، وقد أخبر الله تعالى بهذا المعنى فقال لرسوله : (**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)]

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٦/٦٦

(٢) شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ص/٤١

طه : ١٣١] ، وقال تعالى : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) [التغابن : ١٥] ، ولهذا آثر أكثر سلف الأمة التقلل من الدنيا وأخذ البلغة ؛ إذ التعرض للفتن غرر . وقوله (صلى الله عليه وسلم) فى حديث أبى سعيد : (وإن مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم) فهو أبلغ الكلام فى تحذير الدنيا والركون إلى غضارتها ، وذلك أن الماشية يروقها نبت الربيع فيكثر أكلها فربما تفتقت سمنا فهلكت ، فضرب النبى (صلى الله عليه وسلم) هذا المثل للمؤمن أن لا يأخذ من الدنيا إلا قدر حاجته ، ولا يروقه زهرتها فتهلكه . وقال الأصمعى : والحبط : هو أن تأكل الدابة فتكثر ، حتى تنتفخ بذلك بطنها وتمرض عنه . وقوله : (أو يلم) يعني يدنى من الموت ، وقد تقدم الكلام فى هذا الحديث فى باب الصدقة على اليتامى فى كتاب الزكاة .

وأما قول خباب : (إن أصحاب محمد مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيئا) . فإنه لم يكن فى عهد النبي – عليه السلام – من الفتوحات والأموال ما كان بعده ، فكان أكثر الصحابة ليس لهم إلا القوت ، ولم ينالوا من طيبات العيش ما يخافون أن ينقصهم ذلك من طيبات الآخرة ،." (١)

"البحر فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله تعالى فأنزل الله هذه الآية ولقد آتيناك سبعا (الحجر٨٧) أي سبع آيات خير لك من هذه السبع القوافل ودليل هذا قوله عز وجل في عقبها **لا تمدن عينيك** (الحجر٨٨) الآية وقيل لأنها مصدرة بالحمد والحمد أول كلمة تكلم بها آدم عليه السلام حين عطس وهي آخر كلام أهل الجنة من ذريته قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (يونس ١٠) وقال قوم إن السبع المثاني هي السبع الطوال وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معا وهما سورة واحدة ولهذا لم تكتب بينهما بسملة وهو قول ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعن ابن عباس إنما سميت الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر ثبتت فيها وعن طاووس وابن مالك القرآن كله مثاني لأن الأنباء والقصص ثبتت فيه فعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن ويكون فيه إضمار تقديره وهو القرآن العظيم قيل الواو فيه مقحمة مجازه ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقيل دخلت الواو لاختلاف اللفظين وعلى القول الأول يكون العطف في قوله والقرآن العظيم من عطف العام على الخاص

٣٠٧٤ – حدثني (محمد بن بشار) حدثنا (غندر) حدثنا (شعبة) عن

(خبيب بن عبد الرحمان) عن (حفص بن عاصم) عن (أبي سعيد بن المعلى) قال مر بي النبي وأنا

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ١٥٦/١٠

أصلي فداعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيت فقال ما منعك أن تأتي فقلت كنت أصلي فقال ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ثم قال ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد فذهب النبي ليخرج من المسجد فذكرته فقال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته." (١)

"صفحة رقم ٢٣٣

عن أبي هريرة ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " أعذر الله إلى

امرئ ، أخر أجله حتى بلغه ستين سنة ".

هذا حديث صحيح.

وسئل مالك عن الزهد في الدنيا ؟ قال : طيب الكسب ، وقصر

الأمل.

(باب التجافي عن الدنيا

قال الله سبحانه وتعالى : (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا

يغرنكم بالله الغرور ([لقمان : ٣٣]. قال مجاهد :

الغرور : الشيطان. وقال عز وجل :) **ولا تمدن عينيك** إلى

ما متعنا به أزواجا منهم ([طه : ١٣١]. وعن هشام بن

عروة قال : كان أبي إذا دخل على من يرى عنده شيئا من

زينة الدنيا أسرع الرجوع إلى أهله ، وقام بالباب ، فنادى

) **ولا تمدن عينيك** (إلى آخر الآية ، ثم ينادي : الصلاة." (٢)

"بلفظ إن من أمتي من يأتي السوق فيبتاع القميص بنصف أو ثلث دينار فيحمد الله تعالى إذا ألبسه فلا يبلغ ركبتيه حتى يغفر له رواه الطبراني عن أمامة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال لي أي خاطبني بالخصوص رسول الله يا عائشة إن أردت اللحوق بي أي الوصال على وجه الكمال في منصة الجمال فليكفك من الدنيا كزاد الراكب أي مثله وهو فاعل يكف أي اقتنعي بشيء يسير من الدنيا فإنك عابر سبيل إلى منزل العقبى وإياك ومجالسة الأغنياء أي فضلا أن تكون من أرباب الدنيا لأن مجالستهم

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤١٠/٢٧

(٢) شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا، ٢٣٣/١٤

تجر إلى محبة الشهوات واللهوات ولذا قيل لا تنظروا إلى أرباب الدنيا فإن بريق أموال الأغنياء يذهب برونق حلاوة الفقراء وقد قال تعالى **ولا تمدن عينيك** الأعراف الآية وفي الحديث اتقوا مجالسة الموتى قيل ومن هم يا رسول الله قال الأغنياء وذكر الديلمي في مسند الفردوس عن أنس مرفوعا اتركوا الدنيا لأهلها فإنه من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر ولا تستخلقي ثوبا بالخاء المعجمة والقاف أي لا تعديه خلقا من استخلق الذي هو نقبض استجد وعليه أكثر الشراح وقال الأشرف وروي بالفاء من استخلف له إذا طلب له خلفا أي عوضا واستعماله في الأصل بمن لكن اتسع فيه بحذفها كما اتسع في قوله تعالى واختار موسى قومه الأعراف حتى ترقعيه بتشديد القاف أي تخيطي عليه رقعة ثم تلبسيه مرة وفيه تحريض لها على القناعة باليسير والاكتفاء بالثوب الحقير والتشبه بالمسكين والفقير في شرح السنة قال أنس رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع ثوبه برقاع ثلاث لبد بعضها فوق بعض وقيل خطب عمر رضي الله عنه وهو خليفة وعليه إزار فيه اثنا عشر رقعة اه رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من صالح بن حسان بتشديد السين ينصرف ولا ينصرف قال محمد بن اسماعيل أي البخاري صالح بن حسان منكر الحديث وروي ا بن عساكر عن أبي أيوب أنه كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع." (١)

"آخذ بك من اؤاخذه بالعقوبة وبك أعطي أي من أسامحه بالمثوبة فإنك أنت الأصل لتدار عليك أمر الطاعة والمعصية قال الله تعالى في كتابه ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وفيه

إشارة لطيفة متضمنة لبشارة تشريفه وهي أن من مات على الإسلام ليس من الخاسرين أبدا بل من المفلحين الناجين مآلا ومنالا وأن أمر الطاعة والعبادة مع قوة الإسلام يرجى فيهما المسامحة نسأل الله العفو والعافية ونعوذ بالله من درك الهاوية وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كا لنا ستر بكسر السين أي شيء يستر به الجدار وباب الدار فيه تماثيل طير أي تصاوير طيور أو طير فقال رسول الله يا عائشة حوليه أي غيريه بتبديله أو تنقيله فإني إذا رأيته ذكرت الدنيا وفي هذا التعليل دليل على أن الصور كانت صغيرة جدا أو قبل العلم بتحريم التصوير وامتناع دخول ملائكة الرحمة في مكانه مع الإيماء إلى أن رؤيته أسباب يتنعم بها الأغنياء مما تذهب بحلاوة قلوب الفقراء وقد قال تعالى **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى طه وعن أبي أيوب الأنصاري قال جاء رجل إلى النبي فقال

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٩٤/١٣

عظني وأوجز أي اختصر وعلى المهم اقتصر فقال إذا قمت أي شرعت في صلاتك فصل صلاة مودع بكسر الدال المشددة أي مودع لما سوى الله بالاستغراق في مناجاة مولاه أو المعنى صل صلاة من يودع الصلاة ومنه حجة الوداع أي اجعل صلاتك آخر الصلوات فرضا فحسن خاتمة عملك واقصر طول أملك لاحتمال قرب أجلك وقال الطيبي رحمه الله أي فأقبل على الله بشراشرك و ودع غيرك لمناجاة ربك ولا تكلم بحذف إحدى التائين وفي نسخة بإثباتهما أي لا تتحدث بكلام تعذر بفتح التاء وكسر الذال أي تحتاج أن تعتذر منه أي من أجل ذلك الكلام غدا أي يوم القيامة وهو المعنى بقوله من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وأجمع الإياس بفتح الهمزة وكسر الميم ويجوز عكسه ومنه قوله تعالى." (١)

"الاعتصام بالله سرا وعلنا أو يشك في قوله تعالى ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ ولا بنا من وهو ولا فشل ولا ضعف في النكاية ولا كسل ننتصر للدين ونحمي حماه وما النصر إلا من عند الله، وأما ما جال في أنفسكم ودار في رءوسكم ومدت إليه يد الطمع وسولته الأماني والخدع من أنكم من الفئة الذين هم ومن حالفهم لا يضرهم من خالفهم، وإنكم من الطائفة الظاهرين على الحق، وأن هذه المناقب تساق لكم وتحق، فكلا وحاشا أن يكون لكم في هذه المناقب من نصيب، أو أن يصير إليكم إرثها بفرض أو تعصيب، فإن هذا الحديث وإن كان واردا صحيحا إلا أنكم لم توفوا طرقه تنقيحا فإن في بعض رواياته زيادة وهم بالمغرب، وهي تحجبكم عن إدراك هذه المناقب وتبعدكم عنها بعد المشارق والمغارب، فانفض يديك مما ليس إليك **ولا تمدن عينيك** إلى من حرمت عليك فإنكاح الثريا من سهيل أمكن من هذا المستحيل، أما أهل هذه الأصقاع والذين بأيديهم مقاليد هذه البقاع فهم أجدر من أن يكونوا من إخوانها وتمتد أيديهم إلى أخواتها لصحة عقائدهم السنية واتباعهم سبيل الشريعة المحمدية ونبذهم للابتداع في الدين وانقيادهم للاجتماع وسبيل المؤمنين، وقد أنبأتنا في هذا الكتاب وأعربت في طي الخطاب عن عقائد المبتدعة الزائغين عن السنة المتبعة الراكبين مراكب الاعتساف الراغبين عن جمع الكلمة والائتلاف، فالنصيحة النصيحة إن تنزع لباس العقائد الفاسدة وتتسربل بالعقائد الصحيحة وترجع إلى الله وتؤمن بلقاه ولا تكفر أحدا بذنب اجتناه، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله، وزبدة الجواب وفذلكة الحساب." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٥/١٢٢

(٢) الأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية، ص/١٥٤

"ولما اجتمع الزهري وأبو حازم الزاهد بالمدينة عند بعض بني أمية لما حج وسمع الزهري كلام أبي حازم وحكمته أعجبه ذلك، وقال: هو جاري منذ كذا وكذا، وما جالسته وما عرفت أن هذا عنده!. فقال له أبو حازم: أجل إني من المساكين، ولو كنت من الأغنياء لعرفتني فوبخه بذلك. وفي رواية عنه أنه قال له: لو أحببت الله أحببتني، ولكنك نسيت الله فنسيتني. يشير إلى أن من أحب الله تعالى أحب المساكين من أهل العلم والحكمة لأجل محبته لله تعالى، ومن غفل عن الله تعالى غفل عن أوليائه من المساكين فلم يرفع بهم رأسا، ولم ينتفع بما اختصهم الله عز وجل به من الحكمة والعلوم النافعة التي لا توجد عند غيرهم من أهل الدنيا.

وقد كان علماء السلف يأخذون العلم عن أهله والغالب عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة في الدنيا، ويدعون أهل الرياسات والولايات فلا يأخذون عنهم ما عندهم من العلم بالكلية.

ومنها: أنه يوجب ص‌‌لاح القلب وخشوعه، وفي المسند عن أبي هريرة أن رجلا شكى إلى رسول الله (قسوة قلبه، فقال له: " إن أحببت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم " .

ومنها: أن مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل، وتعظم عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه. ومجالسة الأغنياء توجي السخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله عز وجل نبيه (عن ذلك فقال تعالى: (**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) طه: ١٣١، وقال النبي (: " انظروا إلى من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم " . قال أبو ذر: أوصاني رسول الله (أن أنظر إلى من دوني ولا أنظر إلى من فوقي، وأوصاني أن أحب المساكين وأن أدنو منهم.

وكان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يجالس الأغنياء فلا يزال في غم، لأنه لا يزال يرى من هو أحسن منه لباسا ومركبا ومسكنا ومطعما، فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك.

وقد روي عن النبي (أنه نهى عائشة من مخالطة الأغنياء. وقال عمر: إياكم والدخول على أهل السعة فإنه مسخطة للرزق.

واعلم أن المسكين إذا أطلق يراد به غالبا من لا مال له يكفيه، فإن الحاجة توجب السكون والتواضع، بخلاف الغني فإنه يوجب الطغيان، ولهذا ذم الفقير المختال وعظم وعيده لأنه عصى بما ينافي فقره، وهو الاختيال والزهو والكبر.

ولما كان المسكين عند الإطلاق لا ينصرف إلا إلى من لا كفاية له من المال وصى الله تعالى بإيثار

المساكين وإطعامهم الطعام، ومدح من يطعمهم، وذم من لا يحض على إطعامهم، وجعل لهم حقا في أموال الصدقات والفئ وخمس الغنائم وحضور قسمة الأموال.

وهؤلاء المساكين على قسمين: أحدهما: من هو محتاج في الباطن وقد أظهر حاجته للناس، و الثاني: من يكتم حاجته ويظهر للناس أنه غني فهذا أشرف القسمين، وقد مدح الله عز وجل هذا في قوله تعالى: (للفقرآء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنيآء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) البقرة: ٢٧٣، وقال النبي (: " ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين من لا يجد ما يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه " . وقال بعضهم: هذا المحروم المذكور في قوله عز وجل: (للسآئل والمحروم) الذاريات: ١٩، فأخبر النبي (أن من كتم حاجته فلم يفطن له أحق باسم المسكين من الذي أظهر حاجته بالسؤال، وأنه أحق بالبر منه، وهذا يدل على أنهم كانوا لا يعرفون من المساكين إلا من أظهر حاجته بالسؤال، وبهذا فرق طائفة من العلماء بين الفقير والمسكين، فقالوا: من أظهر حاجته فهو مسكين، ومن كتمها فهو فقير. وفي كلام الإمام أحمد إيماء إلى ذلك، وإن كان المشهور عنه أن التفريق بينهما بكثرة الحاجة وقلتها كقول كثير من الفقهاء، وهذا حيث جمع بين ذكر الفقير والمسكين كما في آية الصدقات، وأما إن أفرد أحد الاسمين دخل فيه الآخر عند الأكثرين.

وقد كان كثير من السلف يكتم حاجته ويظهر الغنى تعففا وتكرما، منهم: إبراهيم النخعي كان يلبس ثيابا حسناء، ويخرج إلى الناس وهم يرون أنه تحل له الميتة من الحاجة.." (١)

"حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير ثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع قال أضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا فلم يلق عند النبي صلى الله عليه وسلم ما يصلحه فأرسل إلى رجل من اليهود يقول لك محمد صلى الله عليه وسلم أسلفني دقيقا إلى هلال رجب قال لا إلا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم إلى آخر الآية لأنه يعزيه عن الدنيا

الطبراني في معجمه الكبير ج١/ص٣٣١ ح٩٨٩." (٢)

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ص/١٨

(٢) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١/٨٠٣٠

" الثاني : ترد ﴿ للكراهة ﴾ ، كقوله [ ] : ﴿ ' لا يمسكن ﴾ أحدكم ﴿ ذكره وهو يبول ' ﴾ ، مثله المحلي وغيره ، كقوله تعالى : (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) [البقرة : ٢٦٧] . الثالث : ﴿ التحقير ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ (**لا تمدن عينيك** ﴾ إلى ما متعنا به أزواجا منهم) [الحجر : ٨٨] . الرابع : ﴿ بيان العاقبة ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ (ولا تحسبن الله غافلا ﴾ عما يعمل الظالمون) [إبراهيم : ٤٢] . الخامس : ﴿ الدعاء ﴾ ، كقوله : (ربنا ﴿ لا تؤاخذنا ﴾ إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) [البقرة : ٢٨٦] ، (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) [آل عمران : ٨] . السادس : ﴿ اليأس ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ (لا تعتذروا ﴾ قد كفرتم بعد إيمانكم) [التوبة : ٦٦] ، وقد يقال إنه راجع إلى الاحتقار فلهذا مثله بعضهم به .

---

(١) ".

" ٩٧٣ - (استحيوا من الله حق الحياء) بترك الشهوات والنهمات وتحمل المكاره على النفس حتى تصير مدبوغة فعندها تطهر الأخلاق وتشرق أنوار الأسماء في صدر العبد ويقرر علمه فيعيش غنيا بالله ما عاش

قال البيضاوي : ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول . وقال سفيان بن عيينة : الحياء أخف التقوى ولا يخاف العبد حتى يستحي وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء ؟ (من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس) أي رأسه (وما وعى) ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا [ص ٤٨٨] فيما يحل (وليحفظ البطن وما حوى) أي وما جمعه باتصاله من القلب والفرج واليدين والرجلين فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيئا في معصية الله فإن الله ناظر في الأحوال كلها إلى العبد لا يوازيه شيء وعبر في الأول بوعي وفي الثاني يحوي للتفنن

قال الطيبي : جعل الرأس وعاء وظرفا لكل مالا ينبغي من رزائل الأخلاق كالفم والعين والأذن وما يتصل بها وأمر أن يصونها كأنه قيل كف عنك لسانك فلا تنطق به إلا خيرا . ولعمري أنه شطر الإنسان قال الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده . . . فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

---

(١) التحبير شرح التحرير، ٥/٢٢٨٠

ولهذا سيجيء في خبر من صمت نجا . ولم يصرح بذكر اللسان ليشمل ما يتعلق بالفم من أكل الحرام والشبهات وكأنه قيل : وسد سمعك أيضا عن الإصغاء إلى ما لا يعنيك من الأباطيل والشواغل واغضض عينك عن المحرمات والشبهات **ولا تمدن عينيك** إلى ما تمتع به الكفار كيف لا وهو رائد القلب الذي هو سلطان الجسد ومضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ؟ وهنا نكتة وهي عطف ما وعى على الرأس فحفظ الرأس مجملا عبارة عن التنزه عن الشرك فلا يضع رأسه لغير الله ساجدا ولا يرفعه تكبرا على عبادة الله وجعل البطن قطبا يدور على سرية الأعضاء من القلب والفرج واليدين والرجلين . وفي عطف وما حوى على البطن إشارة إلى حفظه من الحرام والاحتراز من أن يملأ من المباح وقد تضمن ذلك كله قوله (وليذكر الموت والبلى) لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية وأعضاؤه متمزقة هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة وعمل على إجلال الله وتعظيمه وهذا معنى قوله (ومن أراد الآخرة) أي الفوز بنعيمها (ترك زينة الدنيا) لأن الآخرة خلقت لحظوظ الأرواح وقرة عين الإنسان والدنيا خلقت لمرافق النفوس وهما ضرتان : إذا أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى فمن أراد الآخرة وتشبث بالدنيا كان كمن أراد أن يدخل دار ملك دعاه لضيافته وعلى عاتقه جيفة والملك بينه وبين الدار عليه طريقه وبين يديه ممره وسلوكه فكيف يكون حياؤه منه ؟ فكذا مريد الآخرة مع تمسكه بالدنيا فإذا كان هذا حال من أراد الآخرة فكيف بمن أراد من ليس كمثله شيء ؟ فمن أراد الله فليرفض جميع ما سواه استحياء منه بحيث لا يرى إلا إياه (فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء) قال الطيبي : المشار إليه بقوله ذلك جميع ما مر فمن أهمل من ذلك شيئا لم يخرج من عهدة الاستحياء وظهر من هذا أن جبلة الإنسان وخلقته من رأسه إلى قدمه ظاهره وباطنه معدن العيب ومكان المخازي وأنه تعالى هو العالم بها

فحق الحياء أن يستحيي منه ويصونها عما يعاب فيها . وأصل ذلك ورأسه ترك المرء ما لا يعنيه في الإسلام وشغله بما يعينه عليه فمن فعل ذلك أورثه الاستحياء من الله . والحياء مراتب : أعلاها الاستحياء من الله تعالى ظاهرا وباطنا وهو مقام المراقبة الموصل إلى مقام المشاهدة . قال في المجموع عن الشيخ أبي حامد : يستحب لكل أحد صحيح أو مريض الإكثار من ذكر هذا الحديث بحيث يصير نصب عينيه والمريض أولى

(حم ت ك هب عن ابن مسعود) قال قال النبي صلى الله عليه و سلم ذات يوم لأصحابه استحيوا من الله قالوا إنا نستحي من الله يا نبي الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحيى من الله حق

الحياء فليحفظ إلخ . صححه المؤلف اغترارا بتصحيح الحاكم وتقرير الذهبي له في التصحيح وليس هو منه بسديد مع تعقبه هو وغيره كالصدر المناوي له بأن فيه أبان بن إسحاق . قال الأزدي تركوه لكن وثقه العجلي عن الصباح بن مرة . قال في الميزان : والصباح واه وقال المنذري رواه الترمذي وقال غريب فعرفه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح قال - أعني المنذري - وأبان فيه مقال والصباح مختلف فيه وتكلم فيه لرفعه هذا الحديث وقالوا : الصواب موقوف والترمذي قال لا يعرف إلا من هذا الوجه ." (١)

" ١٧٧٧ - (إن الله تعالى لم يأمرنا فيما رزقنا) أي في الرزق الذي رزقناه (أن نكسو الحجارة واللبن) بكسر الباء (والطين) قاله لعائشة رضي الله عنها وقد رآها أخذت غطاء فسترته على الباب فهتكه أو قطعه وفهم منه كراهة ستر نحو باب وجدار لأنه من السرف وفضول زهرة الدنيا التي نهى الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن لا يمد عينيه إليها بقوله ﴿ **ولا تمدن عينيك** ﴾ الآية والكراهة للتنزيه عند جمهور الشافعية لا للتحريم إذا كان غير حرير خلافا لبعضهم وليس في قوله لم يأمرنا بذلك ما يقتضي التحريم إذ هو إنما يبغي الوجوب والندب

(م د) كلاهما في اللباس (عن عائشة) ظاهر صنيع المؤلف أنه مما تفرد به مسلم عن صاحبه وهو ذهول فقد خرجه البخاري أيضا في اللباس وهو في مسلم مطولا ولفظه عن زيد بن خالد عن أبي طلحة سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل قال أي زيد فأتيت عائشة رضي الله عنها فقلت هذا يخبرني أن النبي صلى الله عليه و سلم قال كذا فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر ذلك قالت لا ولكن سأحدثكم بما رأيت رأيته خرج في غزاة فأخذت نمطا فسترته على الباب فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهة في وجهه فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال إن الله إلخ ." (٢)

" والخيلاء (ونظر في دنياه إلى من هو فوقه) أي من أصحاب المال والجاه وأورثه الحرص والأمل والرياء (فأسف) بكسر السين أي حزن (على ما فاته منه) أي من المال وغيره بعدم وجوده أو بحصول فقده وقد قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم (لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا) لعدم صدور واحد منه بل قام بضديهما من الكفران والجزع والفزع باللسان والجنان

---

(١) فيض القدير، ٤٨٧/١

(٢) فيض القدير، ٢٥٤/٢

قوله (حدثنا موسى بن حزام) بزاي الترمذي أبو عمران نزيل بلخ ثقة فقيه عابد من الحادية عشرة (أخبرنا علي بن إسحاق) السلمي مولاهم المروزي أصله من ترمذ

ثقة من العاشرة

قوله (هذا حديث غريب) في سنده المثنى بن الصباح وهو ضعيف كما عرفت

[٢٥١٣] قوله (انظروا إلى من هو أسفل منكم) أي في أمور الدنيا (ولا تنظروا إلى من هو فوقكم) فيها (فإنه) أي فالنظر إلى من هو أسفل لا إلى من هو فوق (أجدر) أي أحرى (أن لا تزدروا) أي بأن لا تحتقروا

والازدراء الاحتقار فكان أصله الازتراء فأبدلت التاء بالدال (نعمة الله عليكم) فإن المرء إذا نظر إلى من فضل عليه في الدنيا استصغر ما عنده من نعم الله فكان سببا لمقته وإذا نظر للدون شكر النعمة وتواضع وحمد

فينبغي للعبد أن لا ينظر إلى تجمل أهل الدنيا فإنه يحرك داعية الرغبة فيها ومصداقه **ولا تمدن عينيك** إلى ما منعتا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا

قوله (هذا حديث صحيح) وأخرجه أحمد ومسلم وبن ماجه ." (١)

"وجل) أن ينفعه بها، كما أن اليقين بالرجوع إلى الله (عز وجل) يجعل العبد في أعماله كلها متبعا للرسول – صلى الله عليه وسلم – غير مبتدع ولا مبدل؛ لأن الله (عز وجل) لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا صوابا، قال (تعالى):– ((قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)) [الكهف:١١٠].

٢ – الحذر من الدنيا والزهد فيها والصبر على شدائدها وطمأنينة القلب وسلامته:

إذا أكثر العبد ذكر الآخرة، وكانت منه دائما على بال، فإن الزهد في الدنيا والحذر منها ومن فتنتها سيحلان في القلب، وحينئذ لا يكترث بزهرتها، ولا يحزن على فواتها، ولا يمدن عينيه إلى ما متع الله به بعض عباده من نعم ليفتنهم فيها، قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (١٣١) سورة طه، وهذه الثمرة يتولد عنها بدورها ثمار أخرى مباركة طيبة منها: القناعة، وسلامة القلب من الحرص والحسد والغل والشحناء؛ لأن الذي يعيش بتفكيره في الآخرة وأنبائها

---

(١) تحفة الأحوذي، ٧/١٨٢

العظيمة لا تهمه الدنيا الضيقة المحدودة، مع ملاحظة أن إيمان المسلم باليوم الآخر وزهده في الدنيا لا يعني انقطاعه عنها وعدم ابتغاء الرزق في أكنافها؛ يقول (تعالى): ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (٧٧) سورة القصص

كما يتولد أيضا من هذا الشعور، الراحة النفسية والسعادة القلبية ، وقوة الاحتمال والصبر على الشدائد والابتلاءات، ذلك للرجاء فيما عند الله (عز وجل) من الأجر والثواب، وأنه مهما جاء من شدائد الدنيا فهي منقطعة ولها أجل، فهو ينتظر الفرج ويرجو الثواب الذي لا ينقطع يوم الرجوع إلى الله (عز وجل)،قال (تعالى): ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما﴾ (١٠٤) سورة النساء، وما إن يفقد القلب هذه المعاني حتى يخيم عليه الهم والتعاسة، ومن هنا ينشأ القلق والانزعاج والضيق والحزن، أما." [١]

"الأفلاك ونواميس الوجود؛ فيحس بالأنس والراحة والتجاوب مع كل كائن في الوجود (١).

١٦ - الذين آمنوا بالله واليوم الآخر لا خوف عليهم ولا هم يحزنون:

قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢)﴾ [البقرة/٦٢] ، و قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٩)﴾ [المائدة/٦٩]

فهؤلاء لا يخافون على مستقبلهم، فقد ضمنه لهم من خلقهم، ولا يحزنون على نعمة أو لعاعة تفوتهم في هذه الدار، رجاء ما عند اللہ تعالى من ثواب عظيم ادخره لهم. قال تعالى: **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (١٣١) سورة طه

١٧ - الإيمان بالله واليوم الآخر، مع الأخذ بلوازمهما يجعل البلاد آمنة من غضب الله ومقته، ويرزقها من الطيبات:

قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم

---

(١) أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود ص/١٨٠

الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير (١٢٦)﴾ [البقرة/١٢٦]

ومفهوم الآية المخالف ، أن من لم يكن كذلك، سيعيش في قلق وخوف ورعب، وسيحرمه الله تعالى خيرات كثيرة، بسبب عدم إيمانه بالله واليوم الآخر مع العذاب الشديد، والمصير المحتوم الذي ينتظره يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إنهم كانوا لا يرجون حسابا (٢٧) وكذبوا بآياتنا كذابا (٢٨) وكل شيء أحصيناه كتابا (٢٩) فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا (٣٠) [النبأ/٢٧ - ٣٠]﴾.

١٨ - الإيمان بالله واليوم الآخر هو منبع كل خير، وسبب كل بر:

---

(١) - في ظلال القرآن للسيد قطب - ت- علي بن نايف الشحود [ص ٣٥٢٦]." [(١)]

"واحتجوا بقوله تعالى: الذي أحسن كل شيء خلقه [السجدة: ٧] وقوله: صنع الله الذي أتقن كل شيء [النمل: ٨٨] وقوله: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت [الملك: ٣]، والعارف عندهم هو الذي يصرح بإطلاق الجمال، ولا يرى في الوجود قبيحا، وهؤلاء قد عدمت الغيرة لله من قلوبهم، والبغض في الله، والمعاداة فيه، وإنكار المنكر، والجهاد في سبيله وإقامة حدوده، ويرى جمال الصور من الذكور والإناث من الجمال الذي يحبه الله فيتعبدون بفسقهم فيها، وإن كان اتحاديا قال: هي مظهر من مظاهر الحق، ويسميها المظاهر الجميلة.

وقابلهم الفريق الثاني فقالوا: قد ذم الله سبحانه جمال الصور، وتمام القامة والخلقة، فقال عن المنافقين: وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم [المنافقون: ٤] وقال: وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا [مريم: ٧٤] أي أموالا ومناظر. قال الحسن: هو الصور.

وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) (١). قالوا: ومعلوم أنه لم ينف نظر الإدراك، وإنما نفى نظر المحبة. قالوا: وقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وآنية الذهب والفضة، وذلك من أعظم جمال الدنيا، وقال: **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه [طه: ١٣١] وفي الحديث: ((البذاذة من الإيمان)) (٢). وقد ذم الله المسرفين، والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس. وفصل النزاع أن يقال: الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم. فالمحمود

---

(١) أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود ص/٢٠٢

منه ما كان لله وأعان على طاعة الله، وتنفيذ أوامره، والاستجابة له، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود. وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه، فإن ذلك محمودا إذا تضمن إعلاء لكلمة الله، ونصر دينه، وغيظ عدوه، والمذموم منه ما كان للدنيا والرئاسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه. فإن كثيرا من النفوس ليس لها هم في سوى ذلك، وأما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين القصدين، وتجرد عن الوصفين. والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين: فأوله معرفة، وآخره سلوك، فيعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله في شيء، ويعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالإخلاص والمحبة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه، وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ في الشعور المكروهة والختان وتقليم الأظافر، فيعرفه بصفات الجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك (٣). منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى لمشرف بن علي الغامدي -بتصرف – ص: ٤٦٧

---

(١) رواه مسلم (٤٦٥١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤١٦١)، وابن ماجه (٣٣٤٠)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٥/ ٢٢٧). من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبو داود، وقال ابن حجر في ((فتح الباري)) (١٠/ ٣٨١): صحيح، وصحح إسناده السفاريني في ((شرح كتاب الشهاب)) (٢٨١).

(٣) ((الفوائد)) (ص: ٣٢٣ - ٣٢٧).." [1]

"المطلب الأول: نعيم أهل الجنة

فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا

متاع الدنيا واقع مشهود، ونعيم الجنة غيب موعود، والناس يتأثرون بما يرون ويشاهدون، ويثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي، فكيف إذا كان الموعود ينال بعد الموت؟ من أجل ذلك قارن الحق تبارك وتعالى بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبين أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان فضل الآخرة، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها. وتجد ذم الدنيا

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣١٩/٢

ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار [آل عمران: ١٩٨]، وقوله: **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى [طه: ١٣١]. وقال في موضع ثالث: زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد [آل عمران: ١٤ – ١٥]. ولو ذهبنا نبحث في سر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا لوجدناه من وجوه متعددة:

أولا: متاع الدنيا قليل، قال تعالى: قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى [النساء: ٧٧].

وقد صور لنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال: ((والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار بالسبابة – في اليم، فلينظر بم ترجع)) (١). ما الذي تأخذه الإصبع إذا غمست في البحر الخضم، إنها لا تأخذ منه قطرة. هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة. ولما كان متاع الدنيا قليلا، فقد عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل [التوبة: ٣٨].

(١) رواه مسلم (٢٨٥٨).." [١]

"فمشركو قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم، وكانوا يقولون ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ [الأنعام: ٥٣] أي: ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير لو كان ما صاروا إليه خيرا ويدعنا، كقوله: ﴿لو كان خيرا ما سبقونا إليه﴾ [الأحقاف: ١١] وهذا من اغترارهم بالدنيا لعظمتها في أنفسهم ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ [الأنعام: ٧٠] فبين تعالى أن الحياة الدنيا غرتهم فظنوا أن عطاء الله تعالى يدل على رضاه عنهم – كما مر معنا – كما قال تعالى: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾ [سبأ: ٣٥].

وقد بين شرعنا حقارة الدنيا وأنها ليست بشيء وأن المقياس الصحيح هو العلم والعمل، وهذا ينبغي أن ينتبه

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١١٩/٥

إليه، لا تحكم على شخص لا تزكي شخصا إلا بناء على العلم والعمل، والعلم وحده لا يكفي حتى يقرنه بالعمل، وأما إطلاق الكلام وإطلاق التزكيات هذا ليس من الشرع في شيء، إن الميزان هو العلم والعمل، قال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ ... [الحديد: ٢٠] أي: لمن اغتر بها ولم يعمل لآخرته، وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [فاطر: ٥] الشيطان، وقال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١] والآيات في بيان حقارة الدنيا كثيرة جدا في القرآن. قال - صلى الله عليه وسلم -: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء». فليس المقياس هو الدنيا، وليس المقياس إلا العلم والعمل الصالح.." (١)

"(٦) ومن مظاهر موالاة الكفار مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها - وقد فسر قوله سبحانه وتعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أي ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

(٧) ومن مظاهر موالاة الكفار مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية، بل ذلك مطلوب قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في الأصل للمسلمين قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾؛ وقال تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾، وقال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ فالواجب أن يكون المسلمون سباقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، يجب أن يكون لهم مصانع وتقنيات.." (٢)

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/١٤

(٢) الولاء والبراء في الإسلام - البركاتي، أبو عاصم البركاتي ص/١٤

"توليهم وقد حكم تعالى بأن من تولاهم فإنه منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع الولاية والبراءة أبدا، والولاية إعزاز فلا تجتمع ومعاداة الكافر أبدا» (١).

٥ – الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين، لأن الهجرة بهذا المعنا ولهذا الغرض واجبة على المسلم، لأن إقامته في بلاد الكفر تدل على موالاة الكافرين، ومن هنا حرم الله إقامة المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة.

٦ – التأريخ بتاريخهم، خصوصا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم كالتاريخ الميلادي.

٧ – مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة أو الإعجاب بمهاراتهم وأخلاقهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد، قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقا﴾ [طه: ١٣١]، وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات، والأساليب العسكرية، بل ذلك مطلوب.

٨ – مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها (٢).

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/ ٢٤٢).ورغم وضوح هذا الأمر سئل الدكتور حمدي حسن المتحدث الإعلامي باسم نواب الإخوان المسلمين الـ ٨٨في مجلس الشعب المصري . سئل .: يتهمكم البعض بعدم الوضوح في مسألة الأقباط خاصة في مسألة ترشيح قبطي لمنصب رئاسة الجمهورية؟ فأجاب: «نحن نقول: إن الأصل عندنا هو المواطنة، ولا فارق بين مواطن مصري وآخر. وإذا ترشح قبطي لمنصب الرئاسة واختاره الشعب فنحن مع خيار الشعب» (الأسرة العربية العدد٢٩٢٤، ٩رمضان١٤٢٧هـ٢/ ١٠/٢٠٠٦)

ويعجب المرء حينما يجد نيجيريا ذلك البلد المسلم يحكمها نصراني رغم أن أكثر من٩٠٪ من سكانها مسلمون.

وما هذا إلا ثمرة من ثمار الديمقراطية الخبيثة التي تسوي بين المسلم والكافر.

(٢) والعجيب أن يذكر د. محمد جمال حشمت مرشح الإخوان المسلمين عن دائرة دمنهور . في إحدى نشرات دعاياته الانتخابية لانتخابات (عام ٢٠٠٥) . أن من إنجازاته في الفترة التي قضاها في مجلس الشعب: مشاركة الإخوة الأقباط في جميع مناسباتهم الدينية.." [١]

---

(١) الرد على اللمع، شحاتة صقر ص/١٨٢

"المثقفين، المنادين سرا وجهارا بالعلمانية طريقة للحياة، وبالديمقراطية وسيلة للحكم والتشريع، في مقابل إقصاء الإسلام وإبعاده.

ومن مظاهر موالاة الكفار كذلك: مودتهم ومحبتهم واحترامهم وتقديرهم، وقد نهى القرآن الكريم عن بذل المودة والمحبة لغير المسلم.

ولو كان أقرب قريب: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم،) ويقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون).

إذا فالعلاقة الأصلية التي تربط المسلم بغيره من الناس هي رابطة الدين والعقيدة، أما رابطة النسب والسبب فلا قيمة لها تذكر، إلا إذا صحت العقيدة وخلص الإيمان لله رب العالمين.

ومن مظاهر موالاة الكفار: الركون إليهم والاطمئنان لهم، كالسفر إلى بلادهم بدعوى النزهة والسياحة، أو تعلم اللغة الأجنبية لغير حاجة، غير ذلك من الدعاوى التي لا تغني عند الله فتيلا.

وفي هذا يقول سبحانه: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون).

ويقول سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا).

ومن مظاهر موالاة الكفار: الإعجاب بهم وبدنياهم الفانية وطرائق حياتهم، وما وصلوا إليه من ترف وبطر وأشر، وفي هذا يقول الله تعالى: (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد).

ويقول سبحانه: (**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى).." [1]

"والثاني أن يحفظ فرجه حتى لا يقع بصر أحد عليه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

٢٠١ - «لعن الله الناظر والمنظور إليه» .

فالواجب على المسلم أن يتعاهد نفسه في وقت الاستنجاء لكيلا ينظر إليه من لا يحل له النظر إليه من

---

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٤٩٢

الرجال والنساء.

وقوله: وغضوا أبصاركم يعني غضوا أبصاركم عن عورات الناس، وعن النظر إلى محاسن المرأة التي لا يحل له النظر إليها، وعن النظر إلى الدنيا بعين الرغبة.

كما قال الله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ [طه: ١٣١] ، وقوله: وكفوا أيديكم أي عن الحرام من الأموال وغير ذلك.

وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه ، أنه قال: إن الرجل كان يتكلم بالحكمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات.

يعني الرجل إذا كان يكذب كان ذلك دليلا على نفاقه.

فالواجب على المسلم أن يمنع نفسه من علامات المنافقين، فإن الرجل إذا تعود الكذب يكتب عند الله منافقا، ويكون عليه وزره ووزر من اقتدى به

٢٠٢ – قال: حدثنا أبو منصور بن عبد الله الفرائضي ، بسمرقند بإسناد، عن سمرة بن جندب ، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة أقبل علينا بوجهه، فقال لأصحابه: «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟» فيقص عليه ما شاء الله أن يقص رؤياه عليه، وإنه قال لنا ذات غداة: «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا» ؛ فقلنا: لا.

قال: " لكني أنا رأيت الليلة أنه أتاني اثنان وأنهما أخذا بيدي فقالا لي: انطلق فانطلقت معهما، فأخرجاني إلى أرض مستوية، فأتينا على رجل مضطجع وآخر قائم عليه بصخرة، فإذا هو يهوي بالصخرة على رأسه فيثلغ بها رأسه، فيتدهده الحجر فيتبعه ويأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، فيعود عليه رجل مستلق على قفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، فإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشق شدقه حتى يبلغ إلى قفاه، ومنخره، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ذلك فلا يفرغ منه حتى يصح الجانب الأول كما كان، فيعود إليه فيفعل به مثل ذلك.." [(١)]

"الدنيا والآخرة، أو يكون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله تعالى فيكون قد رضي بلاشيء وآثره على من ليس كمثله شيء كوصف من أخبر الله تعالى عنه قي قوله تعالى: (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون) يونس: ٧ فيستحق الإعراض من الحبيب ويستوجب المقت

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/١٥٧

من القريب كمثل من أمر الله تعالى بالإعراض عنهم وترك القبول منهم إذ يقول عز من قائل: (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) (ذلك مبلغهم من العلم) النجم: ٢٩ - ٣٠ وقال عز وجل: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الكهف: ٢٨ أي مجاوزا لما نهي عنه مقصرا عما أمر به وقيل: مقدما إلى الهلاك، وقد نهى الله تعالى رسوله أن يوسع نظره إلى أهل الدنيا مقتا لهم وأخبر أن ما أظهره من زهرة الدنيا فتنة لهم وأعلمه أن القناعة والزهد خير وأبقى، تنتظم هذه المعاني في قوله تعالى: (ولاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) طه: ١٣١، قيل: القناعة وقيل: فوت يوم بيوم ويقال: الزهد في الدنيا وهذا الوجه أشبه بكتاب الله تعالى بدليل قوله تعالى: (والآخرة خير وأبقى) الأعلى: ١٧ وكذلك قوله تعالى: (ورزق ربك خر وأبقى) طه: ١٣١ يعني الزهد في الدنيا، وقال أيضا في مثله: (بقية الله خير لكم) هود: ٨٦ يعني القناعة وقيل: الحلال، وفي خبر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسه عندهم لأنها تجمع الظهر واللحم واللبن والولد والوبر؛ وهي الرواحل من الإبل التي ضرب النبي عليه السلام بها مثل خيار الناس فقال عليه السلام الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة أي الإبل كثيرة والراحلة التي تجمع هذه الأوصاف الخمسة من الإبل قليل وهي العشار التي ذكر الله تعالى في قوله: (وإذا العشار عطلت) التكوير: ٤ أي تركها أهلها وهربوا لهول قيام الساعة شغلا بنفوسهم عنها قال: فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له: يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لما تنظر إليها؟ فقال: قد نهاني الله تعالى عن ذلك، ثم تلا هذه الاية: (**لا تمدن عينيك**) الحجر: ٨٨، وفي حديث عمر رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: (والذين يكنزون الذهب والفضة) االتوبة: ٤٣، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تبا للدينار والدرهم قال: فقلنا نهانا الله تعالى عن كنز الذهب والفضة فأي شيء ندخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله تعالى بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقرا لا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا. وروينا حديثا مرسلا عن علي بن معبد عن علي بن أبي طلحة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف، وحتى." (١)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/ ٤٢٥

"حدثنا أبو سليمان قال: حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار قال: حدثنا عباس الدوري قال: حدثنا أبو النضر قال: حدثنا أبو خيثمة زهير بن معونة قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: " قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ [المائدة: ١٠٥]

-[٢٨]- وإنكم تضعونها على غير مواضعها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﷺ«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» قال أبو سليمان ومن مناقب العزلة السلامة من آفات النظر إلى زينة الدنيا وزهرتها والاستحسان لما ذمه الله تعالى من زخرفها وعابه من زبرج غرورها وفيها منع النفس من التطلع إليها والاستشراف لها ومن محاكاة أهلها ومنافستهم عليها قال الله تعالى: **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ [طه: ١٣١] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»." (١)

"**﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾
وقال النبي صلى الله عليه وسلم (انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر ألا تزدرى نعم الله عليك)

ولا تهتم بشيء من الدنيا فإنه عن يحيى بن معاذ أنه قال الدنيا عدم لا تساوي غم ساعة فكيف بغم طول عمرك فيها مع قليل نصيب منها

طالب نفسك بما هو أولى

وطالب نفسك في كل وقت بما هو أولى بك في ذلك الوقت فإن سهل ابن عبد الله قال وقتك أعز الأشياء عليك فاشغله بأعز الأشياء

وقال بعضهم وأعز شيء لك قلبك ووقتك منيعتهما جميعا

واترك مالا يعنيك من الأفعال والأقوال والحركات والسعي فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)

عليك بالإخلاص

---

(١) العزلة للخطابي الخطابي ص/٢٧

والزم الإخلاص في جميع أفعالك وطاعتك وتصرفاتك لأن الله تعالى يقول." [١]

"يقرأ عليك السلام ويقول لك: اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١] . فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – مناديا ينادي: من لم يتأدب بأدب الله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات» .

وقيل: مكتوب في بعض الكتب: ردوا أبصاركم عليكم فإن لكم فيها شغلا. وقال مجاهد في تأويل قوله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧] قال: بالقناعة.

وقال أكثم بن صيفي: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة. وقال بعض السلف: قد يخيب الجاهد الساعي، ويظفر الوادع الهادي. فأخذه البحتري فقال:

لم ألق مقدورا على استحقاقه ... في الحظ إما ناقصا أو زائدا

وعجبت للمحدود يحرم ناصبا ... كلفا وللمجدود يغنم قاعدا

ما خطب من حرم الإرادة قاعدا ... خطب الذي حرم الإرادة جاهدا

وقال بعض الحكماء: إن من قنع كان غنيا وإن كان مقترا، ومن لم يقنع كان فقيرا وإن كان مكثرا.

وقال بعض البلغاء إذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة، وإذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فمن أطاع الله – عز وجل – عن نصره، ومن لزم القناعة زال فقره. وقال بعض الأدباء: القناعة عز المعسر، والصدقة حرز الموسر.

وقال بعض الأدباء:

إني أرى من له قنوع ... يدرك ما نال أو تمنى

والرزق يأتي بلا عناء ... وربما فات من تعنى

والقناعة قد تكون على ثلاثة أوجه. فالوجه الأول: أن يقنع بالبلغة من دنياه، ويصرف نفسه عن التعرض." [٢]

"ولما كانت زهرات الدنيا رائقة الظاهر خبيثة الباطن نهى الله تعالى عن الاغترار بها

فقال: (**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) .

والله تعالى يؤيد بفضله من يشاء وهو الباري.

---

(١) وصية الشيخ السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٤٤

(٢) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٢٢٦

ماهية الإنسان وكيفية تركيبه

الإنسان مركب من جسم مدرك بالبصر، ونفس مدركة بالبصيرة، وإليهما أشار تعالى بقوله: (إني خالق بشرا من طين (٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٧٢)

فالإشارة بالروح إلى النفس، وإضافته تعالى الروح إليه تشريفا لها، وعنى بها النفس المذكورة في قوله تعالى: (أخرجوا أنفسكم) ، ووجود النفس في

الإنسان لا يحتاج إلى أن يدل عليه لوضوح أمره، بل ينبه الجاحد لها والغافل عنها بأنها هي التي بحصولها في الجسم تحصل الحياة والحركة والحس والعلم والرأي والتمييز،

ويكون الجسم متصرفا بها وحاملا ومستحسنا ومستطابا ومحببا، وبفقدها عدم هذه الأشياء فيصير جيفة يحتاج إلى عدة تحمله، وهي محل الأعراض الروحانية كالجسم." [١]

"الفائدة الخامسة أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس

فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والإملاكات وفيها تضييع الأوقات وتعرض للآفات ثم قد تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير ولا يمكن إظهار كل الأعذار فيقولون له قمت بحق فلان وقصرت في حقنا ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله إذا صح على تقصيره

ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا

وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء

وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام

وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فإن من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى إلا الخيبة في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ص/٧٢

ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم (١)

وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت

وحكى أن المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما رأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾ ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا مقلا

فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن

فإن من شاهد زينة الدنيا فأما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر الى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا أما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له وأما في الآخرة فإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه

ولذلك قال ابن الإعرابي

إذا كان باب الذل من جانب الغنى ... سموت الى العلياء من جانب الفقر

أشار الى أن الطمع يوجب في الحال ذلا

الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم وأخلاقهم فإن رؤية الثقيل هي العمى الأصغر

قيل للأعمش مم عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلاء

ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر ﴿أن من﴾

---

(١) حديث انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة." (١)

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٢٣٥

"وتكون معك أينما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت

وروي أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني إني قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم إذن يا حبيبي

ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها

وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلى إلى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمدا سلفنى أو بعني دقيقا إلى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله إلا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله إني لأمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لأديت إليه اذهب بدرعي هذا إليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ (١) الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس (٢) وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (٣)

وقال كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين

وقال عطاء الخراساني مر نبي من الأنبياء بساحل فإذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء وفي لفظ آخر فقلت أين الأغنياء حبسهم الجد وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل

النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران (٤) وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر (٥) وفي الخبر آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه (٦) وفي حديث آخر رأيته يدخل الجنة زحفا (٧)

---

(١) حديث أبي رافع ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر الحديث فى نزول قوله تعالى ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أخرجه الطبرانى بسند ضعيف

(٢) حديث الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبرانى من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدى فى الكامل هكذا

(٣) حديث من أصبح منكم معافى فى جسمه الحديث أخرجه الترمذى وقد تقدم

(٤) حديث اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء الحديث تقدم فى آداب النكاح مع الزيادة التى فى آخره

(٥) حديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن خفيف الشيرازى فى شرف الفقر وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا

(٦) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان الحديث تقدم وهو فى الأوسط للطبرانى بإسناد فرد وفيه نكارة

(٧) حديث رأيته يعنى عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف." [١]

"لا نفتي في مسألة إلا رد علينا يعني أبا حنيفة فقال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو لكن اعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم (١)

قال ابن مسعود رحمه الله قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل قال وما عرفت

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٩٥

أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنأ من المال وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعناء
والحاجة إلى التذلل للسلاطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استعجال حظ آخر للنفس بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من أن يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره
أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا وصفوا لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى وأن ما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته إلى قوله
تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل معناه أيهم أزهد فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة فوصف الكفار

بذلك فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا

---

(١) حديث قال المسلمون إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم الآية لم أقف له على أصل." [١]

"الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء فقال صلى الله عليه وسلم إن كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون (١) حديث جابر من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها شيئا وجبت له الجنة لم أره من حديث جابر وقد رواه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف (٢) حديث السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرجه ولده في مسنده (٣) حديث السخي قريب من الله الحديث أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد

والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة

وروي عن ابن المسيب عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام (٤) وروي أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم لأنها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى ﴿وإذا العشار عطلت﴾ قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لم لا تنظر إليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به﴾ الآية (٥) وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم لله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة إن الدني، لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصير عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله مالي بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢١٩/٤

إلا بالله (٦) وروي عن عمر رضي الله عنه أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها

---

(١) حديث لما قدم عليه بعض الوفود قالواإنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم الحديث رواه الخطيب وابن عساكر في تاريخهما بإسناد ضعيف من حديث جابر فجعل الزهد تكملة لإيمانهم

وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة فقام إليه علي كرم الله وجهه فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله مالا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها وإتباعا لها وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة

(٢) وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك

(٣) وقال أيضا السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار

(٤) حديث أبي ذر من زهد الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه الحديث لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا ولابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكر وقال الذهبي باطل ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أيوب من أخلص لله وكلها ضعيفة

(٥) حديث مر في أصحابه بعشار من النوق حفل الحديث وفيه ثم تلا قوله تعالى ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ الآية لم أجد له أصلا

(٦) حديث مسروق عن عائشة قلت يا رسول الله ألا تستطعم ربك فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع الحديث وفيه يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق مختصرا يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروهها

والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ومجالد مختلف في الاحتجاج به." [١]

"المعنى قيل للنبي – صلى الله عليه وسلم -: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به – إلى قوله – خير وأبقى﴾ (١) حديث أبي الهيثم بن التيهان أدخله مالك رضي الله عنه بلاغا (٢) وهو صحيح مسند، وكان مقصده فيه أن يبين معيشة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه فإنهم كانوا إذا وجدوا تمتعوا، وإذا فقدوا صبروا، وإذا رأوا ذا الحاجة عادوا عليه بما في أيديهم حتى يعودا مثلهم، وهذا أمر لا طاقة لأحد به وأنت ترى المحتاجين إلى الغذاء العراة من اللباس، وبأيدي الخلق من الأموال ما لو أخرجوا منها مالا يعاش به ستروهم وأشبعوهم ولكن الله تعالى قبض أيديهم حتى يحكم فيهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيي عن بينة، وفيه من السنة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما غلبته الحاجة خرج ليستطعم كما فعل أخوه موسى عليه السلام مع الخضر حين أتيا أهل قرية استطعما أهلها (٣). ورأى الصوفية الصبر على القضاء حتى يأتي الرزق قسرا، وقد جربوا ذلك فوجدوه وجاءهم كما أرادوه. وقيل لبعضهم وقد حض على التفويض والتوكل، ونهى أن يتعرض أحد للطلب أو يعلم بشرا بالحاجة، قال له بعضهم فادخل في بيت واطمس عليك الباب وافتح في أعلاه كوة حتى ترى إن نزل عليك منها رزق. قال: والله فعلت ذلك تسعة أشهر، والتجربة تقع في ثلاثة أيام وهذا الذي قالوه حق في دين الله تعالى وفي سيرته وحكمه ولكنها منزلة رفيعة لا تتأتى لكل أحد، وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أحق الخلق بها وأقدرهم عليها وأولاهم لرفيع مرتبته بها وكذلك موسى عليه السلام، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعزي الخلق بهم أن يسن السنة بهم لما علم من ضعف توكلهم، وقلة صبرهم والخروج عند الحاجة يكون على وجهين، إما بالتعرض من غير سؤال كما فعل أبو هريرة رضي الله عنه حين خرج يستقرئ القرآن لعله يفهم في صوته الجوع صيانة لماء الوجه مع التوسل بالأعمال بالحاجة فلم يفهم أحد ذلك منه ممن تعرض له إلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإما أن يخرج إلى شخص معين يغلب على ظنه أنه يرفع حاجته، وإما أن يعرض نفسه على كل أحد وهي

---

(١) سورة طه آية (١٣١).

(٢) مالك إنه بلغه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دخل المسجد فوجد فيه أبا بكر الصديق وعمر

---

[١] إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٢٢١

بن الخطاب فسألهما فقالا: أخرجنا الجوع فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (وأنا أخرجني الجوع) فذهبوا إلى أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري فأمر لهم بشعير عنده يعمل وقام وذبح لهم شاة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نكب عن ذات الدر فذبح لهم شاة واستعذب لهم ماء فعلق في نخلة ثم أتوا بذلك الطعام فأكلوا منه وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لتسألن عن نعيم هذا اليوم) الموطأ ٢/ ٩٣٢، ورواه مسلم في كتاب الأشربة باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، حديث (٢٠٣٨) من رواية أبي هريرة.

(٣) قال تعالى: ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها﴾ الكهف آية (٧٧).." [1]

"الرابعة عشرة: نهاه عن الفتن والميل إليها، لقوله: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ الآية (١).

الخامسة عشرة: أوجب عليه إذا رأى شيئا يعجبه أن يقول: "لبيك إن العيش عيش الآخرة". فكان يقولها في حالة الشدة والرخاء (٢)، فقال يوم الخندق وأصحابه في تعب وشدة الجوع: "اللهم إن العيش عيش الآخرة" (٣).

وقال يوم الفتح لما رآهم مسرورين: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة" (٤).

وكذلك يقول كل من عرف الآخرة ونساءها ونعيم عيشها، وحقارة الدنيا وذمها.

السادسة عشرة: كلف وحده من الجهاد ما كلف الناس أجمعين، لقوله: ﴿جاهد الكفار والمنافقين﴾ الآية (٥)، وما حمل من تبليغ الرسالة وعلم الشريعة (٦).

السابعة عشرة: حرم عليه أن يأكل متكئا (٧)؛ لأنه أكل مرة وهو متكئ فنزل عليه جبريل - صلى الله عليه وسلم - وقال له: "أهكذا يأكل العبيد يا محمد، تأدب بآداب العبودية" (٨).

---

(١) الحجر: ٨٨، وانظر نحو هذه الخصيصة في غاية السول: ١٤٠، واللفظ المكرم: ١/ ٢٣٩ - ٢٤٥.

(٢) في القول بوجوبه - صلى الله عليه وسلم - نظر، كما صرح بذلك الخيضري في اللفظ المكرم: ١/ ١٣٨، وانظر غاية السول: ١٠٦، والخصائص الكبرى: ٢/ ٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٩٨)، ومسلم (١٨٠٤) عن سهل بن سعد.

(٤) لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة لدينا، ونفى الخيضري في اللفظ المكرم: ١/ ١٣٨ أن يكون النبي

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/١١١٩

- صلى الله عليه وسلم - قال نحو هذا في فتح مكة، يقول رحمه الله: "فإن القائل بالرجوب يحتاج إلى التزام صدور ذلك من النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل حالة رأى فيها ما يعجبه، ولم ينقل ذلك، فقد تحققنا له - صلى الله عليه وسلم - أحوالا رأى فيها ما يحجبه ويسره، مثل يوم بدر ويوم فتح مكة وغير ذلك من المراطن الشريفة المنقول فيها حالات سروره ولم ينقل ذلك، ولو كان واجبا عليه لقاله".

(٥) التوبة: ٧٣.

(٦) انظر: غاية السول: ١٠٧، واللفظ المكرم: ١/ ١٤٣ - ١٤٥.

(٧) أخرج البخاري (٥٣٩٩) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا آكل وأنا متكئ". قال ابن حجر في تلخيص الحبير: ٣/ ٢٦٨ "لم يثبت دليل الخصوصية في ذلك، وإنما هو أدب من الآداب، وممن صرح بأنه كان غير محرم عليه ابن شاهين في ناسخه". قلنا: انظر ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين: ٤٧٧، وانظر أيضا: غاية السول: ١٣٠ - ١٣١، واللفظ المكرم: ١/ ٢١٠ - ٢١٤، والخصائص الكبرى: ٢/ ٣٣٥.

(٨) لم نعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ، وشهد له ما أخرجه ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه: ٤٧٦ عن أنس قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - متكئا على طعام له يأكل، إذ جاءه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الاتكاء من النعمة، قال: فاستوى قاعدا عندها ثم قال: "إنما أنا =." [١]

"وليس هذا بمخالف لشريعتنا؛ فإن من الناس من يصلحه هذا فيندب إليه، ومنهم من يصلحه غير هذا فيأخذ به، والله أعلم.

تنبيه (١):

قوله: "فإنكم لن تقوموا بشكره" يعارض قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا قال العبد على طعامه: الحمد لله، فقد شكر تلك النعمة" (٢) هذا مما يعارض حديث عيسى، وحديث جابر أنه قال: "أفضل الشكر الحمد لله" (٣).

وقوله: "فإنكم لن تقوموا بشكره" وكيف يقوم بشكر فرضه؟ فإنه يقال: إنه لن يصل إليه حتى يدور على يد ثلاث مئة وستين صانعا، أولهم ميكائيل وآخرهم الخباز.

وقوله: "لن تقوموا بشكره" كلام صحيح (٤)؛ فإن سد الجوع وستر العورة على الإطلاق والجملة، بأول درجات الحاجة نعمة عظيمة، إذا أراد المرء أن يعلم مقدارها فلينظرها في سواه، وليقدرها في نفسه، فكيف

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ١٩٩/٧

أن يضم إلى ذلك الإسراف، حتى تنكسر الشهوة في لذة الطعام وفي ريشة الثياب في التمتع باللباس، فإذا استرسل العبد على ذلك هلك ولم يتأت له أمل؛ فإنه أمد لا غاية له، فلهذا المعنى قيل للنبى - صلى الله عليه وسلم -: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ الآية (٥).

الطريق الثاني (٦): في الكلام على زهده

(١) الفقرة الأولى من هذا التنبيه مقتبسة من الاستذكار: ٢٦/ ٣٢١.

(٢) لم نجد هذا الحديث بهذا اللفظ.

(٣) لم نجده بهذا اللفظ من حديث جابر، والذي وجدناه ما رواه الترمذي في جامعه الكبير (٣٣٨٣) عن جابر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول:"أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله" قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"كما أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم: ١/ ٤٩٨.

(٤) انظر الكلام التالي في القبس: ٣/ ١١١٨ - ١١١٩.

(٥) طه: ١٣١.

(٦) هذا الطريق مقتبس من المقدمات الممهدات: ٣/ ٣٩٣ - ٣٩٦ مع تصرف يسير.." [1]

"ويحك إنما يكون الجهاد بين الأمثال ولذلك منع من قتل النساء والصبيان فأي قدر للدنيا حتى يحتاج قلبك إلى محاربة لها أما علمت شهواتها جيف ملقاة أفيحسن بباشق الملك أن يطير عن كفه إلى ميتة مهلا **لا تمدن عينيك** لو علمت أن لذة قهر الهوى أطيب من نيله لما غلبك أما ترى الهرة تتلاعب بالفأرة ولا تقتلها لبين أثر إقتدارها وربما تغافلت عنها فتمعن الفأرة في الهرب فتثب فتدركها ولا تقتلها إيثارا للذة القهر على لذة الأكل من ذبح حنجرة الطمع بخنجر اليأس أعتق القلب من أسر الرق من ردم خندق الحرص بسكر القناعة ظفر بكيمياء السعادة من تدرع بدرع الصدق على بدن الصبر هزم عسكر الباطل من حصد عشب الذنوب بمنجل الورع طالبت له روضة الإستقامة من قطع فضول الكلام بشفرة الصمت وجد عذوبة الراحة في القلب من ركب مركب الحذر مرت به رخاء الهدى إلى رجاء النجاة من أرسى على ساحل الخوف لاحت له بلاد الأمن إلا عزيمة عمرية إلا هجرة سلمانية جاءت بمركب عمر جنوب المجانبة للحق إلى دار الخيزران فلما فتح له الباب انقلب شمالا مد يده لتناول خمر الفتك فاستحالت في الحال

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٤١٣/٧

خلا جاء وكله كدر فلما دنا من الصفا صفا كان ماء قلبه لما جنى ملحا آجنا فلما تلقاه النذير بالعذاب عذب

(يكون أجاجا دونكم فإذ انتهى ... إليكم تلقى طيبكم فيطيب)

سقم قلب سلمان من معاناة أمراض المجوس فخرج إلى أودية الأدوية فالتقطته يد ظالم وما عرفت فهان على يوسف البيع ليلقى العزيز فبينا هو في نخلة يحترفها قدم مخبر بقدوم الرسول فنزل ليصعد وصاح به حدثني

(نزلوا جبال تهامة فلأجلهم ... يهوى الفؤاد تهامة وجبالها)

(يا صاحبي قفا علي بقدر ... ما أسقي يواكب عبرتي أطلالها)

واعجبا أطلب الشجاعة من حسان وأسأل عن الهلال ابن أم." [1]

"لبعض المباحات فقال ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ الآية ونهاه أن يتبع النظرة الأولى ثانية فقال له ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ مع قوله تعالى في مقام آخر ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾

فإذا لم يحرم أكل الطيبات والتمتع بالزينة إذا كانت من كسب الحلال والنظر في الحسن من التمتع والزينة فكيف يحرم النظر إليها لكن كما قال المشايخ حسنات الأبرار سيئات المقربين

جاء في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح (ما كان لنبي أن يكون له خائنة الأعين) يعني الإشارة بالعين في الأوامر حتى يفصح بها

والإشارة بالعين في الأوامر مباحة لكنه يجري عنها تنزها وتأكيدا لرفع الالتباس وهي مباحة لغير الأنبياء." [2]

"الفائدة الخامسة: أن ينقطع طمع الناس عنك، وطمعك عنهم.

أما طمعهم، فإن رضاهم غاية لا تدرك، فالمنقطع عنهم قاطع لطمعهم في حضور ولائمهم وإملاكاتهم (١)، وغير ذلك.

وقد قيل: من عم الناس بالحرمان رضوا عنه كلهم.

وأما انقطاع طمعك، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا تحرك حرصه، وانبعث بقوة الحرص طمعه، ولا يرى إلا

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٣١٦

(٢) تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ابن خمير السبتي ص/٨٥

الخيبة في أكثر المطامع فيتأذى.

وفى الحديث: "انظروا إلى من دونكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم".

وقال الله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه: ١٣١].

الفائدة السادسة: الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى، ومقاساة أخلاقهم، وإذا تأذى الإنسان بالثقلاء، لم يلبث، أن يغتابهم، فإن آذوه بالقدح فيه كافأهم، فانجر الأمر إلى فساد الدين، وفى العزلة سلامة من ذلك.

٢ . فصل في آفات العزلة

اعلم: أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير، ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة.

ومن فوائد المخالطة: التعلم والتعليم، والنفع والانتفاع، والتأديب والتأدب، والاستئناس والإيناس، ونيل الثواب في القيام بالحقوق، واعتياد التواضع، واستفادة التجارب من مشاهدة هذه الأحوال، والأحوال، والاعتبار بها، فهذه فوائد الخلطة، ولنفصلها:

الفائدة الأولى: التعلم والتعليم، وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم، فأما من تعلم الفرض ورأى أنه لا يتأتى منه الخوض في العلوم، ورأى الاشتغال بالعبادة، فليعتزل، وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران

---

(١) الملاك لأملاك: التزويج وعقد النكاح.." (١)

"مثله لا يحتمل، وجب عليه أن يسأل.

قال سفيان الثوري رحمه الله: من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار.

...

الشطر الثاني من الكتاب:

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١١٤

٦. وفيه بيان حقيقة الزهد وفضيلته وذكر درجاته وأقسامه ونحو ذلك

اعلم: أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين، والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شئ ليس مرغوبا فيه ولا مطلوبا في نفسه، لم يسم زاهدا، كمن ترك التراب لا يسمى زاهدا.

وقد جرت العادة بتخصيص اسم الزاهد بمن ترك الدنيا، ومن زهد في كل شئ سوى الله تعالى، فهو الزاهد الكامل، ومن زهد في الدنيا مع رغبته في الجنة ونعيمها، فهو أيضا زاهد، ولكنه دون الأول.

واعلم: أنه ليس من الزهد ترك المال، وبذله على سبيل السخاء والقوة، واستمالة القلوب، وإنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة.

ومن عرف أن الدنيا كالثلج يذوب، والآخرة كالدر يبقى، قويت رغبته في بيع هذه بهذه. وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾ [النساء: ٧٧] وقوله: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ [النحل: ٦٩]. ومن فضيلة الزهد قوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ [طه: ١٣١]. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من أصبح وهمه الدنيا، شتت الله عليه أمره، وفرق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له." [(١)]

"فصل.

وأما قوله: " إنه يدل على نقصه ".

فنقول: أولا: النقص نوعان نقص ينافي إيمانه، ونقص عمن هو أكمل منه.

فإن أراد الأول فهو باطل، فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ [سورة النحل: ١٢٧] .

وقال للمؤمنين عامة: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ [سورة آل عمران: ١٣٩] .

وقال: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم﴾ [سورة الحجر: ٨٧، ٨٨] فقد نهى نبيه عن الحزن في غير موضع، ونهى المؤمنين جملة فعلم أن ذلك لا ينافي الإيمان.

وإن أراد بذلك أنه ناقص عمن هو أكمل منه، فلا ريب أن حال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من حال

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣٢٤

أبي بكر، وهذا لا ينازع فيه أحد من أهل السنة ولكن ليس في هذا ما يدل على أن عليا أو عثمان أو عمر، أو غيرهم أفضل منه لأنهم لم يكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في." [1]

"والجواب أولا: أنه لم يدع أحد أن مجرد الحزن كان هو الفضيلة، بل الفضيلة ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ الآية [سورة التوبة: ٤٠] .

فالفضيلة كونه هو الذي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحال واختص بصحبته، وكان له كمال الصحبة مطلقا، وقول النبي صلى الله عليه وسلم له: " ﴿إن الله معنا﴾ " (١) ، وما يتضمنه ذلك من كمال موافقته للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبته وطمأنينته، وكمال معونته للنبي صلى الله عليه وسلم وموالاته ففي (٢) هذه الحال من كمال إيمانه، وتقواه ما (٣) هو الفضيلة.

وكمال محبته ونصره للنبي صلى الله عليه وسلم هو الموجب لحزنه إن كان حزن مع أن القرآن لم يدل على أنه حزن كما تقدم.

ويقال: ثانيا: هذا بعينه موجود في قوله عز وجل لنبيه: ﴿ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ [سورة النحل: ١٢٧] ، وقوله: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ [سورة الحجر: ٨٨] ونحو ذلك، بل في قوله تعالى لموسى: ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ [سورة طه: ٢١] .

---

(١) سبق الكلام على هذا الحديث فيما مضى في هذا الجزء، ص

(٢) ن، س، ب: في

(٣) ما: ساقطة من (ب) .." [2]

"يستكتب أساطير الأولين من غيره، فتقرأ عليه طرفي النهار، وهو يتعلم من أولئك ما يقوله، ومثلوه بالمسحور، وكذلك قوله تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا – وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا – نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا – انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ [الفرقان: ٤٥ – ٩] .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٥١/٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٦٣/٨

وقال تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم - **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين - وقل إني أنا النذير المبين - كما أنزلنا على المقتسمين - الذين جعلوا القرآن عضين - فوربك لنسألنهم أجمعين - عما كانوا يعملون - فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين - إنا كفيناك المستهزئين - الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون﴾ [الحجر: ٨٧ - ٩٦].

قال كثيرا من السلف: الذين جعلوا القرآن عضين: هم الذين." [١]

"وفي السنن أنه قال لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة

وقد قال تعالى ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [سورة طه ١٣١]

وقال **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به ازواجنا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين [سورة الحجر ٨٨] وقال ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ [سورة آل عمران ١٣ ١٥]

وقد قال مع ذمه لمذامه من هذه الزينة ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ [سورة الأعراف ٣٢]." [٢]

"فإن أراد الأول، فهو باطل. فإن الله تعالى قال لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: (﴿ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ ((١) .

وقال للمؤمنين عامة: ﴿ (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ (٢) .

وقال: ﴿ (ولقد أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم﴾ ((٣) . فقد نهى نبيه عن الحزن في غير موضع، ونهى المؤمنين جملة، فعلم أن ذلك لا ينافي الإيمان.

وإن أراد بذلك أنه ناقص عمن هو أكمل منه، فلا ريب أن حال النبي - صلى الله عليه وسلم - أكمل من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ١/١٥٧

(٢) الاستقامة ابن تيمية ١/٤٢٩

حال أبي بكر. وهذا لا ينازع فيه أحد من أهل السنة. ولكن ليس في هذا ما يدل على أن عليا أو عثمان أو عمر أو غيرهم أفضل منه، لأنهم لم يكونوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الحال، ولو كانوا معه لم يعلم حالهم يكون أكمل من حال الصديق، بل المعروف من حالهم دائما وحاله، أنهم وقت المخاوف يكون الصديق أكمل منهم كلهم يقينا وصبرا، وعند وجود أسباب الريب يكون الصديق أعظم يقينا وطمأنينة، وعندما يتأذى منه النبي - صلى الله عليه وسلم - يكون الصديق أتبعهم لمرضاته، وأبعدهم عما يؤذيه.

هذا هو المعلوم لكل من استقرأ أحوالهم في محيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد وفاته.

وأيضا فقصة يوم بدر في العريش، ويوم الحديبية في طمأنينته وسكينته معروفة، برز ذلك على سائر الصحابة، فكيف ينسب إلى الجزع؟!

وأيضا فقيامه بقتال المرتدين ومانعي الزكاة، وتثبيت المؤمنين، مع تجهيز أسامة، مما يبين أنه أعظم الناس طمأنينة ويقينا.

والسنى لا ينازع في فضله على عمر وعثمان، ولكن الرافضي الذي ادعى أن عليا كان أكمل من الثلاثة في هذه الصفات دعواه بهت وكذب وفرية؛ فإن من تدبر سيرة عمر وعثمان علم أنهما كانا في الصبر والثابت وقلة الجزع في المصائب أكمل من علي، فعثمان حاصروه وطلبوا خلعه من الخلافة أو قتله، ولم يزالوا به حتى قتلوه، وهو يمنع الناس من مقاتلتهم، إلى أن قتل شهيدا، وما دافع عن نفسه. فهل هذا إلا من أعظم الصبر على المصائب؟!

---

(١) الآية ١٢٧ من سورة النحل.

(٢) الآية ١٣٩ من سورة آل عمران.

(٣) الآيتان ٨٧، ٨٨ من سورة الحجر.." [1]

"على أنه حزن كما تقدم.

ويقال: ثانيا: هذا بعينه موجود في قوله عز وجل لنبيه: (ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ ((١) ، وقوله: (﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم ﴿ (٢) ونحو ذلك، بل في قوله تعالى لموسى: (﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ ((٣) .

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٥١٨

فيقال: إنه أثمر أن يطمئن ويثبت، لأن الخوف يحصل بغير اختيار العبد، إذا لم يكن له ما يوجب الأمن، فإذا حصل ما يوجب الأمن زال الخوف.

وكذلك قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لصديقه: (﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ نهي عن الحزن مقرون بما يوجب زواله، وهو قوله: ﴿إن الله معنا﴾ وإذا حصل الخبر بما يوجب زوال الحزن والخوف زال، وإلا فهو يهجم على الإنسان بغير اختياره.

ويقال: ثالثا: ليس في نهيه عن الحزن ما يدل على وجوده كما تقدم، بل قد ينهى عنه لئلا يوجد إذا وجد مقتضيه، وحينئذ فلا يضرنا كونه معصية لو وجد، وإن وجد، فالنهي. قد يكون نهي تسلية وتعزية وتثبيت وإن لم يكن المنهي عنه معصية بل قد يكون مما يحصل بغير اختيار المنهى، وقد يكون الحزن من هذا الباب.

ويقال: رابعا: عامة عقلاء بني آدم إذا عاشر أحدهم الآخر مدة يتبين له صداقته من عداوته، فالرسول يصحب أبا بكر بمكة بضع عشرة سنة، ولا يتبين له هل هو صديقه أو عدوه، وهو يجتمع معه في دار الخوف؟! وهل هذا إلا قدح في الرسول؟

ثم يقال: جميع الناس كانوا يعرفون أنه أعظم أوليائه من حسن المبعث إلى الموت فإنه أول من آمن به من الرجال الأحرار، ودعا غيره إلى الإيمان به حتى آمنوا، وبذل أمواله في تخليص من كان آمن به من المستضعفين، مثل بلال وغيره، وكان يخرج معه إلى الموسم فيدعو القبائل إلى الإيمان به، ويأتي النبي – صلى الله عليه وسلم – كل يوم إلى بيته: إما غدوة وإما عشية، وقد آذاه الكفار على إيمانه، حتى خرج من مكة فلقيه ابن الدغنة أمير من أمراء العرب – سيد القارة – وقال إلى أين؟ وقد تقدم حديثه،

---

(١) الآية ١٢٧ من سورة النحل.

(٢) الآية ٨٨ من سورة الحجر.

(٣) الآية ٢١ من سورة طه.." [١]

"أشد من الأول، كما أن الخمر أشد من الميتة والدم، ولحم الخنزير، وعلى صاحبها الحد.

تلك المحرمات إذا تناولها غير مستحل لها كان التعزير؛ لأن هذه المحرمات لا تشتهيها النفوس كما تشتهي الخمر، وكذلك النظر إلى عورة الرجل لا يشتهي كما يشتهي النظر إلى النساء ونحوهن، وكذلك النظر إلى

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٥٢١

الأمرد بشهوة هو من هذا الباب، وقد اتفق العلماء على تحريم ذلك، كما اتفقوا على تحريم النظر إلى الأجنبية وذوات المحارم لشهوة. والخالق سبحانه يسبح عند رؤية مخلوقاته كلها، وليس خلق الأمرد بأعجب في قدرته من خلق ذي اللحية، ولا خلق النساء بأعجب في قدر من خلق الرجال، بل تخصيص الإنسان التسبيح بحال نظره إلى الأمرد دون غيره؛ كتخصيصه التسبيح بنظره إلى المرأة دون الرجل، وما ذاك إلا أنه دل على عظمة الخالق عنده، ولكن؛ لأن الجمال يغير قلبه وعقله، وقد يذهله ما رآه فيكون تسبيحه بما يحصل في نفسه من الهوى، كما أن النسوة لما رأين يوسف ﴿أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾ [يوسف: ٣١] .

وقد ثبت في الصحيح: عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» ، وإذا كان الله لا ينظر إلى الصور والأموال، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فكيف يفضل الشخص بما لم يفضله الله به، وقد قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه: ١٣١] .

وقال في المنافقين: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [المنافقون: ٤] .." [١]

"فإذا كان هؤلاء المنافقون الذين تعجب الناظر أجسامهم، لما فيهم من البهاء، والرواء، والزينة الظاهرة، وليسوا ممن ينظر إليه لشهوة قد ذكر الله عنهم ما ذكر، فكيف بمن ينظر إليه لشهوة، وذلك أن الإنسان قد ينظر إليه لما فيه من الإيمان والتقوى، وهنا الاعتبار بقلبه وعمله لا بصورته، وقد ينظر إليه لما فيه من الصورة الدالة على المصور، فهذا حسن، وقد ينظر من جهة استحسان خلقه، كما ينظر إلى الجبل والبهائم، وكما ينظر إلى الأشجار، فهذا أيضا إذا كان على وجه استحسان الدنيا والرياسة، والمال، فهو مذموم لقوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ [طه: ١٣١] ، وأما إن كان على وجه لا ينقص الدين، وإنما فيه راحة النفس فقط كالنظر إلى الأزهار، فهذا من الباطل الذي يستعان به على الحق، وكل قسم من هذه الأقسام متى كان معه شهوة كان حراما بلا ريب، سواء كانت شهوة تمتع بنظر الشهوة، أو كان نظرا بشهوة الوطء، وفرق بين ما يجده الإنسان عند نظره الأشجار والأزهار، وما يجده عند نظره النسوان والمرد، فلهذا الفرقان افترق الحكم الشرعي.

فصار النظر إلى المرد ثلاثة أقسام. أحدها: ما يقرن به الشهوة فهو حرام بالاتفاق.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١/٢٨٥

والثاني: ما يجزم أنه لا شهوة معه، كنظر الرجل الورع إلى ابنه الحسن، وابنته الحسنة، وأمه، فهذا لا يقرن به شهوة، إلا أن يكون الرجل من أفجر الناس، ومتى اقترنت به الشهوة حرم.." (١)

"[كتاب النكاح]

والإعراض عن الأهل والأولاد ليس مما يحبه الله ورسوله ولا هو دين الأنبياء قال الله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ [الرعد: ٣٨] والنكاح في الآيات حقيقة في العقد والوطء والنهي لكل منهما وليس للأبوين إلزام الولد بنكاح من لا يريد فلا يكون عاقا كأكل ما لا يريد ويحرم النظر بشهوة إلى النساء والمراد أن من استحله كفر إجماعا ويحرم النظر مع وجود ثوران الشهوة وهو منصوص الإمام أحمد والشافعي.

ومن كرر النظر إلى الأمرد ونحوه وقال لا أنظر بشهوة كذب في دعواه وقاله ابن عقيل ومن نظر إلى الخيل والبهائم والأشجار على وجه استحسان الدنيا والرئاسة والمال فهو مذموم لقوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ [طه: ١٣١] وأما إن كان على وجه لا ينقص الدين وإنما فيه راحة النفس فقط كالنظر إلى الأزهار فهذا من الباطل الذي يستعان به على الحق وكل قسم متى كان معه شهوة كان حراما بلا ريب سواء كانت شهوة تمتع بالنظر أو كانت شهوة الوطء واللمس كالنظر وأولى وتحرم الخلوة بغير محرم ولو بحيوان يشتهي المرأة أو تشتهيه كالقرد.

وذكره ابن عقيل وتحرم الخلوة بأمرد غير حسن ومضاجعته كالمرأة الأجنبية ولو لمصلحة التعليم والتأديب، والمقر موليه عند من يعاشره لذلك ملعون ديوث.

ومن عرف بمحبتهم أو معاشرة بينهم منع من تعليمهم، وإن احتاج الإنسان إلى النكاح." (٢)

"" أحدها " ألا يخاف المؤمن من الكفار والمنافقين فإنهم لن يضروه إذا كان مهتديا.

" الثاني " ألا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم فإن معاصيهم لا تضره إذا اهتدى والحزن على ما لا يضر عبث وهذان المعنيان مذكوران في قوله: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ . " الثالث " ألا يركن إليهم ولا يمد عينه إلى ما أوتوه من السلطان والمال والشهوات كقوله: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم﴾ فنهاه عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم في آية ونهاه عن الحزن عليهم والرهبة منهم في آية فإن الإنسان قد يتألم عليهم ومنهم إما راغبا وإما راهبا. "

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢٨٦/١

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٤٤٩/٥

الرابع " ألا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم؛ بل يقال لمن اعتدى عليهم عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت كما قال: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾ الآية. وقال: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ وقال: ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ فإن كثيرا من الآمرين الناهين قد يتعدى." (١)

"ومن هنا يظهر الفرق في السمع والبصر: من الإيمان وآثاره والكفر وآثاره والفرق بين المؤمن البر وبين الكافر والفاجر؛ فإن المؤمنين يسمعون أخبار أهل الإيمان فيشهدون رؤيتهم على وجه العلم والمعرفة والمحبة والتعظيم لهم ولأخبارهم وآثارهم كرؤية الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم وسمعهم لما بلغه عن الله والكافر والمنافق يسمع ويرى على وجه البغض والجهل كما قال تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾ وقال: ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ وقال: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ وقال: ﴿فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ وقال تعالى في حق المؤمنين: ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ وقال في حق الكفار: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ والآيات في هذا كثيرة جدا. وكذلك النظر إلى زينة الحياة الدنيا فتنة فقال تعالى **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ وفي التوبة ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ الآية وقال: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ الآية وقال: ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ وقال: ﴿أفلا ينظرون." (٢)

"ويؤيد ذلك حديث أبي أمامة المشهور من رواية البغوي: حدثنا طالوت بن عباد حدثنا فضالة بن جبير سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿اكفلوا لي بست أكفل لكم الجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا اؤتمن فلا يخن وإذا وعد فلا يخلف غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم﴾ . فقد كفل بالجنة لمن أتى بهذه الست خصال فالثلاثة الأولى تبرئة من النفاق والثلاثة الأخرى تبرئة من الفسوق والمخاطبون مسلمون فإذا لم يكن منافقا كان مؤمنا وإذا لم يكن فاسقا كان تقيا فيستحق الجنة. ويوافق ذلك ما رواه ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو سعيد المدني حدثني عمر بن سهل المازني قال حدثني عمر بن محمد بن صهبان حدثني صفوان بن سليم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٨١/١٤

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٤٢/١٥

الله عليه وسلم ﴿كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله﴾ .

وقوله سبحانه: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ يتناول النظر إلى الأموال واللباس والصور وغير ذلك من متاع الدنيا: أما اللباس والصور فهما اللذان لا ينظر الله إليهما كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:." (١)

"قدرته من خلق الرجال؛ فتخصيص الإنسان بالتسبيح بحال نظره إلى الأمرد دون غيره كتخصيصه بالتسبيح بالنظر إلى المرأة دون الرجل؛ وما ذاك لأنه أدل على عظمة الخالق عنده؛ ولكن لأن الجمال يغير قلبه وعقله وقد يذهله ما رآه فيكون تسبيحه لما حصل في نفسه من الهوى كما أن النسوة لما رأين يوسف ﴿أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾ . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم﴾ فإذا كان الله لا ينظر إلى الصور والأموال؛ وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال فكيف يفضل الشخص بما لم يفضله الله به. وقد قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ وقال في المنافقين: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله﴾ . فإذا كان هؤلاء المنافقون الذين تعجب الناظر أجسامهم؛ لما فيهم من البهاء والرواء والزينة الظاهرة وليسوا ممن ينظر إليه لشهوة قد ذكر الله عنهم ما ذكر فكيف بمن ينظر إليه لشهوة." (٢)

"وذلك أن الإنسان قد ينظر إليه لما فيه من الإيمان والتقوى وهنا الاعتبار بقلبه وعمله لا بصورته وقد ينظر إليه لما فيه من الصورة الدالة على المصور فهذا حسن. وقد ينظر إليه من جهة استحسان خلقه كما ينظر إلى الخيل والبهائم وكما ينظر إلى الأشجار والأنهار والأزهار؛ فهذا أيضا إذا كان على وجه استحسان الدنيا والرئاسة والمال فهو مذموم بقوله: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ . وأما إن كان على وجه لا ينقص الدين وإنما فيه راحة النفس فقط: كالنظر إلى الأزهار فهذا من الباطل الذي لا يستعان به على الحق. وكل قسم من هذه الأقسام متى كان معه شهوة كان حراما بلا ريب سواء كانت شهوة تمتع بالنظر أو كان نظرا بشهوة الوطء وفرق بين ما يجده الإنسان عند نظره إلى

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٩٧/١٥

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤١٦/١٥

الأشجار والأزهار وما يجده عند نظره إلى النسوان والمردان. فلهذا الفرقان افترق الحكم الشرعي فصار النظر إلى المردان ثلاثة أقسام: " أحدها " ما تقترن به الشهوة. فهو محرم بالاتفاق.." (١)

"النساء ونحوهن؛ وكذلك النظر إلى الأمرد بشهوة هو من هذا الباب وقد اتفق العلماء على تحريم ذلك كما اتفقوا على تحريم النظر إلى الأجنبية وذوات المحارم لشهوة والخالق سبحانه يسبح عند رؤية مخلوقاته كلها وليس خلق الأمرد بأعجب في قدرته من خلق ذي اللحية ولا خلق النساء بأعجب في قدرته من خلق الرجال؛ بل تخصيص الإنسان التسبيح بحال نظره إلى الأمرد دون غيره: كتخصيصه التسبيح بنظره إلى المرأة دون الرجل وما ذاك لأنه دل على عظمة الخالق عنده ولكن لأن الجمال يغير قلبه وعقله وقد يذهله ما رآه فيكون تسبيحه بما يحصل في نفسه من الهوى. كما أن النسوة لما رأين يوسف ﴿أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾ . وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: ﴿إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم﴾ وإذا كان الله لا ينظر إلى الصور والأموال وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال: فكيف يفضل الشخص بما لم يفضله الله به؟ وقد قال تعالى: **﴿ولا تمدن عينيك﴾** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ وقال في المنافقين: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم." (٢)

"هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ فإذا كان هؤلاء المنافقون الذين تعجب الناظر أجسامهم لما فيهم من البهاء والرواء والزينة الظاهرة - وليسوا ممن ينظر إليه لشهوة - قد ذكر الله عنهم ما ذكر: فكيف بمن ينظر إليه لشهوة؟ وذلك أن الإنسان قد ينظر إليه لما فيه من الإيمان والتقوى؛ وهنا الاعتبار بقلبه وعمله لا بصورته وقد ينظر إليه لما فيه من الصورة الدالة على المصور فهذا حسن. وقد ينظر إليه من جهة استحسان خلقه كما ينظر إلى الجبل والبهائم وكما ينظر إلى الأشجار: فهذا أيضا إذا كان على وجه استحسان الدنيا والرياسة والمال فهو مذموم؛ لقوله تعالى **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ وأما إن كان على وجه لا ينقص الدين وإنما فيه راحة النفس فقط - كالنظر إلى الأزهار - فهذا من الباطل الذي يستعان به على الحق. وكل قسم من هذه الأقسام متى كان معه شهوة كان حراما بلا ريب سواء كانت شهوة تمتع بنظر الشهوة أو كان نظرا بشهوة الوطء وفرق بين ما يجده

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤١٧/١٥

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢٤٨/٢١

الإنسان عند نظره الأشجار والأزهار وما يجده عند نظره النسوان والمردان؛ فلهذا الفرقان افترق الحكم الشرعي فصار النظر إلى المرد ثلاثة أقسام:." (١)

"قومه في زينته﴾ . قالوا: بثياب الأرجوان. ولهذا ثبت ﴿عن عبد الله بن عمرو قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين فقال: إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما. قلت: أغسلهما قال: احرقهما﴾ ولهذا كره العلماء الأحمر المشبع حمرة كما جاء النهي عن الميثرة الحمراء. وقال عمر بن الخطاب: دعوا هذه البراقات للنساء. والآثار في هذا ونحوه كثيرة. وقال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ إلى قوله ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن جرير بن عبد الله قال: " ﴿سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال: اصرف بصرك﴾ وفي السنن أنه قال لعلي: ﴿يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة﴾ . وقد قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا ر نفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ وقال: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وقال: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾ إلى قوله ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وقد قال تعالى – مع ذمه لما ذمه من." (٢)

"قالوا: بلى. قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا. اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئا. إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي. قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا. لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك. فأقروا بذلك، ورفع عليهم آدم عليه السلام بنظر إليهم، فرأي الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك. فقال: رب لولا سويت بين عبادك! قال: إني أحببت أن أشكر ورأي فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور، خصوا بمثاق آخر في الرسالة والنبوة، وهو قوله تبارك وتعالى ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ إلى قوله:

تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أي أشباها وأقرانا، وبين الأصناف بقوله: ((فرأى

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢١/٢٤٩

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢٢/١٢٨

الغني، والفقير)) إلى آخره، وقوله: ((فجعلهم أزواجا)) أي أراد أن يجعلهم أصنافا فصورهم، كقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾.

قوله: ((فإني أشهد عليكم السموات السبع)) إشارة إلى نصب الدلائل الظاهرة، والآيات الباهرة، و ((أشهد عليكم آباءكم)) – أي يذكرونكم عهدي – إشارة إلى النصوص الشاهدة، والتنبيهات من الرسل المبعوثين إليهم، فعلى هذا ينبغي أن يحمل حديث عمر رضي الله عنه؛ لأن الأحاديث يفسر بعضها بعضا. و ((رفع)) أي أشرف و ((ينظر)) حال، ويجوز أن يكون مفعولا له، و ((أن مقدرة، أي لأن ينظر إليهم، كقول الشاعر: ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى. و ((لولا)) للتحضيض أي هلا سويت بينهم الغني والفقير وغير ذلك، ((أن أشكر)) أي ما سويت بينهم حتى ينظر الغني إلى الفقير، فيشكو نعمتي عليه، وينظر الفقير إلى دينه فيرى نعمته فوق الغني فيشكر نعمتي عليه، ويرى حسن الصورة إلى جماله فيشكر، وقبيح الصورة فيرى حسن خصاله فيشكر، وعلى هذا.) (ورأى الأنبياء)) يعني أن الأنبياء بعد الميثاق العام خصهم الله بميثاق آخر ((من فيها)) أي دخل الروح من في مريم عليها السلام، وذكر الروح على تأويل المنفوخ، أو في عيسى، وكذا في ((أرسله)) فكأنه أراد قوله تعالى: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ أي فيها، وقرأ ابن مسعود ((فيها)) صلى الله عليه وسلم كما قرئ في سورة الأنبياء، وتقييده بقوله: ((ودخل من فيها)) تسجيل على النصارى بركاكة عقولهم، أي كيف يتخذ إليها من دون الله من هذا حاله؟ كقوله: ﴿وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾.." (١)

"_____

أقول: قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس ذلك)) رد لحملهم الحياء علي ما تعورف مطلقا لما ضم إليه من التقييد بقوله: ((حق الحياء)) ولذلك أعادها مقيدة في الجواب، يعني حق الحياء أن يترك شيئا منها وما يتصل بها وما يتفرع عليها إلا أن يتحرى ويقام به، كما قال تعالي: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ ((الكشاف)) أي واجب تقواه وما يحق منها، وهو القيام بالواجب، واجتناب المحارم، ونحو ((فاتقوا الله ما استطعتم)) يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا، ولهذا السر فسره صلوات الله عليه بكلام جامع حاو لمعان لا تكاد تدخل تحت الإحصاء، فينبغي للشارح المتقن أن يراعي هذا فيما فسره صلوات الله عليه، فنقول- وبالله التوفيق-: وذلك أنه صلى الله عليه وسلم جعل الرأس وعاء وظرفا لكل ما لا ينبغي من رذائل الأخلاق، كالفم والعين، والأذن وما يتصل بها، وأمر أن يصونوها، كأنه قيل: كف عنك لسانك،

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢/٥٨٥

فلا تنطق به إلا خيرا، ولعمري إنه شطر الإنسان، قال:

لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

ولهذا ورد ((من صمت نجا)). وإنما لم يصرح بذكر اللسان، ليشمل ما يتعلق بالفم من أكل الحرام والشبهات، وكأنه قيل: وسد سمعك أيضا عن الإصغاء إلي ما لا يعنيك من الأباطيل والشواغل، واغضض عينك عن المحرمات والمشتهيات، **ولا تمدن عينيك** إلي ما متعنا به الكفار من زهرة الحياة الدنيا، فكيف لا، وهو رائد القلب الذي هو سلطان الجسد، ومضغة ((إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله)).

وهنا نكتة، وهي عطف ((ما وعى)) علي الرأس، فحفظ الرأس مجملا عبارة عن التنزه عن الشرك، فلا يضع رأسه لغير الله ساجدا متواضعا، وعن الاستكبار، فلا يرفعه متكبرا علي عباد الله وجعل البطن قطبا يدور علي سرته الأعضاء من القلب، والفرج، واليدين، والرجلين؛ ولهذا ورد (من وكل إلي ما بين فكيه ورجليه وكلت له الجنة)). وفي عطف ((وما حوى)) علي البطن إشارة إلي حفظه من الحرام والاحتراز من أن يملأ من المباح، وفذلكة ذلك كله، قوله: ((ويذكر الموت والبلي))، كقوله صلى الله عليه وسلم: ((أكثروا ذكر هاذم اللذات))؛ لأن من ذكر أن عظامه ستصير بالية، وأعضاؤه متمزقة، هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يجب عليه من طلب الآجلة. وهذا معنى قوله: ((ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا))، فيكون كالتذييل للكلام السابق.." (١)

"العالمين﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته)) رواه البخاري.

البناء، ومنها سورة القرآن؛ لأنها منزلة بعد المنزلة مقطوعة عن الأخرى، أو لأنها من سور المدينة تشبيها بها؛ لكونها محيطة بها إحاطة السور بالمدينة، وإنما قال: ((أعظم سورة)) اعتبارا بعظم قدرها، وتفردها بالخاصية التي لم يشاركها فيها غيرها من السور، ولاشتمالها علي فوائد ومعان كثيرة مع وجارة ألفاظها. ولذلك سميت أم القرآن لاشتمالها علي المعاني التي في القرآن من الثناء علي الله بما هو أهله، من التعبد بالأمر، والنهي، والوعد، والوعيد.

وقد اختلفوا في تفسير ((المثاني))، فمن قائل: إنه من التثنية، ومن قائل: إنه من المثنا جمع مثناة، أو مثنية صفة للآية، فعلي الأول معناها أنها تثنى علي مرور الأوقات أي تكرر، فلا تنقطع، وتدرس فلا تندرس،

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٤/١٣٦٧

وقيل: لما يثنى ويتجدد من فوائد حالا فحالا. ولا يبعد أن يحمل علي هذا قوله صلى الله عليه وسلم: ((وما من آية إلا ولها ظهر وبطن)) وعلي الثانى أنها لاشتمالها علي ما هو ثناء علي الله تعالي، فكأنها تثنى علي الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلي، أو لأنها أبدا تدعو بوصفها المعجز إلي غرابة المنظم، وغرارة المعنى إلي الثناء عليها، ثم علي من يتعلمها، ويعمل بها. فإن قيل: في الحديث ((السبع المثانى)) وفي الكتاب ((سبعا من المثانى)). قلنا: لا اختلاف في الصيغتين إذا جعلنا ((من)) للبيان.

فإن قيل: كيف صح عطف ((القرآن)) علي ((السبع المثانى))، وعطف الشيء علي نفسه مما لا يجوز؟ قلنا: ليس بذلك، وإنما هو من باب ذكر الشيء بوصفين: أحدهما معطوف علي الآخر، والتقدير: آتيناك ما يقال له: السبع المثانى والقرآن العظيم، أي الجامع لهذين النعتين، والسبع بيان لعدد آياتها. وأقول: لا يبعد أن يكون التعريف في السبع للعهد، والمشار إليه ما في القرآن، كقوله تعالي: ﴿أرسلنا إلي فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول﴾ وتنكير ((سبعا)) في التنزيل للتعظيم والتفخيم، ويشهد له ما يتبعه من قوله: ﴿**لا تمدن عينيك** إلي ما منعنا به أزواجا منهم﴾ أي ولقد آتيناك هذا العظيم الشأن الذي لا يوازيه شيء، فلا تطمح عينك إلي هذا الدنيء الحقير. وأما عطف ((القرآن)) علي ((السبع المثانى)) المراد منه الفاتحة، فمن باب عطف العام علي الخاص، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، وإليه أومأ صلى الله عليه وسلم بقوله: ((ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن)) حيت نكر السورة، وأفردها؛ ليدل علي أنك إذا تقصيت سورة سورة في القرآن، وجدتها أعظم منها. ونظيره في النسق ((لكن)) من عطف الخاص علي العام قوله تعالي: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾.

قوله: ((قال: الحمد لله)) ((قض)): هو خبر مبتدأ محذوف، أي هي السورة التي مستهلها." [١]

"الآخر

وإنما كان النفاق في أهل المدينة لأن الإسلام فشا بها وعز وعلا على الشرك فبقي أناس في قلوبهم زيغ وغل لم يؤمنوا فأسلموا في الظاهر تقية وخوفا من السيف والمهاجرون ما أكرههم أحد ولا خافوا من المسلمين بل هم كما قال الله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وأبو بكر أفضلهم وكلهم خاطبوه بخليفة رسول الله فمن سماهم الله صادقين لا يتفقون على ضلالة

وقولك يدل على نقصه نعم كلنا ناقص بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ندع عصمته كما

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٦٣٩/٥

فعلتم

ثم الله قد قال لنبيه (ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) وقال للمؤمنين عامة (ولا تهنوا ولا تحزنوا) وقال لنبيه (**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم) ولا ينافي الحزن الإيمان ومن شبه يقين الصديق وصبره بغيره من الصحابة فهو جاهل والصديق أرفع من عثمان بكثير في المناقب وبعد ذا فقد صبر عثمان وثبت ثباتا ما مثله حاصروه وراموا طعنه وقتله وهو يمنع أنصاره ومواليه عن حربهم إلى أن ذبحوه وهو صابر محتسب موقن

ثم إن قوله (لا تحزن) لا يلزم منه وقوع الحزن وكذا النهي عن كل شيء كقوله (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) (ولا تدع مع الله إلها آخر) (فلا تكونن من الجاهلين)

وهب أنه حزن فكان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يقتل فيذهب الإسلام

روى وكيع عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم أخذ طريق ثور فجعل أبو بكر يمشي خلفه ويمشي أمامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك فقال يا رسول الله أخاف أن تؤتي من خلفك فأتأخر وأخاف أن تؤتي من أمامك فأتقدم

فلما انتهيا إلى الغار قال

يا رسول الله كما أنت حتى أقمه

قال نافع فحدثني رجل عن ابن أبي مليكة أن أبا بكر رأى جحرا في الغار فألقمه قدمه وقال يا رسول الله إن كانت لدغة كانت في

وفي الصحيحين لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من." (١)

"عينيه الى ذلك فهذا العطاء فى الدنيا وما ادخر له من رزق الآخرة خير مما متع به أهل الدنيا **فلا تمدن عينيك**

فصل: وإذا عرف أن الغنى والفقر والبلاء والعافية فتنة وابتلاء من الله لعبده تمتحن بها صبره وشكره علم أن الصبر والشكر مطيتان للايمان لا يحمل إلا عليهما ولا بد لكل مؤمن منهما وكل منهما فى موضعه أفضل فالصبر فى مواطن الصبر أفضل والشكر فى مواضع الشكر أفضل هذا إن صح مفارقة كل واحد منهما للآخر وأما إذا كان الصبر جزء مسمى الشكر والشكر جزء مسمى الصبر وكل منهما حقيقة مركبة من الأمرين معا كما تقدم بيانه فالتفضيل بينهما لا يصح الا اذا جرد أحدهما عن الاخر وذلك فرض ذهنى يقدره الذهن

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال الذهبي، شمس الدين ص/٥٥٦

ولا يوجد فى الخارج ولكن يصح على وجه وهو أن العبد قد يغلب صبره على شكره الذى هو قدر زائد على مجرد الصبر من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة فلا يبقى فيه اتساع لغير صبر النفس على ما هو فيه لقوة الوارد وضيق المحل فتنصرف قواه كلها الى كف النفس وحبسها لله وقد يغلب شكره بالاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة على قوة كفه لنفسه وحبسها لله فتكون قوة إرادته وعمله أقوى من قوة امتناعه وحبس نفسه واعتبر هذا بشخصين أحدهما حاكم على نفسه متمكن من حبسها عن الشهوات قليل التشكى للمصيبات وذلك جل عمله وآخر كثير الاعطاء لفعل الخير القاصر والمتعدى سمح النفس ببذل المعروف وآخر ضعيف النفس عن قوة الصبر فللنفس قوتان قوة الصبر والكف وامساك النفس وقوة البذل وفعل الخير والاقدام على فعل ما تكمل به وكمالها باجتماع هاتين القوتين فيها والناس فى ذلك أربع طبقات فأعلاهم من اجتمعت له القوتان وسفلتهم من عدم القوتين ومنهم من قوة صبره أكمل من قوة فعله وبذله ومنهم من هو بالعكس فى ذلك فإذا فضل الشكر على الصبر فإما أن يكون باعتبار ترجيح مقام على مقام واما أن." (١)

"ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾

الوجه الرابع: إخباره أن الدنيا والغنى والمال انما جعلها متعة لمن لا نصيب له فى الاخرة وأن الآخرة جعلها للمتقين فقال تعالى ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ وقال تعالى ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ وإلى هذا المعنى أشار النبى بقوله "لعمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة" وسيأتى الحديث

الوجه الخامس: أنه سبحانه لم يذكر المترفين وأصحاب الثروة إلا بالذم كقوله ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ وقوله ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ وقوله تعالى ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون﴾

الوجه السادس أنه سبحانه ذم محب المال فقال وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما فذمهم بحب المال وعيرهم به

الوجه السابع: أنه سبحانه ذم متمنى الدنيا والغنى والسعة فيها ومدح من أنكر عليهم وخالفهم فقال تعالى

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص/١٧٤

عن أغنى أهل زمانه فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتو العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فأخبروا أن ما عند الله خير من الدنيا لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقى هذه الوصية وهى الكلمة التى تكلم بها الذين أوتوا العلم أو المثوبة والجنة التى دل عليها قوله ثواب الله خير والسيرة والطريقة التى دل عليها قوله لمن آمن وعمل." (١)

"[فصل منزلة الزهد]

[حقيقة الزهد]

ومن منازل " ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] " منزلة الزهد.

قال الله تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ [النحل: ٩٦] وقال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [الحديد: ٢٠] وقال تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ [يونس: ٢٤] الآية، وقال تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾ [الكهف: ٤٥]- إلى قوله - ﴿وخير أملا﴾ [الكهف: ٤٦] وقال تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾ [النساء: ٧٧] وقال تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ [الأعلى: ١٦] وقال: **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١] وقال تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾ [الكهف: ٧] وقال: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة﴾ [الزخرف: ٣٣] إلى قوله: ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ [الزخرف: ٣٥] .." (٢)

"وقال أيضا عن أحمد ما أعدل بالصبر على الفقر شيئا، كم بين من يعطى من الدنيا ليفتتن إلى آخر تزوى عنه قال: وذكرت لأبي عبد الله عن بعض المفتين شيئا في الورع فشدد على السائل وهو عبد الوهاب فقال أبو عبد الله ليس ينبغي للرجل أن يحمل الناس على ما يفعل أو كلاما ذا معناه إذا كان يفتي وقال

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص/١٨٢

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١١/٢

سمعت أبا عبد الله وذكر قوما من المترفين فقال الدنو منهم فتنة والجلوس معهم فتنة.

وروى الترمذي وقال غريب عن عائشة قالت قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد راكب، وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلفي ثوبا حتى ترقعيه»

وعن مكحول قال قلت للحسن إني أريد الخروج إلى مكة قال: إياك أن تصحب رجلا يكرم عليك فيفسد الذي بينه وبينك.

وقال أحمد إنما قوي بشر لأنه كان وحده ولم يكن له عيال، ليس من كان معيلا كمن كان وحده لو كان إلي ما باليت ما أكلت.

وقال أيضا لو ترك الناس التزويج من كان يدفع العدو؟ لبكاء الصبي بين يدي أبيه متسخطا يطلب منه خبزا أفضل من كذا وكذا يراه الله بين أن يلحق المتعبد الأعزب وقال في الفنون حديث مسند أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال «إذا طلب إلى ذي العيلة عيلته شهوة فأين يلحقه القائم الصائم» .

وذكر أبو عبد الله من المحدثين علي بن المديني وغيره تمتعوا من الدنيا: إني لأعجب من هؤلاء المحدثين حرصهم على الدنيا قال المروذي وذكرت رجلا من المحدثين فقال أنا أشرت به أن يكتب عنه وإنما أنكرت عليه حبه الدنيا. وقد سبق معنى هذا في فصول العلم وأن العالم ليس كغيره لأنه يقتدى به.

قال المروذي وسمعت أبا عبد الله يقول: قد تفكرت في هذه الآية ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١] .." [١]

"والرمانة الفاسدة هي امرأة فاسدة في الدين وكذلك

إذا أكل لحما فاسدا منتنا ويدع لحما طيبا أو ماء عذبا ويشرب ماء منتنا أو مالحا أو مرا فإنه ياتي الحرام ويدع الحلال

الزرافة تعبر بالمرأة التي لا تثبت مع الزوج لأنها خالفت المركوبات

الزكام في الرؤيا: مرض يسهر لمن أصابه ثم يبرا

الزعرور في المنام مرض لمن أكله وكذلك كل ثمرة صفراء إلا الأترج والتفاح والنبق لا تصير صفر بهم لقوة جوهرهم

زجر الطير: كلام باطل

الزنار ولد ذكر فمن رأى زناره قطع مات ولده

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٥٠

والزنار تحت الثياب رياء ونفاق وربما كان الزنار في الرؤيا هم عظيم من اسمه ولما جرى على السن الناس الزهر

لذاذة وخبر فمن رأى على رأسه اكليلا من الزهر فإنه يتزوج وينال لذاذة في دنياه لقوله تعالى (**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به ازواجاا منهم زهرة الحياة الدنيا) ومن رأى الزهر في غير وقته ناله هم ومن حمل شيئا من الزهر وكان من الخداعين فإنه يمسك لأن كل رائحة عطرة تتم على حاملها

الزعفران:

إذا لم يؤثر لونه في الجسد أو الثوب فهو من الطيب يدل على الثناء الحسن والذكر الجميل

وإن أثر لونه فإن مرض لمن رآه

الزمرد والزبرجد: المهذب من الرجال والشجاع وصديق صاحب ورع ودين فإذا دل على المال فهو مال طيب

الزجاج في المنام

جوهر النساء لقول النبي: " رفقا بالقوارير " أراد بها النساء وقيل الزجاج هم لا يدوم لقلة بقائه ومن رأى الزجاج، قد خفي عليه شيء بأن له واتضح لأن الزجاج لا يخفى شيئا ومن رأى." (١)

"ومنها: أن مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل، وتعظم عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه. ومجالسة الأغنياء توجي السخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله عز وجل نبيه (عن ذلك فقال تعالى: (**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) طه: ١٣١، وقال النبي (: " انظروا إلى من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ". قال أبو ذر: أوصاني رسول الله (أن أنظر إلى من دوني ولا أنظر إلى من فوقي، وأوصاني أن أحب المساكين وأن أدنو منهم.

وكان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يجالس الأغنياء فلا يزال في غم، لأنه لا يزال يرى من هو أحسن منه لباسا ومركبا ومسكنا ومطعما، فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك.

وقد روي عن النبي (أنه نهى عائشة من مخالطة الأغنياء.." (٢)

---

(١) تعبير الرؤيا (مخطوط) ابن غنام، إبراهيم ص/١١٥

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ابن رجب الحنبلي ص/١٠٥

"١٩ - باب من لم يتغن بالقرآن وقوله: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ [العنكبوت: ٥١].

٥٠٢٣ - حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي - صلى الله عليه وسلم - يتغنى بالقرآن». وقال صاحب له: يريد يجهر به. [٥٠٢٤، ٧٤٨٢، ٧٥٤٤ - مسلم: ٧٩٢ - فتح: ٩/ ٦٨]

٥٠٢٤ - حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي سلمة ،عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم –قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن». قال سفيان: تفسيره يستغني به. [انظر: ٥٠٢٣ - مسلم: ٧٩٢ - فتح: ٩/ ٦٨]

ذكر فيه حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن". وقال صاحب له: يريد: يجهر به.

ثم ساقه عنه أيضا بلفظ: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن". قال سفيان: تفسيره: يستغني به.

قلت: احتج بقوله: **﴿ولا تمدن عينيك﴾** الآية [طه: ١٣١]. قال: وأمر - عليه السلام - أن يستغنى بالقرآن عن المال.

ومعنى: "ما أذن": ما استمع، وذكره في الاعتصام بلفظ: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" (١). زاد غيره: "يجهر به". ذكره في باب قوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ (٢)، وهو من أفراده.

---

(١) سيأتي برقم (٧٤٨٢) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾.

(٢) سيأتي برقم (٧٥٢٧) كتاب التوحيد، وانظر ما سيأتي برقم (٧٥٤٤).." [1]

"وفي هذه الأحاديث: التنبيه على أن زهرة الدنيا ينبغي أن يخشى سوء عاقبتها، وشر فتنتها من فتح الله عليه الدنيا، ويحذر التنافس فيها، والطمأنينة إلى زخرفها الفاني؛ لأنه - عليه السلام - خشي ذلك على أمته، وحذرهم منه لعلمه أن الفتنة مقرونة بالغنى.

ودل حديث عمران وعبد الله أن فتنة الدنيا لمن يأتي بعد القرن الثالث أشد، حيث قال في سبق الشهادة

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ١٠٥/٢٤

وظهور السمن، فجعل ظهور السمن فيهم وشهادتهم بالباطل، وخيانتهم الأمانة، ومنافستهم في الدنيا، وأخذهم لها من غير وجهها، كما قال – عليه السلام – في حديث أبي سعيد: "ومن أخذه بغير حقه فهو كالذي يأكل ولا يشبع"، وكذلك خشي عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فتنة المال، فروي عنه: أنه لما أتي بأموال كسرى بات هو وأكابر الصحابة عليه في المسجد، فلما أصبح وأصابته الشمس (ابتلقت) (١) تلك التيجان فبكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ليس هذا حين بكاء، إنما هو حين شكر، فقال عمر – رضي الله عنه –: إني أقول: ما فتح الله هذا على قوم قط إلا سفكوا دماءهم، وقطعوا أرحامهم، وقال: اللهم منعت هذا رسولك؛ إكراما منك له، وفتحته علي لتبتليني به، اللهم اعصمني من فتنته.

فهذا كله يدل أن الغنى بلية وفتنة، ولذلك استعاذ – عليه السلام – من شر فتنته، وقد أخبر الله تعالى بهذا المعنى، فقال لرسوله: ﴿**لا تمدن عينيك**﴾ [طه: ١٣١] وقرن الفتنة به، وقال تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [الانفال: ٢٨] ولهذا آثر أكثر سلف الأمة التقلل من الدنيا، وأخذ البلغة، إذ التعرض للفتن غرر.

---

(١) في (ص٢): أشرقت.." [١]

"السيف فأرسل إليه غنما ضعافا فنزل جبريل وقال يا محمد إن الله تعالى

قد نزع لباس الإيمان من قلبه وألبسه لباس الكفر فذلك قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله الآية حكاه الرازي عن غير ثعلبة ثم أنه جاء بالصدقة فلم يقبلها النبي صلى الله عليه وسلم منه فإن قيل كيف جاز للنبي صلى الله عليه وسلم أن لا يقبلها وقد أمره تعالى بأخذها قال خذ من أموالهم صدقة قال الرازي لا يبعد أن الله تعالى منعه من قبولها لئلا يمتنع غيره من أدائها ويحتمل أنه أتى بها على وجه الرياء ... موعظة: قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جاءه يوم القيامة شجاع من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وذكر في الحديث الإبل والبقر والغنم إذا لم يؤد زكاتها تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقال صلى الله عليه وسلم ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة. وقال عليه السلام الزكاة قنطرة الإسلام رواه الطبراني ... لطيفة: الكافر يحرم دمه وماله بأخذ الجزية منه كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار في الآخرة إذا أخرج الزكاة بطيب نفس. نزع لباس الإيمان من قلبه وألبسه لباس الكفر فذلك قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله الآية حكاه الرازي عن غير ثعلبة ثم أنه جاء بالصدقة فلم

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٤٢٢/٢٩

يقبلها النبي صلى الله عليه وسلم منه فإن قيل كيف جاز للنبي صلى الله عليه وسلم أن لا يقبلها وقد أمره تعالى بأخذها قال خذ من أموالهم صدقة قال الرازي لا يبعد أن الله تعالى منعه من قبولها لئلا يمتنع غيره من أدائها ويحتمل أنه أتى بها على وجه الرياء ... موعظة: قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جاءه يوم القيامة شجاع من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وذكر في الحديث الإبل والبقر والغنم إذا لم يؤد زكاتها تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقال صلى الله عليه وسلم ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة. وقال عليه السلام الزكاة قنطرة الإسلام رواه الطبراني ... لطيفة: الكافر يحرم دمه وماله بأخذ الجزية منه كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار في الآخرة إذا أخرج الزكاة بطيب نفس.

فصل في زكاة الأعضاء وهي كفها عن المحرمات

قال الله تعالى إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا قال الغزالي ضرر الكلام الذي يقع في الأذن أشد من ضرر الطعام الذي في البطن فإن الإنسان يتغوطه والكلام قد يبقى جميع العمر والمستمع شريك المتكلم وفي الحديث من سمع حديث قوم وهم يكرهون صب في أذنيه الآنك وهو بالمد الرصاص المذاب وقال صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال ... حكاية: قال بعض الصالحين رأيت رجلا في الطواف وهو يقول اللهم إني أعوذ بك من سهم غائر فسألته عن ذلك فقال كنت طائفا فنظرت بعيني الواحدة إلى غلام حسن الوجه فأصابني سهم من الهواء فأخرجته من عيني فرأيت عليه مكتوبا نظرت إلى الحرام بعينك الواحدة للعبرة فرميناك بسهم الأدب ولو نظرت بعين الهوة لرميناك بسهم القطيعة على قلبك حتى ينكر معرفتنا والغائر هو الذي لا يعلم راميه ... مسئلة: يحرم النظر إلى الأمرد الحسن بشهوة وغيرها ويحرم على الرجل أن ينظر إلى أمه أو أخته أو عمته مثلا بشهوة حتى إلى جاريته قبل الاستبراء وهو حيضة كاملة أو شهران لم تحض إلا أن تكون مسبية فيحل نظره إليها ووطؤها حتى تستبرئ والله أعلم ... لطيفة: يوسف عليه السلام لما حفظ عينيه سلم من البلاء وزليخا مدت عينيها فوقعت في البلاء وآدم نظر إلى الشجرة فهبط من الجنة وقابيل لما نظر إلى أخت هابيل وقع في العذاب وإبراهيم لما نظر إلى ولده إسماعيل أمر بذبحه فلذلك قيل لمحمد صلى الله

عليه وسلم **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ... لطيفة: دخل رجل الجامع وفيه الإمامان الشافعي وأحمد فقال الشافعي." [١]

"لا بإزار ولا بدونه فدخول الحمام لهن مكروه تنزيها إلا لضرورة كحيض أو نفاس (ابن عساكر) في تاريخه (عن أبي هريرة) وغيره

(انصر) في رواية أعن (أخاك) في الدين (ظالما) بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤل إليه (أو مظلوما) بإعانته على ظالمه وتخليصه منه (قيل) يعنى قال أنس (كيف أنصره ظالما) يا رسول الله (قال) رسول الله (تحجزه عن الظلم) أي تمنعه منه وتحول بينه وبينه (فإن ذلك) أي منعه منه (نصرة) له لأنه لو ترك على ظلمه جره إلى الاقتصاص منه (حم خ ت عن أنس

انصر أخاك ظالما) كان (أو مظلوما) قيل كيف ذلك (قال إن يك ظالما فاردده عن ظلمه وإن يك مظلوما فانصره) أعنه على خصمه (الدارمي وابن عساكر عن جابر

انظر) تأمل وتدبر (فإنك) يا إنسان (لست بخير من) أحد من الناس (أحمر) أي أبيض (ولا أسود) زنجيا (إلا أن نفضله) أي تزيد عليه (بتقوى) أي بوقاية النفس عما يضرها في الآخرة (حم عن أبي ذر) الغفاري ورجاله ثقات لكن فيه انقطاع

(انظروا قريشا) أي تأملوا أقوالهم وأفعالهم (فخذوا من قولهم وذروا فعلهم) أي اتركوا اتباعهم فيه وذروا الرأي \ المصيب لكن قد يفعلون ما لا يسوغ شرعا فاحذروا متابعتهم فيه (حم حب عن عامر بن شهر) أحد عمال المصطفى على اليمن

(انظروا إلى من هو أسفل منكم) في أمور الدنيا أي الحزم ذلك (ولا تنظروا إلى من هو فوقكم) فيها (فهو أجدر) أي فالنظر إلى من هو أسفل لا إلى من هو فوق حقيق (أن لا تزدروا) أي بأن لا تحتقروا (نعمة الله عليكم) فإن المرء إذا نظر إلى من فضل عليه في الدنيا استصغر ما عنده من نعم الله فكان سببا لمقته وإذا نظر للدون شكر النعمة وتواضع وحمد فينبغي للعبد أن لا ينظر إلى تجمل أهل الدنيا فإنه يحرك داعية الرغبة فيها ومصداقه ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ ولهذا قال روح الله لا تنظروا إلى أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم (حم م ت هـ عن أبي هريرة

انظرن) بهمزة وصل وضم المعجمة من النظر بمعنى التفكر (من) استفهامية (إخوانكن) أي تأملن أيها النساء في شأن إخوانكن من الرضاع أهو رضاع صحيح متوفر الشروط أم لا قاله لعائشة وقد رأى عندها

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ١/١٤٢

رجلا ذكرت أنه أخوها من الرضاع (فإنما) الفاء تعليلية لقوله انظرن (الرضاعة) المثبتة للتحريم (من المجاعة) بفتح الميم الجوع أي إنما الرضاعة المحرمة ما سد مجاعة الطفل من اللبن بأن أنبت لحمه وقوى عظمه فلا يكفى نحو مصتين ولا إن كان بحيث لا يشبعه إلا الخبز بأن جاوز حولين وأدنى ما يحصل ذلك خمس رضعات تامات (حم ق د ن هـ عن عائشة

انظري) تأملي أيتها المرأة التي هي ذات بعل (أين أنت منه) أي في أي منزلة أنت من زوجك أقريبة من مودته مشفقة له عند شدته أم متباعد منه كافرة لعشرته (فإنما هو) أي الزوج (جنتك ونارك) أي سبب لدخولك الجنة برضاه عنك وسبب لدخولك النار بسخطه عليك وأحسني عشرته ولا تخالفي أمره قاله لامرأة جاءته تسأله عن شيء قال أذات زوج أنت قالت نعم (ابن سعد طب عن عمه حصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين (ابن محصن) // (ورواه عنها النسائي وغيره) //

(أنعم على نفسك) بالإنفاق عليها مما أتاك الله من غير إسراف ولا تقتير (كما أنعم الله عليك) ولا يمنعك من ذلك خوف الفقر فإن الحرص لا يزيل الفقر والإنفاق لا يورثه (ابن النجار عن والد أبي الأحوص أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا) فإن خوف الإقلال من سوء الظن بالله تعالى." [(١)]

"وعز بعمل مثل الزهد في الدنيا، ولا تعبد الله تعالى بمثل أداء الفرائض. أما الزهد في الدنيا فقد جاء القرآن بالحث عليه، وتحبيبه إلى خلقه، ومدحه، والتنفير من ضده، وذم الرغبة في الدنيا. قال الله تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا، والآخرة خير وأبقى﴾ [الأعلى:١٦-١٧] ،وقال تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ [النحل: ٩٦] وقال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ [الحديد:٢٠] ،وقال تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾ [النساء:٧٧] ،وقال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه: ١٣١] وقال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [آل عمران:١٨٥] ، والقرآن مليء بذلك.

ومن الأحاديث: ما رواه ابن ماجه وغيره عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس فقال: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس" ١ وهو حديث حسن، رواه بأسانيد حسنة، كما قال النووي رحمه الله. وروي مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه مر بالسوق والناس مكتنفوه، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، فقال:

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ١/٣٨١

أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء! وما نصنع به؟! قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيا لما رغبنا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟! فقال: والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم" ٢. وقوله: أسك؛ أي: مصطلم الأذنين، مقطوعهما.

وخرج الترمذي من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء" ٣.

---

١ رواه ابن ماجه رقم"٤١٠٢"والقضاعي في مسند الشهاب رقم "٦٤٣"والحاكم "٤/ ٣١٣"، والطبراني في الكبير رقم"٥٩٧٢"من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه. وفي إسناده خالد بن عمرو، قال أحمد وابن معين: أحاديثه موضوعة. وقال البخاري وأبو زرعة: منكر الحديث. وضعفه أبو داود والنسائي. وقول الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد رده الإمام الذهبي بقوله: خالد بن عمرو القرشي وضاع. نقول: وقد حسن الحديث النووي والعراقي بشواهده.

٢ رواه مسلم رقم "٢٩٥٧"في الزهد والرقائق، وأبو داود رقم "١٨٦"في الطهارة من حديث جابر رضي الله عنه.

٣ رواه الترمذي رقم "٢٣٢١". وابن ماجه رقم "٢٤١٠"من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه. وهو حديث حسن.." (١)

"٩٧٣ - (استحيوا من الله حق الحياء) بترك الشهوات والنهمات وتحمل المكاره على النفس حتى تصير مدبوغة فعندها تطهر الأخلاق وتشرق أنوار الأسماء في صدر العبد ويقرر علمه فيعيش غنيا بالله ما عاش

قال البيضاوي: ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول. وقال سفيان بن عيينة: الحياء أخف التقوى ولا يخاف العبد حتى يستحي وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء؟ (من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس) أي رأسه (وما وعى) ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا -[٤٨٨]- فيما يحل (وليحفظ البطن وما حوى) أي وما جمعه باتصاله من القلب والفرج واليدين والرجلين فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيئا في معصية الله فإن الله ناظر في الأحوال كلها إلى العبد لا يوازيه شيء وعبر في الأول

---

(١) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية المناوي ص/١٦٤

بوعي وفي الثاني يحوي للتفنن

قال الطيبي: جعل الرأس وعاء وظرفا لكل مالا ينبغي من رزائل الأخلاق كالفم والعين والأذن وما يتصل بها وأمر أن يصونها كأنه قيل كف عنك لسانك فلا تنطق به إلا خيرا. ولعمري أنه شطر الإنسان قال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده. . . فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ولهذا سيجيء في خبر من صمت نجا. ولم يصرح بذكر اللسان ليشمل ما يتعلق بالفم من أكل الحرام والشبهات وكأنه قيل: وسد سمعك أيضا عن الإصغاء إلى ما لا يعنيك من الأباطيل والشواغل واغضض عينك عن المحرمات والشبهات **ولا تمدن عينيك** إلى ما تمتع به الكفار كيف لا وهو رائد القلب الذي هو سلطان الجسد ومضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله؟ وهنا نكتة وهي عطف ما وعى على الرأس فحفظ الرأس مجملا عبارة عن التنزه عن الشرك فلا يضع رأسه لغير الله ساجدا ولا يرفعه تكبرا على عبادة الله وجعل البطن قطبا يدور على سرية الأعضاء من القلب والفرج واليدين والرجلين. وفي عطف وما حوى على البطن إشارة إلى حفظه من الحرام والاحتراز من أن يملأ من المباح وقد تضمن ذلك كله قوله (وليذكر الموت والبلى) لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية وأعضاؤه متمزقة هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة وعمل على إجلال الله وتعظيمه وهذا معنى قوله (ومن أراد الآخرة) أي الفوز بنعيمها (ترك زينة الدنيا) لأن الآخرة خلقت لحظوظ الأرواح وقرة عين الإنسان والدنيا خلقت لمرافق النفوس وهما ضرتان: إذا أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى فمن أراد الآخرة وتشبث بالدنيا كان كمن أراد أن يدخل دار ملك دعاه لضيافته وعلى عاتقه جيفة والملك بينه وبين الدار عليه طريقه وبين يديه ممره وسلوكه فكيف يكون حياؤه منه؟ فكذا مريد الآخرة مع تمسكه بالدنيا فإذا كان هذا حال من أراد الآخرة فكيف بمن أراد من ليس كمثله شيء؟ فمن أراد الله فليرفض جميع ما سواه استحياء منه بحيث لا يرى إلا إياه (فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء) قال الطيبي: المشار إليه بقوله ذلك جميع ما مر فمن أهمل من ذلك شيئا لم يخرج من عهدة الاستحياء وظهر من هذا أن جبلة الإنسان وخلقته من رأسه إلى قدمه ظاهره وباطنه معدن العيب ومكان المخازي وأنه تعالى هو العالم بها فحق الحياء أن يستحيى منه ويصونها عما يعاب فيها. وأصل ذلك ورأسه ترك المرء ما لا يعنيه في الإسلام وشغله بما يعينه عليه فمن فعل ذلك أورثه الاستحياء من الله. والحياء مراتب: أعلاها الاستحياء من الله تعالى ظاهرا وباطنا وهو مقام المراقبة الموصل إلى مقام المشاهدة. قال في المجموع عن الشيخ أبي حامد: يستحب لكل أحد صحيح أو مريض الإكثار من ذكر هذا الحديث بحيث يصير نصب عينيه والمريض

أولى

(حم ت ك هب عن ابن مسعود) قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه استحيوا من الله قالوا إنا نستحي من الله يا نبي الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ إلخ. صححه المؤلف اغترارا بتصحيح الحاكم وتقرير الذهبي له في التصحيح وليس هو منه بسديد مع تعقبه هو وغيره كالصدر المناوي له بأن فيه أبان بن إسحاق. قال الأزدي تركوه لكن وثقه العجلي عن الصباح بن مرة. قال في الميزان: والصباح واه وقال المنذري رواه الترمذي وقال غريب فعرفه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح قال - أعني المنذري - وأبان فيه مقال والصباح مختلف فيه وتكلم فيه لرفعه هذا الحديث وقالوا: الصواب موقوف والترمذي قال لا يعرف إلا من هذا الوجه." (١)

"١٧٧٧ - (إن الله تعالى لم يأمرنا فيما رزقنا) أي في الرزق الذي رزقناه (أن نكسو الحجارة واللبن) بكسر الباء (والطين) قاله لعائشة رضي الله عنها وقد رآها أخذت غطاء فسترته على الباب فهتكه أو قطعه وفهم منه كراهة ستر نحو باب وجدار لأنه من السرف وفضول زهرة الدنيا التي نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يمد عينيه إليها بقوله ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ الآية والكراهة للتنزيه عند جمهور الشافعية لا للتحريم إذا كان غير حرير خلافا لبعضهم وليس في قوله لم يأمرنا بذلك ما يقتضي التحريم إذ هو إنما يبغي الوجوب والندب

(م د) كلاهما في اللباس (عن عائشة) ظاهر صنيع المؤلف أنه مما تفرد به مسلم عن صاحبه وهو ذهول فقد خرجه البخاري أيضا في اللباس وهو في مسلم مطولا ولفظه عن زيد بن خالد عن أبي طلحة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل قال أي زيد فأتيت عائشة رضي الله عنها فقلت هذا يخبرني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كذا فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك قالت لا ولكن سأحدثكم بما رأيت رأيته خرج في غزاة فأخذت نمطا فسترته على الباب فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهة في وجهه فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال إن الله إلخ." (٢)

"وقال بعض العارفين: " من ترك فضول الكلام وفق للحكمة، ومن ترك فضول الطعام وفق لحلاوة العبادة، ومن ترك الضحك وفق للهيبة، ومن ترك الرغبة وفق للجنة، ومن ترك التجسس وفق لإصلاح عيب نفسه، ومن ترك التوهم في كيفية ذات الله وفق للخشية وسلم من الشك والنفاق، ومن ترك الظن السيئ وفق

---

(١) فيض القدير المناوي ١/٤٨٧

(٢) فيض القدير المناوي ٢/٢٥٤

للسلامة من سوء الاعتقاد في الخلق ". وقيل: النظر المباح يؤثر كما يؤثر غير المباح، وإنما يباح للمعلمين من غير إلحاح، وقد لا ينظر أصلا ولا يمكنه النظر. واعلم أن لأعضائك آدابا يتعلق بها. قال شيخنا – رحمه الله تعالى – في كتابه الهداية: قال صلى الله عليه وسلم: " المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه ".

الاستعانة بنعم الله على معاصيه غاية الكفران:

والمعاصي لا تفعل إلا بالجوارح وهي نعمة من الله تعالى عليك، وأمانة لديك، فاستعانتك بنعمة الله تعالى على معاصيه غاية الكفران، وخيانة في أمانة أودعك الله إياها غاية الطغيان، وأعضاؤك رعاياك، فانظر كيف ترعاها ففي الحديث: "كلكم راع وكل مسئول عن رعيته ".

اعمل ليوم تشهد عليك أعضاؤك:

واعلم أن جميع أعضاؤك تشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق تفضحك به على رءوس الخلائق قال الله تعالى: (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) . وقال: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) . فاحفظ جميع بدنك خصوصا أعمال أعضائك السبعة، فإن جهنم لها سبعة أبواب، لكل باب منها جزء مقسوم، ولا يتعين لتلك الأبواب إلا من عصى الله بهذه الأعضاء: العين، والأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرجل، على كل جارحة من الجوارح آداب تختص به.

آداب كل جارحة منها:

فآداب البصر أن ينظر إلى إخوانه نظر مودة ومحبة، يعرفها منك ومن حضر المجلس، ويكون نظرة إلى محاسنه، وإلى أحسن شيء يبدو منه وأن لا يصرف عنه بصره في وقت إقباله عليه، وإن يخفف بصره عن زخارف الدنيا، كالبنيان المنقوش والأشياء التي تتطلع النفس إلى طلب مثلها، وتحبب النساء إلى القلب قال الله تعالى: (**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) . وليعلم الإنسان أن البصر صاحب خبر ينقل حال المبصرات إلى القلب، فينقش صورها، فينبغي أن يصان القلب عن نقل ما يؤديه إليه؛ ليكون مفتوحا لما يصدره من الفكر والذكر، ثم ثبت أن أشرف الأشياء رؤية الله تعالى بالعيون في الآخرة، فحقيق لصاحب هذا الرجاء أن يصون هذا العضو لما يرجو له من تلك المنقبة. وآداب السمع: أن يسمع إلى حديث سماع مشته بما يسمع، متلذذ به، وإذا كلمته لا تصرف بصرك عنه، ولا تقطع حديثه بسبب من الأسباب؛ فإن اضطرك الوقت إلى شيء من ذلك أشعرت فيه، وأظهرت له عذرك! أحذر أن

تسمع به عودا أو مزمارا، أو تصغي بها إلى بدعة، أو غيبة، أو فحش. أو خوض في باطل، أو ذكر في مساوئ الناس أو غير ذلك من الملاهي المنهي عن سماعها، من غناء بالأشعار مهيجة للطبع والهوى، وسماع كلام الأجنبية إلا لحاجة، فإن خلقا من العباد فتنوا بالكلام كما افتتن غيرهم بالنظر.

إياك والغيبة!: وأما سماع الغيبة ونحوها مما يتأكد اجتنابه لا يختص به القائل دون المستمع، ففي الحديث أن المستمع شريك القائل فإن المستمع أحد المغتابين؛ فينبغي أن ينزه سمعه، كما ينزه بصره، لأنه صاحب خبر يوصل إلى القلب أخبار المسموعات.

رياض المسك جزاء من نزه نفسه وسمعه عن مجالس اللهو:

قال محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى: " إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن مجالس اللهو ومزامير الشياطين، أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تحميدي وتمجيدي ".

وآداب اللسان:." (١)

"فقال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته فقال: "والله لو باعني أو أسلفني لقضيته إني لأمين في السماء أمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه" فنزلت هذه الآية تعزية له - صلى الله عليه وسلم -: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا﴾ الآية هذا أحد ألفاظه وفيه جواز تزكية النفس لغرض ديني (طب عن أبي رافع) (١).

١٥٩١ - "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله (م عن عمرو بن العاصي) ".

(أما علمت) يا عمرو بن العاص إذ الخطاب له (أن الإسلام يهدم ما كان قبله) من الذنوب لأن عمرا لما جاء ليسلم قال: إني أشترط أن يغفر لي فقال له - صلى الله عليه وسلم - وزاده: (وإن الهجرة) من دار الكفر (تهدم ما كان قبلها) من الذنوب في دار الكفر ومن عدم الهجرة مع وجوبها (وأن الحج يهدم ما كان قبله) وهو ظاهر في هدم جميع ما ذكر حتى من حقوق العباد (م عن عمرو بن العاصي) ويقال العاص بدون ياء (٢).

---

(١) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان المشتولي ص/٦

١٥٩٢ - "أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلى فإذ وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعي بك فيتسع له مد بصره ويفتح

---

(١) أخرجه البزار (٣٨٦٣)، والطبراني (١/ ٣٣١، رقم ٩٨٩). قال الهيثمي (٤/ ١٢٦): فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف. وأخرجه أيضا: الروياني (١/ ٤٦٢، رقم ٦٩٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١).." [1]

"والخيلاء (ونظر في دنياه إلى من هو فوقه) أي من أصحاب المال والجاه وأورثه الحرص والأمل والرياء (فأسف) بكسر السين أي حزن (على ما فاته منه) أي من المال وغيره بعدم وجوده أو بحصول فقده وقد قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم (لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا) لعدم صدور واحد منه بل قام بضديهما من الكفران والجزع والفزع باللسان والجنان

قوله (حدثنا موسى بن حزام) بزاي الترمذي أبو عمران نزيل بلخ ثقة فقيه عابد من الحادية عشرة (أخبرنا علي بن إسحاق) السلمي مولاهم المروزي أصله من ترمذ

ثقة من العاشرة

قوله (هذا حديث غريب) في سنده المثنى بن الصباح وهو ضعيف كما عرفت

[٢٥١٣] قوله (انظروا إلى من هو أسفل منكم) أي في أمور الدنيا (ولا تنظروا إلى من هو فوقكم) فيها (فإنه) أي فالنظر إلى من هو أسفل لا إلى من هو فوق (أجدر) أي أحرى (أن لا تزدروا) أي بأن لا تحتقروا والازدراء الاحتقار فكان أصله الازتراء فأبدلت التاء بالدال (نعمة الله عليكم) فإن المرء إذا نظر إلى من فضل عليه في الدنيا استصغر ما عنده من نعم الله فكان سببا لمقته وإذا نظر للدون شكر النعمة وتواضع وحمد

فينبغي للعبد أن لا ينظر إلى تجمل أهل الدنيا فإنه يحرك داعية الرغبة فيها ومصداقه **ولا تمدن عينيك** إلى

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣/٢٠١

ما منعتا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
قوله (هذا حديث صحيح) وأخرجه أحمد ومسلم وبن ماجه." [١]

"ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله" وقد كان مبدأ هذا الغلو في الصالحين بعد موتهم في قوم نوح عليه السلام كما ذكره الله في كتابه العزيز قال الله تعالى: ﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ [نوح، الآيات: ٢١-٢٣] "كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقطون المطر، فعبدوهم، ثم عبدتهم العرب". ذكره المفسرون عن ابن عباس وغيره من السلف، وروى ابن جرير بإسناده عن منصور عن مجاهد: "أفرأيتم اللات والعزى؟ قال: كان يلت لهم السويق"وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان يلت السويق للحاج" قال ابن القيم رحمه الله: فقد رأيت أن سبب عبادة يغوث ويعوق ونسرا واللات: إنما كانت من تعظيم قبورهم، ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم، قال: وقال شيخنا: وهذه هي العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور، انتهى.

فقد تبين مما سقناه في هذا الوجه: أن سبب عبادة الأولياء والصالحين هو الغلو في قبورهم، ولذلك نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولعن فاعله.

الوجه الثاني: إن وضع هذا الحطام في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو على قبره الشريف، مخالف لما أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الزهد في الدنيا والتجافي عنها تحقيرا لشأنها وترغيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما لديه من النعيم المقيم، ومخالف لسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام في ذم الدنيا والزهد فيها، والرغبة فيما عند الله تعالى امتثالا لأمره وإيمانا بصدق وعده قال تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض." [٢]

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٧/١٨٢

(٢) البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار فوزان السابق ص/١٠٠

"الفصل السادس: نعيم أهل الجنة

المبحث الأول: فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا

متاع الدنيا واقع مشهود، ونعيم الجنة غيب موعود، والناس يتأثرون بما يرون ويشاهدون، ويثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي، فكيف إذا كان الموعود ينال بعد الموت؟ من أجل ذلك قارن الحق تبارك وتعالى بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبين أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان فضل الآخرة، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها.

وتجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار) [آل عمران: ١٩٨] ، وقوله: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزوجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) [طه: ١٣١] .." [١]

"٣ - (باب قوله) تعالى (﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾) صيغة جمع واحدة مثناة، والمثناة كل شيء يثنى من قولك: ثنيت الشيء ثنيا؛ أي: عطفته وضممت إليه آخر، والمراد: فاتحة الكتاب، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة والربيع والكلبي، ويروى ذلك مرفوعا كما يجيء عن قريب إن شاء الله تعالى.

وسميت بذلك؛ لأن أهل السماء يصلون بها كما يصلي أهل الأرض، وقيل: لأن حروفها وكلماتها مثناة مثل: الرحمن الرحيم، إياك وإياك، الصراط صراط، عليهم عليهم، غير وغير في قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال الحسين بن الفضل: لأنها نزلت مرتين، مع كل مرة منهما سبعون ألف ملك، مرة بمكة من أوائل ما نزل من القرآن، ومرة بالمدينة، وسيأتي ما يتعلق بذلك أيضا في شرح حديث الباب إن شاء الله تعالى.

وسبب نزول هذه الآية أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود بني قريظة والنضير في يوم واحد، وفيها أنواع

[ج ٢٠ ص ١٠٠]

من البز وأفاويه الطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله تعالى، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾ [الحجر:

---

(١) الجنة والنار سليمان الأشقر، عمر ص/٢٢٣

٨٧] أي: سبع آيات هي خير لك من هذه السبع القوافل، ويدل على هذا قوله عز وجل في عقبها: ﴿لا تمدن عينيك﴾ [الحجر: ٨٨] الآية.

(﴿والقرآن العظيم﴾) من عطف العام على الخاص إذ المراد بالسبع؛ إما الفاتحة كما سبق، أو السور الطوال كما سيأتي، ويحتمل أن يكون من عطف بعض الصفات على بعض، أو الواو مقحمة.

==================." (١)

"إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها، وقد فسر قوله سبحانه وتعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ ؛ أي: من صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

٨- ومن مظاهر موالاة الكفار: مدحهم، والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم؛ دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد. قال تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ ١.

وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية، بل ذلك مطلوب؛ قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ٢.

وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في االأصل للمسلمين؛ قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ ٣، وقال تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ ٤، وقال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ ٥.

فالواجب أن يكون المسلمون سباقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، يجب أن تكون لهم مصانع وتقنيات.

٩- ومن مظاهر موالاة الكفار التسمي بأسمائهم؛ بحيث يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الأسماء عبد الله

---

١ سورة طه، الآية: ١٣١.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٦٣٤٣

٢ سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

٣ سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

٤ سورة الجاثية الآية: ١٣.

٥ سورة البقرة، الآية: ٢٩.." [1]

"تاسعا: فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا:

قارن المولى عز وجل بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبين أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان الآخرة، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها، ونجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع (١)، قال تعالى:" لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار" (طه، آية: ١٣).

ـ وقوله:" **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى" (طه، آية: ١٣١).

ـ وقال في موضع ثالث:" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب*قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد" (آل عمران، آية: ١٤ ـ ١٥) وسر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا من وجوه منها.

١ـ متاع الدنيا قليل: قال تعالى:"قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى" (النساء، آية: ٧٧).

---

(١) الجنة والنار للأشقر ص٢٢٣.." [2]

"فنحمد الله العزيز الذي أنزل كتابا عزيزا: "وإنه لكتاب عزيز" (فصلت، آية: ٤١) على نبي عزيز " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز" (التوبة، آية: ١٢٨).

لأمة عزيزة " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين" (المنافقون، آية: ٨) (١).

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد صالح الفوزان ص/٣١٢

(٢) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/٣١٩

٣. الكريم:

قال تعالى:" فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم" (الواقعة، آية: ٧٥ ـ ٧٧).

والكريم: اسم جامع لما يحمد وذلك أن فيه ـ البيان والهدى والحكمة وهو معظم عند الله عز وجل (٢).

٤. المجيد:

قال تعالى:" بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ" (البروج، آية: ٢١ ـ ٢٢).

وقال تعالى:" ق والقرآن المجيد" (ق، آية: ١).

والمعنى: إن هذا القرآن الذي كذبوا به شريف الرتبة في نظمه وأسلوبه حتى بلغ حد الإعجاز، منتاه في الشرف والكرم والبركة، وليس هو كما يقولون: إنه شعر وكهانة وسحر، وإنما هو كلام الله المصون عن التغيير والتحريف، المكتوب في اللوح المحفوظ (٣).

٥. العظيم:

لقد نوه الله تبارك وتعالى بعظمة القرآن، فقال تعالى:" ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم" (الحجر، آية: ٨٧ ـ ٨٨).

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها وما متعنا به أهلها، استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم، عما فيه من المتاع والزهرة الفانية (٤).

فالقرآن هو النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة فعليك أن تستغني به (٥).

---

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ١٩).

(٢) زاد المسير (٨/ ١٥١).

(٣) التفسير المنير (١٥/ ٥٤٥).

(٤) عظمة القرآن الكريم صـ ١٩٦.

(٥) الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٤٩).." [١]

"الأصل السادس: إثبات الحكمة في أفعال الله

الأصل السادس: الإيمان بأن سائر أفعاله وخلقه وأمره سبحانه وتعالى لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، وقال سبحانه: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف:٥٤]، والحكمة التي أجمع عليها السلف رحمهم الله، ليست هي الحكمة التي يثبتها المتكلمون من المعتزلة وغيرهم، فإن إثباتهم فيها قاصر، فإن السلف كما قرر شيخ الإسلام، يؤمنون بحكمة الباري سبحانه وتعالى، المتعلقة بذاته صفة له، والمتعلقة بمفعولاته على ما تقتضيه هذه الحكمة، نعمة، أو ابتلاء، أو عقوبة، أو غير ذلك، ولهذا قد يكون الشيء الواحد لبعض العباد نعمة ولبعضهم عقوبة، ولبعضهم ابتلاء ومحنة.

مثال ذلك المال؛ فإن الله سبحانه وتعالى آتى داود مالا عظيما، فقال: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد﴾ [سبأ:١٠].

ولاشك أن هذا الملك والمال الواسع الذي أوتيه داود عليه الصلاة والسلام هو نعمة، ولذلك سماه الله سبحانه وتعالى فضلا، وأضافه إليه فقال: (ولقد آتينا داود منا).

وقد يكون المال عقوبة، كقوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ [الأنعام:٤٤] قال طائفة من السلف: فتح الله عليهم الدنيا، وكما في قوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ [الكهف:٢٨]، والإغفال قد يكون بالدنيا، وقد يكون بغيرها، ولهذا قال الله تعالى لنبيه: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ [طه:١٣١].

وقد يكون المال ابتلاء ومحنة كالولد، كما قال تعالى: ﴿أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [الأنفال:٢٨]، وكل هذا يرجع إلى حكمته سبحانه وتعالى وقضائه وعدله، أو فضله وإحسانه.." [٢]

"ص -٦٧-...حديدا﴾ [الاسراء: من الآية٥٠ [والإهانة كقوله ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان:٤٩[الدخان والتسوية كقوله ﴿فاصبروا أو لا تصبروا ﴾[الطور: من الآية١٦[الطور والإنذار كقوله ﴿كلوا وتمتعوا ﴾[المرسلات: من الآية٤٦[والدعاء كقوله "اللهم اغفر لي" والتمني كقول الشاعر

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

---

(١) الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية علي محمد الصلابي ص/٢٤

(٢) شرح الطحاوية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ١٠/٤

ولكمال القدرة كقوله ﴿كن فيكون﴾[يس: من الآية٨٢] وأما صيغة النهي وهو قوله لا تفعل فقد تكون للتحريم وللكراهية والتحقير كقوله ﴿**لا تمدن عينيك** ﴾[الحجر: من الآية٨٨] الحجر ولبيان العاقبة كقوله﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾[ابراهيم: من الآية٤٢] إبراهيم وللدعاء كقوله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولليأس كقوله﴿لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: من الآية٧] التحريم وللإرشاد كقوله﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾[المائدة: من الآية١٠١]﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾[المائدة: من الآية١٠١] فهذه خمسة عشر وجها في إطلاق صيغة الأمر وسبعة أوجه في إطلاق صيغة النهي فلا بد من البحث عن الوضع الأصلي في جملة ذلك ما هو؟ والمتجوز به ما هو ؟

وهذه الأوجه عدها الأصوليون شغفا منهم بالتكثير وبعضها كالمتداخل.

فإن قوله : "كل مما يليك" جعل للتأديب وهو داخل في الندب والآداب مندوب إليها﴿تمتعوا ﴾ وقوله للآخرة المرسلات للإنذار قريب من قوله﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ الذي هو للتهديد .ولا نطول بتفصيل ذلك وتحصيله فالوجوب والندب." (١)

"(باب : النهي مقابل للأمر في كل حاله) أي في كل الذي للأمر من كونه من المتن الذي يشترك فيه الكتاب والسنة والآجماع . . ومن كونه نوعا من الكلام وغير ذلك (وصيغته) (لا تفعل . وترد) لمعان كثيرة : أحدها : كونها (لتحريم) وهي حقيقة فيه فقط . نحو قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ وقوله تعالى ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ (و) الثاني : ل (كراهة) نحو قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يمس أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول ﴾ ومثله المحلى وغيره بقوله تعالى ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ (و) الثالث كونها ل (تحقير) نحو قوله تعالى ﴿ **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ (و) الرابع : كونها ل (بيان العاقبة) نحو قوله تعالى ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ (و) الخامس : كونها ل (دعاء) نحو قوله تعالى ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ وقوله تعالى ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ (و) السادس : كونها ل (يأس) نحو قوله تعالى ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ وبعضهم مثل به للاحتقار (و) السابع كونها ل (إرشاد) نحو قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا." (٢)

---

(١) المستصفى من علم الأصول، ٦٥/٢

(٢) الكوكب المنير شرح مختصر التحرير، ٢٩٣/١

"الإهانة : فلما يذكر لفظ يراد به الإكرام ويكون المراد ضده فحينئذ يكون هذا الأمر للإهانة مثل قوله تعالى " ذق إنك أنت العزيز الكريم "

التهديد : مثل قوله تعالى" اعملوا ما شئتم أنه بما تعملون بصير "

التعجيز : مثل قوله تعالى " فادرءوا عن أنفسكم الموت " وقوله تعالى " فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين " .

المشورة : مثل قوله تعالى " فماذا تأمرون "

التصبر :مثل قوله تعالى " لا تحزن إن الله معنا "

الإنذار : مثل قوله تعالى " ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل "

التعجب : مثل قوله تعالى " انظر كيف ضربوا لك الأمثال "

التسليم : مثل قوله تعالى " فاقض ما أنت قاض "

الاعتبار: مثل قوله تعالى " قل سيروا في الأرض فانظروا ..." وقوله تعالى " انظروا إلى ثمره إذا أثمر "

الإرشاد :مثل قوله تعالى " وأشهدوا إذا تبايعتم " والنبي تابع دون إشهاد ومثل قول النبي صلى الله عليه وسلم "كلوا الزيت وادهنوا به "

الدعاء : مثل قوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم "

الامتنان : وهو غير المباح فالإباحة تكون مجرد الفعل أو الترك وأما الامتنان فغالبا يذكر مع قرينة احتياج الخلق له وعدم قدرتهم عليه مثل قوله تعالى "كلوا من طيبات ما رزقناكم "

التكوين و السخرية : مثل قوله تعالى "كونوا قردة خاسئين "

والمراد في صيغة النهي غير التشريع وهي :

الإياس: مثل قوله تعالى" لا تعتذروا اليوم "

التقليل و التحقير : مثل قوله تعالى " **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم "

الإرشاد : مثل قوله تعالى " لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم "

الدعاء : مثل قوله تعالى " ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به "." (١)

" والإسراج أعني طلبه والميل إليه لارتباط غرضه به فإن ثبت أن الأمر يرجع إلى هذه الإرادة لزم إقتران الأمر والإرادة في حق الله تعالى حتى لا تكون المعاصي الواقعة إلا مأمورا بها مرادة إذ الكائنات كلها مرادة

---

(١) الكلمات النيرات في شرح الورقات الشيخ مشهور حسن حفظه الله، ٢/ ٤٠

أو ينكر وقوعها بإرادة الله فيقال إنها على خلاف إرادته وهو شنيع إذ يؤدي إلى أن يكون ما يجري في ملكه على خلاف ما أراد أكثر مما يجري على وفق إرادته وهي الطاعات وذلك أيضا منكر فما المخلص من هذه الورطة قلنا هذه الضرورة التي دعت الأصحاب إلى تمييز الأمر عن الإرادة فقالوا قد يأمر السيد عبده بما لا يريده كالمعاتب من جهة السلطان على ضرب عبده إذا مهد عنده عذره لمخالفة أوامره فقال له بين يدي الملك أسرج الدابة وهو يريد أن لا يسرج إذ في إسراجه خطر وإهلاك للسيد فيعلم أنه لا يريده وهو آمرا إذ لولاه لما كان العبد مخالفا ولما تمهد عذره عند السلطان وكيف لا يكون آمرا وقد منهم العبد والسلطان والحاضرون منه الأمر فدل أنه قد يأمر بما لا يريده هذا منتهى كلامهم وتحته غور لو كشفناه لم تحتمل الأصول التفصي عن عهدة ما يلزم منه ولتزلزلت به قواعد لا يمكن تداركها إلا بتفهيمها على وجه يخالف ما سبق إلى أوهام أكثر المتكلمين والقول فيه يطول ويخرج عن خصوص مقصود الأصول

النظر الثاني في الصيغة وقد حكى بعض الأصوليين خلافا في أن الأمر هل له صيغة وهذه الترجمة خطأ فإن قول الشارع أمرتكم بكذا وأنتم مأمورون بكذا أو قول الصحابي أمرت بكذا كل ذلك صيغ دالة على الأمر وإذا قال أوجبت عليكم أو فرضت عليكم أو أمرتكم بكذا وأنتم معاقبون على تركه فكل ذلك يدل على الوجوب ولو قال أنتم مثابون على فعل كذا ولستم معاقبين على تركه فهو صيغة دالة على الندب فليس في هذا خلاف وإنما الخلاف في أن قوله إفعل هل يدل على الأمر بمجرد صيغته إذا تجرد عن القرائن فإنه قد يطلق على أوجه منها بالوجوب كقوله أقم الصلاة والندب كقوله فكاتبوهم والإرشاد كقوله واستشهدوا والإباحة كقوله فاصطادوا والتأديب كقوله لابن عباس كل مما يليك والامتنان كقوله كلوا مما رزقكم الله والإكرام كقوله دخلوها بسلام آمنين (الحجر ٤٦) والتهديد كقوله عملوا ما شئتم (فصلت ٤٠) والتسخير كقوله كونوا قردة خاسئين (البقرة ٦٥) والإهانة كقوله ذق إنك أنت لعزيز لكريم (الدخان ٤٩) والتسوية كقوله فاصبروا أو لا تصبروا (الطور ١٦) والإنذار كقوله كلوا وتمتعوا (المرسلات ٤٦)

والدعاء كقوله اللهم اغفر لي والتمني كقول الشاعر ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ولكمال القدرة كقوله كن فيكون (يس ٨٢)

وأما صيغة النهي وهو قوله لا تفعل فقد تكون للتحريم وللكراهية والتحقير كقوله **لا تمدن عينيك** (الحجر ٨٨) ولبيان العاقبة كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون (إبراهيم ٤٢) وللدعاء كقوله

ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولليأس كقوله لا تعتذروا اليوم (التحريم ٧) وللإرشاد كقوله لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم (المائدة ." [١]

" مسألة الأمران المتعاقبان بمتماثلين ولا مانع عادة من التكرار من تعريف أو غيره والثانى غير معطوف مثل صل ركعتين قيل معمول بهما واختاره القاضى وأبو البركات واكثر الشافعية

وقيل تأكيد واختاره أبو الخطاب والمقدسى

وقيل بالوقف

مسألة يجوز أن يرد الأمر معلقا باختيار المأمور ذكره القاضى وابن عقيل

مسألة يجوز أن يرد الأمر والنهى دائما الى غير غاية فيقول صلوا ما بقيتم أبدا عند الأكثر خلافا للمعتزلة

مسألة الأمر بالصفة أمر بالموصوف نص عليه أمامنا

النهى مقابل الأمر فما قيل فى حد الأمر وان له صيغة تخصه وما فى مسائله من صحيح وضعيف فمثله هنا

وصيغة لا تفعل وان احتملت تحقيرا كقوله **لا تمدن عينيك** وبيان العاقبة ولا تحسبن الله غافلا والدعاء لا تؤاخذنا والياس لا تعتذروا اليوم والارشاد لا تسألوا عن اشياء فهى حقيقة فى طلب الامتناع وتختص به مسألتان ." [٢]

" ومثال النهي عن الفعل لأمر خارج عنه لا تعلق به عقلا ما لو نهى عن الصلاة في دار لأن فيها صنما مدفونا أو شرعا ما لو نهى عن بيع الجوز والبيض خشية أن يقامر به أو عن بيع السلاح من المسلمين خشية أن يقطعوا به الطريق أو عن غرس العنب أو بيعه خشية أن يعصر خمرا ونحوه

لم يكن ذلك النهي مبطلا ولا مانعا لأن هذه المفاسد وإن تعلقت بهذه الأفعال تعلقا عقليا بمعنى أن هذه الأفعال تصلح أن تكون سببا لتلك المفاسد لكنها غير متعلقة بها شرعا لأن الشرع لم يعهد منه الالتفات في المنع إلى هذا التعلق العقلي البعيد ومثال ما كان النهي فيه لوصف غير لازم النهي عن البيع وما في معناه من العقود وقت النداء وإنما نهى عنه لكونه بالجملة متصفا بكونه مفوتا للجمعة أو مفضيا

---

(١) المستصفى، ص/٢٠٤

(٢) المختصر في أصول الفقه، ص/١٠٣

إلى التفويت بالتشاغل بالبيع لكن هذا الوصف غير لازم للبيع لجواز أن يعقد مائة عقد ما بين النداء إلى الصلاة ثم يدركها فلا تفوت فالأولى في هذا العقد الصحة

فوائد الأولى ما علق عليه الأمر من شرط كقوله إذا زالت الشمس فصلوا أو صفة كقوله تعالى لزانية ولزاني فجلدوا (النور ٢) إن ثبت أنه علة للفعل فلا خلاف في تكرره بتكرره وإن لم يكن علة فإن قيل الأمر المطلق للتكرار فههنا أولى وإن قيل ليس للتكرار اختلفوا ههنا واختار الآمدي عدمه وأما النهي المعلق بما يتكرر فمن قال مطلق النهي يقتضي التكرار أثبت التكرار ههنا بطريق الأولى ومن قال لا يقتضي التكرار اختلفوا هل يقتضيه أم لا والأظهر أنه يقتضيه بخلاف الأمر

الثانية ترد صيغة الأمر للتحريم نحو لا تقتلوا وللكراهة نحو لا يمسك ذكره وهو يبول وللتحقير نحو **ولا تمدن عينيك** (طه ١٣١) ولبيان ." (١)

"(١) فتح البارز ١/ ٩ أس

(٢) سورة الأحزاب: امية ٥٠

٢٦٩

(٢٦٣/١)

وقد يكون في النمسا الدال على الخصوصية خفاء فيقع فيه الخلاف. ومن ذلك قوله تعالى في صلاة الخوف: لواذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة... ! (١) الأيام، يقول القرطبي:أ هذه الأمة خطاب للنبي !نه!ه، وهو يتناول الأمراء بعده إلى يوم القيامة. هذا قول كافة العجلى. وشذ أبو يوسف، وإسماعيل بن علية، فقالا: لا تصلى صلاة الخوف بعد البي عز، فإن الخطاب كان خاصا له بقوله: (!إذا كنت فيهم ! وإذا/ يكن فيهم لم يكن لهم ذلك، لأن النبي جمعه ليس كغيره في ذلك، وليس أحد بعده يقوم مقامه... فلذلك يصلي الإمام بفريق، ويدمر من يصلي بالفريق الأخر، وأما أن يصلوا بإمام واحد فلا" (٣) ٠ الد.

ثم ذكر أن الجمهور يرون اتباعه !ئه!ي! مطلقا حتى يملى دليل واسع على الخصوص، ولئلا تكون الشريعة قاصرة على من خوطب. وقد عمل الصحابة بصلاة الخوف بعده !

ثم إن خاطب الله تعالى نبيه بالحكم بضمير المفرد، أو بقوله يا أيها النبي، لم

---

(١) المدخل، ص/٢٣٥

يدل ذلك على الاختصاص، لأنه عند قائد أمته في طريقها إلى الله، والأمر للقائد أمر لأتباعه. ومن رفض المشاركة في الحكم هنا بمقت!ا اللفظ لا يمنع القياس. ومثاله قوله تعالى ة **ألا تمدن عينيك** إلا ما متعنا به أزواجا منهم ! (٣) وقوله: !!وشاورهم في اامر! (٤،-

وسياقه لهذا البحث زيادة بيان في مبحث قوله المساواة من فصل الفعل المجرد.

الثاقب: أن يقول-فييه ذلك. كنهيه لهم عن الوصال لما واصل، وقالت: أأ إفك

لست كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ". وقال لا دخولي مكة مقاتلا إ إن أحد نرخص بقتال وممول الله ي، فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يؤذن لكم ".

(١) سورة النساء: آية ١٠٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤ ٣٦- ٣٦٦ (١٣ سورة الحجر: آية لمه

(٤) سورة آل عمران: آية ١٥٩

٢٧٠

(٢٦٤/١)

أما لو ورد الإخبار من النبي ! أنه يفعل كذا أو لا يفعل كذا، فلا يدل." (١)

" بالصيغة ترد لسبعة محامل التحريم مثل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق والتنزيه مثل قوله عليه السلام ولا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول والدعاء ربنا لا تزغ قلوبنا والإرشاد لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وبيان العاقبة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء والتحقير **لا تمدن عينيك** واليأس لا تعتذروا اليوم

والكلام أن صيغة النهي هل هي حقيقة التحريم أو الكراهة ان مشتركة بينهما أو موقوفة على ما سبق في الامر فالخلاف في اكثر المسائل على وزان الخلاف في مقابلتها من مسائل النهي والمآخذ كالمآخذ وقد سبق ان الامر المجرد عن القرينة يقتضي الوجوب فالمختار ان النهي المجرد عن القرينة يقتضي التحريم

---

(١) أفعال الرسول ودلالتها علي الأحكام الشرعية، ص/٢١٠

واعلم أنه إذا ثبت ان الامر للوجوب والنهي نقيضه فلا يثبت ان النهي للتحريم بل انه ليس للوجوب لأن نقيض الوجوب لا وجوب ولما كان في الرأي المختار زيادة وهو ان النهي للتحريم استدل عليه بقوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا ووجه الاحتجاج انه أمر بالانتهاء عن المنهى والأمر للوجوب فكان الانتهاء عن المنهي واجبا وذلك هو المراد من قولنا النهي للتحريم ولقائل ان يقول هذا أولا لا يتم الا بعد تسليم ان الأمر للوجوب وثانيا ان التحريم حينئذ لا يكون مستفادا من صيغة النهي بل بما دل من خارج وهو قوله فانتهوا بل قد يقال لو كان النهي للتحريم لما احتيج إلى الأمر باجتناب المنهي عنه فكان الأمر بذلك دليلا على ان التحريم غير مكتسب منه وبهذا يظهر لك ان التحريم مستفاد من الشرع لا من اللغة ولم ترد الصيغة المطلقة من حيث اللغة على تضمن جزم الاقتضاء في الإنكفاف عن المنهي عنه كما قدمناه في الأمر إذا قلنا الصيغة المطلقة تتضمن جزم الاقتضاء في المأمور به وهذا هو مذهب امام الحرمين الذي اخترناه كما علمت ثم قال

وهو كالأمر في التكرار والفور

حكم النهي حكم الأمر في عدم دلالته على التكرار وعلى الفور وقد اختار ." [1]

" الصنف الثاني في النهي أعلم أنه لما كان النهي مقابلا للأمر فكل ما قيل في حد الأمر على أصولنا وأصول المعتزلة من المزيف والمختار فقد قيل مقابله في حد النهي ولا يخفى وجه الكلام فيه

والكلام في أن النهي على أصول أصحابنا هل له صيغة تخصه وتدل عليه فعلى ما سبق في الأمر أيضا وأن صيغة لا تفعل وإن ترددت بين سبعة محامل وهي التحريم والكراهة والتحقير كقوله تعالى ﴿ **ولا تمدن عينيك** ﴾ (٥٥) الحجر ٨٨) وبيان العاقبة كقوله ﴿ ولا تحسبن الله غافلا ﴾ (١٤) إبراهيم ٤٢) والدعاء كقوله لا تكلنا إلى أنفسنا واليأس كقوله ﴿ لا تعتذروا اليوم ﴾ (٦٦) التحريم ٧) والإرشاد كقوله ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ ." [2]

"الصنف الثاني في النهي: أعلم أنه لما كان النهي مقابلا للأمر فكل ما قيل في حد الأمر على أصولنا وأصول المعتزلة من المزيف والمختار فقد قيل مقابله في حد النهي ولا يخفى وجه الكلام فيه.

والكلام في أن النهي على أصول أصحابنا هل له صيغة تخصه وتدل عليه؟ فعلى ما سبق في الأمر أيضا وأن صيغة لا تفعل وإن ترددت بين سبعة محامل وهي التحريم والكراهة والتحقير كقوله تعالى: "**ولا تمدن**

---

(١) الإبهاج، ٦٧/٢

(٢) الإحكام للآمدي، ٢٠٨/٢

عينيك" "طه ١٣١" وبيان العاقبة كقوله: "ولا تحسبن الله غافلا" "إبراهيم ٤٢" والدعاء كقوله: "لا تكلنا إلى أنفسنا" واليأس كقوله: "لا تعتذروا اليوم" "التحريم ٧" والإرشاد كقوله: "لا تسألوا عن أشياء" فهي حقيقة في طلب الترك واقتضائه ومجاز فيما عداه وأنها هل هي حقية في التحريم أو الكراهة أو مشتركة بينهما أو موقوفة؟ فعلى ما سبق في الأمر من الزيف والمختار والخلاف في أكثر مسائله فعلى وزان الخلاف في مقابلاتها من مسائل الأمر ومأخذها كمأخذها فعلى الناظر بالنقل والاعتبار.

غير أنه لا بد من الإشارة إلى ما تدعو الحاجة إلى معرفته من المسائل الخاصة بالنهي لاختصاصها بمأخذ لا تحقق له في مقابلاتها من مسائل الأمر وهي ثلاث مسائل.." (١)

"المبحث الثاني: النهي الحقيقي ومعناه

اختلفوا في معنى النهي الحقيقي، فذهب الجمهور إلى أن معناه الحقيقي هو التحريم، وهو الحق، ويرد فيما عداه مجازا كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تصلوا في مبارك الإبل" ١ فإنه للكراهة. وكما في قوله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ ٢ فإنه للدعاء، وكما في قوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ ٣ فإنه للإرشاد، وكما في قول السيد لعبده الذي لم يمتثل أمره: لا تمتثل أمري؟! فإنه للتهديد، وكما في قوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ ٤ فإنه للتحقير، وكما في قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ ٥ فإنه لبيان العاقبة، وكما في قوله تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ ٦ فإنه للتأييس، وكما في قولك لمن يساويك: "لا تفعل" فإنه للالتماس.

والحاصل: أنه يرد مجازا لما ورد له الأمر كما تقدم٧، ولا يخالف الأمر إلا في كونه يقتضي التكرار في جميع الأزمنة، وفي كونه للفور فيجب ترك الفعل في الحال.

قيل: ويخالف الأمر أيضا في كون تقدم الوجوب قرينة دالة على أنه للإباحة، ونقل الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني الإجماع على أنه لا يكون تقدم الوجوب قرينة للإباحة، وتوقف الجويني في نقل الإجماع، ومجرد هذا التوقف لا يثبت له الطعن في نقل الأستاذ.

واحتج القائلون: بأنه حقيقة في التحريم: بأن العقل يفهم الحتم من الصيغة المجردة "عن القرائن"* وذلك دليل الحقيقة.

---

* في "أ": القرينة.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، ٤٣٦/١

١ أخرجه الترمذي بنحوه من حديث أبي هريرة، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مرابض الغنم وأعطان الإبل "٣٤٨" وقال: حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الصلاة في أعطان الإبل وقراح الغنم "٧٦٨" وفي الزوائد: إسناده صحيح، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه "٨٩٥". وابن حبان في صحيحه "١٣٨٤". والبيهقي، كتاب الصلاة، باب كراهة الصلاة في أعطان الإبل "٢/ ٤٤٩". قال الترمذي: وفي الباب عن جابر بن سمرة والبراء وسبرة بن معبد وعبد الله بن مغفل وابن عمر وأنس.

٢ جزء من الآية "٨" من سورة آل عمران.

٣ جزء من الآية "١٠١" من سورة المائدة.

٤ جزء من الآية "٨٨" من سورة النجم.

٥ جزء من الآية "٤٢" من سورة إبراهيم.

٦ جزء من الآية "٧" من سورة التحريم.

٧ انظر صفحة: "٢٤٧".." [1]

"الآية رقمها الجزء/ الصفحة

﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ ٨٠ ١/ ٢٥٥

سورة هود

﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ ٦ ١/ ٣٥٥

﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور﴾ ٤٠ ١/ ٢٤٢

﴿وأهلك﴾ ٤٠ ٢/ ٢٧

﴿أتعجبين من أمر الله﴾ ٧٣ ١/ ٢٤٢

﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ ٩٧ ١/ ٢٤٢

سورة يوسف

﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ ٢ ١/ ٦٥

﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ ٧٦ ٢/ ٢٣١

(١) إرشاد الفحول، ٢٧٩/١

﴿واسأل القرية﴾ ٨٢ /١ ٦٩

﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ ١٠٣ /١ ٣٦٨

سورة الرعد

﴿الله خالق كل شيء﴾ ١٦ /١ ٣٨٣

سورة إبراهيم

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ ٤ /١ ٤٣، ٦٥

﴿قل تمتعوا﴾ ٣٠ /١ ٢٥٤

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ٣٤ /١ ٣٠٤

﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ ٤٢ /١ ٢٧٩

سورة الحجر

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ٩ /٢ ٧٥

﴿وإنا له لحافظون﴾ ٩ /١ ٣١٣

﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ ٣٠ /١ ٣٠٣

﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من

اتبعك من الغاوين﴾ ٤٢ /١ ٣٦٨

﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ ٤٦ /١ ٢٥٤

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما

بينهما إلا بالحق﴾ ٨٥ /٢ **١٢٣**

﴿ولا تمدن عينيك﴾ ٨٨ /١ ٢٧٩." [١]

"والثالثة للتسوية كقوله تعالى (اصبروا أو لا تصبروا) سورة الطور ١٦ والرابعة للتكوين كقوله تعالى (كونوا قردة) سورة البقرة ٦٥ و (يا نار كوني بردا) سورة الأنبياء ٦٩ انتهى كلام الشيخ - رحمه الله - ولم يذكر

للنهي صيغا أقول تأتي صيغة لثمان معان للتحريم نحو (لا تأكلوا الربا) سورة آل عمران ١٣٠ و الكراهة كقوله عليه السلام لا تفعلي هذا أي لما نهاها عن المشمس

---

(١) إرشاد الفحول، ٢/٢٩٨

وللتحقير كقوله تعالى (**ولا تمدن عينيك**) سورة الحجر ٨٨ ولبيان العافية كقوله تعالى (ولا تحسبن الله غافلا) سورة إبراهيم ٤٢ وللدعاء كقوله تعالى (لا تؤاخذنا) سورة البقرة ٢٨٦ ولليأس كقوله تعالى (لا تعتذروا) سورة التحريم ٧ وللإرشاد كقوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء) سورة المائدة ١٠١ وللتسلية كقوله تعالى (ولا تحزن عليهم) سورة النحل ١٣٧ والله أعلم

تعريف العام

قال (وأما العام فهو ما عم شيئين فصاعدا من قورك عممت زيدا وعمرا بالعطايا و عممت جميع الناس بالعطايا) أقول لما فرغ من بيان الباب الثالث شرع في الرابع وهو العام وإنما سمي عاما لكثرة الأفراد الذي يدل عليها ولهذا يقال عم الجراد البلاد أي كثر فيها وقوله ما عم شيئين فصاعدا لتخرج أسماء العدد كالخمسة والعشرة – مثلا – فلا تسمي عاما لانحصارهما وإن دلا على أفراد لكن منحصرة فإن الخمسة لا تتناول شيئا زائدا عليها وكذا العشرة ونحوهما من الأعداد فبانت أنها ليست من ألفاظ العموم بخلاف قولك عممت زيدا وعمرا بالعطايا و جميع الناس إذ لا حصر للناس والله أعلم

صيغ العموم

". (١)

"فكاتبوهم = التأديب كقوله : عليه السلام = كل مما يليك = الإرشادات كقوله تعالى : = وأشهدوا إذا تبايعتم = الإباحة نحو = كلوا = التهديد نحو = اعملوا ما شئتم = الامتنان نحو = وكلوا مما رزقكم الله = الإكرام نحو = ادخلوها بسلام آمنين = التعجيز نحو = فأتوا بسورة = التسخير نحو = كونوا قردة = الإهانة نحو = ذق إنك أنت العزيز الكريم = التسوية : نحو = اصبروا أو لا تصبروا = الدعاء : نحو اللهم اغفر لي التمني : نحو ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي الاحتقار نحو = ألقوا ما أنتم ملقون = التكوين : نحو = كن فيكون = (قلنا لو وجب التوقف هنا لوجب في النهي لاستعماله في معان) ، وهي التحريم كقوله تعالى = لا تأكلوا الربا = ، والكراهة كالنهي عن الصلاة في الأرض المغصوبة ، والتنزيه نحو = ولا تمنن تستكثر = ، والتحقير نحو = **ولا تمدن عينيك** = ، وبيان العاقبة : نحو = لا تعتدوا = ، والإرشاد : نحو = لا تسألوا عن أشياء = ، والشفقة نحو النهي عن اتخاذ الدواب كراسي والمشي في نعل واحد (ولأن النهي أمر بالانتهاء) عطف على قوله لاستعماله في معان فلا يبقى الفرق بين قولك (افعل ولا تفعل) ؛ لأنه يصير موجبهما التوقف ، والفرق بين طلب الفعل وطلب الترك ثابت بديهة . (وهذا الاحتمال يبطل

---

(١) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات، ص/٢٦

الحقائق) يمكن أن يراد بها حقائق الأشياء فإنه لو اعتبر مثل هذه الاحتمالات يجوز أن لا يكون زيد زيدا بل عدم الشخص الأول ، وخلق مكانه شخص آخر ، وهو عين مذهب السوفسطائية النافين حقائق الأشياء ، ويمكن أن يراد حقائق الألفاظ إذ ما من لفظ إلا وله احتمال قريب أو بعيد من نسخ أو خصوص أو اشتراك أو مجاز فإن اعتبرت هذه الاحتمالات مع عدم القرينة تبطل دلالات الألفاظ على المعاني الموضوع لها (وأيضا لم ندع أنه محكم ، وعند العامة موجبه واحد إذ الاشتراك خلاف الأصل ، وهو الإباحة عند بعضهم إذ هي الأدنى ، والندب عند بعضهم إذ لا بد من ترجيح جانب الوجود ، وأدناه الندب ، والوجوب عند أكثرهم لقوله تعالى = فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم =) يفهم من هذا الكلام خوف إصابة الفتنة أو العذاب بمخالفة الأمر إذ لولا ذلك الخوف لقبح التحذير فيكون مأمورا به واجبا إذ ليس على ترك غير الواجب خوف الفتنة أو العذاب . و (= أن يكون لهم الخيرة من أمرهم =) قال الله تعالى = وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم = ، القضاء ، والله أعلم بمعنى الحكم ، وأمرا مصدر من غير لفظه أو حال أو تمييز ، ولا يمكن أن يكون المراد من القضاء ما هو المراد من قوله تعالى = فقضاهن سبع سماوات = ؛ لأن عطف الرسول على الله تعالى يمنع ذلك ، ولا يراد القضاء الذي يذكر في جنب القدر بعين ذلك فتعين أن المراد الحكم ، والمراد من الأمر القول لا الفعل ؛ لأنه إن أريد الفعل فإما أن يراد فعل القاضي أو المقضي عليه ، والأول لا يليق ؛ لأن الله تعالى إذا فعل فعلا فلا معنى لنفي الخيرة ، وإن أريد فعل المقضي عليه فالمراد إذا قضى بأمر فالأصل عدم تقدير الباء ،." (١)

" الإرشادات كقوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم الإباحة نحو كلوا التهديد نحو اعملوا ما شئتم الامتنان نحو وكلوا مما رزقكم الله الإكرام نحو ادخلوها بسلام آمنين التعجيز نحو فأتوا بسورة التسخير نحو كونوا قردة الإهانة نحو ذق إنك أنت العزيز الكريم التسوية نحو اصبروا أو لا تصبروا الدعاء نحو اللهم اغفر لي التمني نحو ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي الاحتقار نحو ألقوا ما أنتم ملقون التكوين نحو كن فيكون قلنا لو وجب التوقف هنا لوجب في النهي لاستعماله في معان وهي التحريم كقوله تعالى لا تأكلوا الربا والكراهة كالنهي عن الصلاة في الأرض المغصوبة والتنزيه نحو ولا تمنن تستكثر والتحقير نحو **ولا تمدن عينيك** وبيان العاقبة نحو لا تعتدوا والإرشاد نحو لا تسألوا عن أشياء والشفقة نحو النهي عن اتخاذ الدواب كراسي

---

(١) التوضيح على التنقيح، ١١١/١

والمشي في نعل واحد ولأن النهي أمر بالانتهاء عطف على قوله لاستعماله في معان فلا يبقى الفرق بين قولك افعل ولا تفعل لأنه يصير موجبهما التوقف والفرق بين طلب الفعل وطلب الترك ثابت بديهة

وهذا الاحتمال يبطل الحقائق يمكن أن يراد بها حقائق الأشياء فإنه لو اعتبر مثل هذه الاحتمالات يجوز أن لا يكون زيد زيدا بل عدم الشخص الأول وخلق مكانه

". (١)

"[ورود صيغة النهي لمعان]

وترد صيغه النهي لمعان:

أحدها: للتحريم، كقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ [الاسراء:٣٢ة]

الثاني: الكراهة، كقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام:١٢١] ومثله الهندي بقوله: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ [البقرة:٢٣٥] أي على عقدة النكاح، وقد يدل عليه السياق كقوله: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ [البقرة: من الآية٢٦٧] قال الصيرفي: لأنه حثهم على إنفاق أطيب أموالهم، لا أنه يحرم عليهم إنفاق الخبيث من التمر أو الشعير من القوت، وإن كانوا يقتاتون ما فوقه، وهذا إنما نزل في الأقناء التي كانت تعلق في المسجد فكانوا يعلقون، الحشف.

قال:فالمراد بالخبيث هنا الأردأ، وقد يقع على الحرام، كقوله: ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ [الأعراف:١٥٧] وقد يعلل بالتوهم، لقوله صلى الله عليه وسلم "إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها فإنه لا يدري أين باتت يده١" وكذلك حديث عدي في العبد:"إني أخشى أن يكون قد أمسك على نفسه" فنبهه على مظنة الشبهة احتياطا.

الثالث: الأدب، كقوله: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ [البقرة:٢٣٧].

الرابع: التحقير لشأن المنهي عنه، كقوله تعالى: **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به﴾ [طه:١٣١].

الخامس: التحذير، كقوله تعالى: ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران:١٠٢].

السادس: بيان العاقبة، كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾ [آل عمران:١٦٩].

السابع: اليأس، كقوله تعالى: ﴿لا تعتذروا﴾ [التوبة:٦٦].

الثامن: للإرشاد إلى الأحوط بالترك، كقوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾

---

(١) التوضيح في حل عوامض التنقيح، ٢٨٨/١

-

رواه مسلم في صحيحه ""١/٢٣٣"كتاب الطهارة، باب كراهة غمس المتوضىء وغيره يده المشكوك في نجاستها، برقم "٢٧٨". ١." [1]

"ص -١١٠-...٢٢٦- وأما صيغة النهي إذا تقيدت فإنها ترد على وجوه على مناقضة الأمر لا يعسر على الباحث طلبها ومطلقها للحظر والمقيد منها يرد على وجوه.

منها التنزية ومنها الوعيد ومنها الدعاء كقوله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾١ ومنها الإرشاد كقوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم﴾٢ تسؤكم ومنها بيان العاقبة كقوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾٣ وترد بمعنى التحقير والتقليل كقوله تعالى: **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾٤ وترد بمعنى إثبات اليأس كقوله تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾٥.

---

١ آية "٨" سورة آل عمران.

٢ آية "١٠١" سورة المائدة.

٣ آية "١٦٩" سورة آل عمران.

٤ آية "٨٨" سورة الحجر.

٥ آية "٧" سورة التحريم.." [2]

" تسؤكم ومنها بيان العاقبة كقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء

وترد بمعنى التحقير والتقليل كقوله تعالى **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به ازواجا منهم

وترد بمعنى إثبات اليأس كقوله تعالى لا تعتذروا اليوم ." [3]

"(مسألة النهي) النفسي (اقتضاء كف عن فعل لا بنحو كف) كذر ودع المفادين كنحوهما بزيادتي نحو فدخل فيه الاقتضاء الجازم وغيره وخرج منه الإباحة، واقتضاء فعل غير كف أو كف بنحو كف فإنه أمر كما مر، ويحد أيضا بالقول المقتضي للكف المذكور كما يحد اللفظي بالقول الدال على الاقتضاء المذكور، ولا يعتبر في مسمى النهي علو ولا استعلاء على الأصح كالأمر (وقضيته الدوام) على الكف، لأن

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، ٢/١٥٥

(٢) البرهان في أصول الفقه. ط العلمية- عويضة، ١/١٥٩

(٣) البرهان في أصول الفقه. ط الوفاء- الديب، ١/٢١٩

العلماء لم يزالوا يستدلون به على الترك مع اختلاف بالأوقات لا يخصونه بشيء منها. (ما لم يقيد بغيره في الأصح) فإن قيد به نحو لا تسافر اليوم كان الغير قضيته فيحمل عليه، وقيل قضيته الدوام مطلقا وتقييده بغير الدوام يصرفه عن قضيته، وقولي بغيره أولى من قوله بالمرة. (وترد صيغته) أي النهي وهي لا تفعل. (للتحريم) نحو ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ (وللكراهة) نحو ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ والخبيث فيه الرديء لا الحرام عكس ما في قوله تعالى ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ ﴿وللإرشاد) نحو ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (وللدعاء) نحو ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ ﴿ولبيان العاقبة﴾ نحو ﴿ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت (وللتقليل) بأن يتعلق بالمنهى عنه نحو ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به﴾ أي فهو قليل بخلاف ما عند الله. (وللاحتقار) بأن يتعلق بالمنهي نحو ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ ﴿ولليأس) نحو ﴿لا تعذروا اليوم﴾ وهذا تركه البرماوي من ألفيته، وذكره في شرحها مع زيادة ومثل له بالآية ثم قال وقد يقال إنه راجع للاحتقار أي لاتحاد آيتيهما. قلت والأوجه الفرق إذ ذكر اليوم في الآية الثانية قرينة لليأس، وتركه في الأولى قرينة للاحتقار.

(وفي الإرادة والتحريم ما) مر (في الأمر) من الخلاف، فقيل لا تدل الصيغة على الطلب إلا إذا أريد الطلب بها، والأصح أنها تدل عليه بلا إرادة وأنها حقيقة في التحريم لغة، وقيل شرعا، وقيل عقلا، وقيل في الطلب الجازم لغة، وفي التوعد على الفعل شرعا وهو مقتضى ما اختاره الأصل في الأمر، وقيل حقيقة في الكراهة، وقيل فيها وفي التحريم، وقيل في أحدهما ولا نعرفه، وقيل غير ذلك. (وقد يكون) النهي (عن) شيء (واحد) وهو ظاهر. (و) عن (متعدد جمعا كالحرام المخير) نحو لا تفعل هذا أو ذاك، فعليه ترك أحدهما فقط فلا مخالفة إلا بفعلهما. فالمحرم فعلهما لا فعل أحدهما فقط. (وفرقا كالنعلين تلبسان أو تنزعان ولا يفرق بينهما) بلبس أو نزع إحداهما فقط، فإنه منهي عنه أخذا من خبر الصحيحين «لا يمشين أحدكم في نعل واحدة لينعلهما جميعا أو ليخلعهما جميعا» فهما منهي عنهما لبسا أو نزعا من جهة الفرق بينهما في ذلك لا الجمع فيه. (وجميعا كالزنا والسرقة) فكل منهما منهي عنه فبالنظر إليهما يصدق أن النهي عن متعدد، وإن صدق بالنظر إلى كل منهما أنه عن واحد.

(والأصح أن مطلق النهي ولو تنزيها) مقتض (للفساد) في المنهي عنه بأن لا يعتد به (شرعا) إذ لا يفهم ذلك من غيره، وقيل لغة لفهم أهلها ذلك من مجرد اللفظ، وقيل عقلا وهو أن الشيء إنما ينهى عنه إذا اشتمل على ما يقتضي فساده. (في المنهي عنه) من عبادة وغيرها كصلاة نفل مطلق في وقت مكروه وبيع بشرط. (إن رجع النهي) فيما ذكر (إليه) أي إلى عينه كالنهي عن صلاة الحائض أو صومها وكالنهي عن

الزنا حفظا للنسب. (أو إلى جزئه) كالنهي عن بيع الملاقيح لانعدام المبيع وهو ركن في البيع. (أو) إلى (لازمه) كالنهي عن بيع درهم بدرهمين لاشتماله على الزيادة اللازمة بالشرط، وكالنهي عن الصلاة في الوقت المكروه لفساد الوقت اللازم لها بفعلها فيه بخلافها في المكان المكروه، لأنه ليس بلازم لها بفعلها فيه لجواز ارتفاع النهي عن الصلاة فيه مع بقائه بحاله كجعل الحمام مسجدا فبذلك افترقا وفرق البرماوي بأن الفعل في الزمان يذهبه، فالنهي منصرف لإذهابه في المنهي عنه، فهو وصف لازم، إذ لا يمكن وجود فعل إلا بذهاب زمان بخلاف الفعل في المكان، وتعبيري بما ذكر هو مراد الأصل بما عبر به كما بينته في الحاشية. (أو جهل مرجعه) من واحد مما ذكر، كما قاله ابن عبد السلام تغليبا لما يقتضي الفساد على ما لا يقتضيه كالنهي عن بيع الطعام حتى تجري فيه الصيعان، وإنما اقتضى النهي الفساد لما مر أن المكروه مطلوب الترك والمأمور به مطلوب الفعل فيتنافيان واستدلال الأولين على فساد المنهي عنه بالنهي عنه، وقيل مطلق النهي للفساد في العبادات فقط وفساد غيرها إنما هو لأمر خارج عن النهي كترك ركن أو شرط عرف من خارج عنه، وخرج برجوع النهي إلى ما ذكر مع ما بعده النهي الراجع إلى أمر خارج عنه غير لازم، فلا يقتضي الفساد كالوضوء بمغصوب والبيع وقت نداء الجمعة لرجوع النهي في الأول لإتلاف مال الغير تعديا، وفي الثاني بتفويت الجمعة وذلك يحصل لغير الوضوء والبيع، كما أنهما ـــ." (١)

"ص -١٩٩-...بريحه وفي كونه ورعا نظر من جهة أن شمه لا يؤثر فيه نقضا ولا عيبا فيكون إدراك الشم له بمثابة النظر إليه، بخلاف وضع اليد عليه، ولو نظر الإنسان إلى بساتين الناس وغرفهم ودورهم لم يمنع من ذلك إلا إذا خشى الافتتان بالنظر إلى أموال الأغنياء، فقد قال رب العالمين لسيد المرسلين: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ وكذلك لو مس جدار إنسان لم يمنع من مسه، ولو استند إلى جدار إنسان لجاز كما لو جاز مطيبا أو جالسه متطيب، فإن ذلك مأذون بحكم العرف ولو منعه من الاستناد إلى جداره فقد اختلفوا فيه إذا كان الاستناد لا يؤثر في الجدار ألبتة، ولا ينبغي أن يطرد في ذلك شم ريح المتطيب، وكذلك مما لا أعده ورعا أكل طعام حلال محض حمله ظالم ولا سيما الطعام الذي ندب الشرع إليه كطعام الولائم، لأن ما كان حلالا بوصفه وسببه فلا وجه لاجتنابه إلا بالوسواس والأوهام التي لا لفتة للشرع إلى مثلها.

الرابعة حاسة الذوق: فلا يذاق بها مكروه ولا حرام ويذاق بها الطعام المندوب إلى أكله وذوقه كطعام الولائم

---

(١) غاية الوصول في شرح لب الأصول، ص/٥٧

لما في ذوقه من جبر قلوب الإخوان. وكذلك يجب الذوق على الحاكم والشاهد عند اختلاف الخصوم في مطعم المبيع.

الخامسة حاسة اللمس ويتعلق بها الأحكام الخمسة:

أما الإيجاب: فكإيجاب لمس المصلي بالجباه.

وأما الاستحباب: فكاستحباب لمس المصلي بالأنوف والأكف ولمس أركان البيت وتقبيل الحجر وتقبيل الوالدين وأكابر الأولياء والعلماء، وكذا لمس المصافحة والمعانقة في لقاء الإخوان.

وأما التحريم: فكلمس عورات الأجانب، وكذلك لمس ما خرج عن العورة من أبدان النساء الأجنبيات والمرد الحسان عند مخافة الافتتان، وكذلك التلامس بين الزوجين المحرمين بشهوة في حال الإحرام.

وأما الكراهة: فككراهة لمس الفروج بالأيمان، وكذلك لمس السرية." (١)

": الإيجاب كقوله تعالى : ﴿ أقيموا الصلاة ﴾ الندب كقوله تعالى ﴿ فكاتبوهم ﴾ التأديب كقوله : عليه السلام ﴿كل مما يليك ﴾ الإرشادات كقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ الإباحة نحو ﴿كلوا ﴾ التهديد نحو ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ الامتنان نحو ﴿ وكلوا مما رزقكم الله ﴾ الإكرام نحو ﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾ التعجيز نحو ﴿ فأتوا بسورة ﴾ التسخير نحو ﴿كونوا قردة ﴾ الإهانة نحو ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ التسوية : نحو ﴿ اصبروا أو لا تصبروا ﴾ الدعاء : نحو اللهم اغفر لي التمني : نحو ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي الاحتقار نحو ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ التكوين : نحو ﴿كن فيكون ﴾ (قلنا لو وجب التوقف هنا لوجب في النهي لاستعماله في معان) ، وهي التحريم كقوله تعالى ﴿ لا تأكلوا الربا ﴾ ، والكراهة كالنهي عن الصلاة في الأرض المغصوبة ، والتنزيه نحو ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ ، والتحقير نحو ﴿ ولا تمدن عينيك ﴾ ، وبيان العاقبة : نحو ﴿ لا تعتدوا ﴾ ، والإرشاد : نحو ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ ، والشفقة نحو النهي عن اتخاذ الدواب كراسي والمشي في نعل واحد (ولأن النهي أمر بالانتهاء) عطف على قوله لاستعماله في معان فلا يبقى الفرق بين قولك (افعل ولا تفعل) ؛ لأنه يصير موجبهما التوقف ، والفرق بين طلب الفعل وطلب الترك ثابت بديهة .

(وهذا الاحتمال يبطل الحقائق) يمكن أن يراد بها حقائق الأشياء فإنه لو اعتبر مثل هذه الاحتمالات يجوز أن لا يكون زيد زيدا بل عدم الشخص الأول ، وخلق مكانه شخص آخر ، وهو عين." (٢)

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٢٤٩/١

(٢) شرح التلويح على التوضيح، ٨٤/٢

"الخبيث منه تنفقون﴾ ١.

"و" الثالث: كونها ل "تحقير"٢ نحو قوله تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ ٣.

"و" الرابع: كونها ل "بيان العاقبة"٤ نحو قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ ٥

ـ

=وعلى قدم من الصلاح والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم، ويرجع إليه القضاة، ولي تدريس الفقه، وعرض عليه القضاء فامتنع، له مصنفات كثيرة نافعة مفيدة، وهي في غاية الاختصار والتحرير وسلامة العبارة، فأقبل عليها الناس والعلماء وتداولوها حتى وقتنا الحاضر، منها "شرح جمع الجوامع" في الأصول، و"المناسك" و "كتاب الجهاد" و "شرح بردة المديح" و "شرح منهاج الطالبين" في الفقه، وشرع في أشياء لم يكملها، منها "شرح القواعد لابن هشام" و "شرح التسهيل" و "تفسير القرآن" وغيرها، توفي سنة ٨٦٤؟

انظر ترجمته في "حسن المحاضرة ٤٤٣/١، شذرات الذهب ٣٠٣/٧، الضوء اللامع ٣٩/٧، طبقات المفسرين ٨٠/٢، البدر الطالع ١١٥/٢، الفتح المبين ٤٠/٣".

١ الآية ٢٦٧ من البقرة.

٢ وسماه السبكي التقليل والاحتقار.

" انظر: التوضيح على التنقيح ٥١/٢، كشف الأسرار ٢٥٦/١، مختصر البعلي ص١٠٣، تحقيق المراد ص٦٥، الإحكام للآمدي ١٨٧/١، المنخول ص١٣٥، المستصفى ٤١٨/١، فواتح الرحموت ٣٩٥/١، منهاج العقول ١٦/٢، نهاية السول ٦٢/٢، جمع الجوامع ٣٩٥/١".

٣ الآية ٨٨ من الحجر.

٤ انظر: الإحكام للآمدي ٥٣/٢، المستصفى ٤١٨/١، المنخول ص١٣٤، منهاج العقول ١٦/٢، جمع الجوامع ٣٩٢/١، نهاية السول ٦٢/٢، مختصر البعلي ص١٠٣، فواتح الرحموت ٣٩٥/١، كشف الأسرار ٢٥٦/١، التلويح على التوضيح ٥٣/٢، تحقيق المراد ص٦٢، إرشاد الفحول ص١٠٩.

٥ الآية ٤٢ من إبراهيم، واستشهد لذلك المحلي بقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ آل عمران ١٦٩، ثم قال: "أي عاقبة الجهاد الحياة، لا الموت" "المحلي على جمع الجوامع ٢٩٤/١".." (١)

---

(١) شرح الكوكب المنير – الرقمية، ٧٩/٣

"١- للتحقير كقوله تعالى ﴿ **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به ﴾ (١) ليس المقصود هنا مد العين وإنما المقصود به تحقير الدنيا في عيني النبي - صلى الله عليه وسلم - فكون الإنسان يمد عينه إلى الدنيا أو ينظر إليها ويتعلق بشهواتها إذا كان على سبيل الإباحة هذا ما يحرم وإنما يقصد بذلك التحقير.

٢- للتهديد كقوله تعالى ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ (٢) تهديدا لهم وزجرا.

٣- للتيئيس كقوله تعالى ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ لأن المراد هنا تيئيسهم من قبول أعذارهم.

٤- لبيان العاقبة كقوله ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا(٣) ﴾ فهنا ليس المقصود النهي عن حسبان ذلك ولكن لبيان عاقبة الذين قتلوا في سبيل الله.

وكما قلنا أن افعل الأصل فيها الوجوب فكذلك لا تفعل الأصل فيها التحريم ولهذا لا يجوز أن تحمل كلمة (افعل) إذا وجدت في القرآن والسنة إلا للوجوب إلا إذا وجدت قرينة تصرفها عن الوجوب إلى الأمر الآخر من المعاني التي ذكرنا أو غيرها كذلك النهي (لا تفعل) الأصل فيها التحريم إذا وجدت في القرآن والسنة إلا إذا جاء دليل ينقلها عن التحريم إلى أمر آخر.

نقف عند مسائل في النهي:

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- الدرس السادس والعشرون -

باقي مسألتين لم يذكرها المصنف:

المسألة (١)

هل النهي يقتضي الفور أم لا ؟

يعني قلنا فيما تقدم أن الأمر يقتضي الفورية لكن هل النهي يقتضي الفورية أم لا ؟ الخلاف فيه أيسر من الخلاف في الأمر ولذلك الإنسان إذا نهى عن شيء هل يقتضي الفور أم لا فقيل مثلا (لا تزني، لا تشرب الخمر، لا تغتاب) فهل يقتضي الفور أم لا ؟

---

(١) الحجر: من الآية٨٨).

(٢) التوبة: من الآية٦٦).

(٣) آل عمران: من الآية١٦٩).." [١]

---

(١) شرح الورقات في أصول الفقه - للصقعبي، ٢١/٢

"١- للتحقير كقوله تعالى ﴿ **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به ﴾ (١) ليس المقصود هنا مد العين وإنما المقصود به تحقير الدنيا في عيني النبي - صلى الله عليه وسلم - فكون الإنسان يمد عينه إلى الدنيا أو ينظر إليها ويتعلق بشهواتها إذا كان على سبيل الإباحة هذا ما يحرم وإنما يقصد بذلك التحقير.

٢- للتهديد كقوله تعالى ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ (٢) تهديدا لهم وزجرا.

٣- للتيئيس كقوله تعالى ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ لأن المراد هنا تيئيسهم من قبول أعذارهم.

٤- لبيان العاقبة كقوله ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا(٣) ﴾ فهنا ليس المقصود النهي عن حسبان ذلك ولكن لبيان عاقبة الذين قتلوا في سبيل الله.

وكما قلنا أن افعل الأصل فيها الوجوب فكذلك لا تفعل الأصل فيها التحريم و،هذا لا يجوز أن تحمل كلمة (افعل) إذا وجدت في القرآن والسنة إلا للوجوب إلا إذا وجدت قرينة تصرفها عن الوجوب إلى الأمر الآخر من المعاني التي ذكرنا أو غيرها كذلك النهي (لا تفعل) الأصل فيها التحريم إذا وجدت في القرآن والسنة إلا إذا جاء دليل ينقلها عن التحريم إلى أمر آخر.

نقف عند مسائل في النهي:

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- الدرس السادس والعشرون -

باقي مسألتين لم يذكرها المصنف:

المسألة (١)

هل النهي يقتضي الفور أم لا ؟

يعني قلنا فيما تقدم أن الأمر يقتضي الفورية لكن هل النهي يقتضي الفورية أم لا ؟ الخلاف فيه أيسر من الخلاف في الأمر ولذلك الإنسان إذا نهى عن شيء هل يقتضي الفور أم لا فقيل مثلا (لا تزني، لا تشرب الخمر، لا تغتاب) فهل يقتضي الفور أم لا ؟

---

(١) الحجر: من الآية٨٨).

(٢) التوبة: من الآية٦٦).

(٣) آل عمران: من الآية١٦٩).." [1]

---

(١) شرح الورقات في أصول الفقه/ الخضير، ص/٢٠

"@(وترد صيغته) أى النهى وهى لاتفعل (للتحريم) نحو ولا تقربوا الزنا (وللكراهة) نحو ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون والخبيث فيه الردئ لاالحرام عكس ما فى قوله تعالى ويحرم عليهم الخبائث (وللإرشاد) نحو لاتسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم (وللدعاء) نحو ربنا لا تزغ قلوبنا (ولبيان العاقبة) نحو ولاتحسبن الذين قتلوا فسبيل الله امواتا بل احياء أى عاقبة الجهاد الحياة لا الموت (وللتقليل) بأن يتعلق بالمنهى عنه نحو **ولا تمدن عينيك** الى ما متعنا به أى فهو قليل بخلاف ما عند الله (وللإحتقار) بأن يتعلق بالمنهى نحو لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم (ولليأس) نحو لاتعتذروا اليوم وهذا تركه البرماوى من ألفيته وذكره فشرحها مع زيادة ومثل له بالآية ثم قال وقد يقال انه راجع للإحتقار أى لاتحاد آيتيهما .قلت والأوجه الفرق اذ ذكر اليوم فى الآية الثانية قرينة [١] لليأس وتركه فى الأولى قرينة للإحتقار (و فى الإرادة والتحريم ما مر (فى الأمر) من الخلاف فقيل لا تدل الصيغة على الطلب الا اذا أريد الطلب بها والأصح انها تدل عليه بلا إرادة وانها حقيقة فالتحريم لغة وقيل شرعا وقيل عقلا وقيل فى الطلب الجازم لغة وفى التوعد على الفعل شرعا وهو مقتضى ما اختاره الأصل فى الأمر وقيل حقيقة فالكراهة وقيل فيها وفى التحريم وقيل فى احدهما ولانعرفه وقيل غير ذلك

==============================

(قوله للتحريم) وهو الأصل فيه كالإيجاب فى الأمر

(قوله ويحرم الخ) أى فالمراد بالخبيث هنا الحرام لا الردئ

(قوله وللإرشاد) الفرق بينه وبين الكراهة ان المفسدة المطلوب درؤها فى الإرشاد دنيوية وفى الكراهة دينية نظير ما تقدم فى الفرق بينه وبين الندب ان المصلحة المطلوبة فيه دنيوية وفىالندب دينية

(قوله أى عاقبة الخ) أى فالمقصود منها بيان ان عاقبة الجهاد الحياة لا الموت

(قوله لاتعتذروا) أى لاتطلبوا قبول المعذرة

.)"[٢]

---

(١) ٢١٣

(٢) طريقة الحصول على غاية الوصول، ٢٧٧/١

"والتأكيد لاحتمالهما وإن منع من التكرار والنقل نحو اقتل زيدا اقتل زيدا أو الشرع نحو اعتق عبدك فالثاني تأكيد قطعا وإن كان بعطف.

النهي (النهي) النفسي (اقتضاء كف عن فعل لا يقول كف) ونحوه كذر ودع فإن ما هو كذلك أمر كما تقدم وتناول الاقتضاء الجازم وغيره ويحد أيضا بالقول المقتضي لكف إلخ كما يحد اللفظي بالقول الدال على ما ذكر ولا يعتبر في مسمى النهي مطلقا علو ولا استعلاء على الأصح كالأمر (وقضية الدوام) على الكف (ما لم يقيد بالمرة) فإن قيد بها نحو لا تسافر اليوم إذ السفر فيه مرة من السفر كانت قضيته (وقيل) قضية الدوام (مطلقا) والتقييد بالمرة يصرفه عن قضيته (وترد صيغته) أي لا تفعل (للتحريم) نحو ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ (والكراهة) ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ (والإرشاد) ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (والدعاء) ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ (وبيان العاقبة) ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت (والتقليل والاحتقار) ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أي فهو قليل حقير بخلاف ما عند الله ومن اقتصر على الاحتقار جعله المقصود في." (1)

"ص -٢٧٩-...المبحث الثاني: النهي الحقيقي ومعناه

اختلفوا في معنى النهي الحقيقي، فذهب الجمهور إلى أن معناه الحقيقي هو التحريم، وهو الحق، ويرد فيما عداه مجازا كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تصلوا في مبارك الإبل"١ فإنه للكراهة. وكما في قوله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾٢ فإنه للدعاء، وكما في قوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾٣ فإنه للإرشاد، وكما في قول السيد لعبده الذي لم يمتثل أمره: لا تمتثل أمري؟! فإنه للتهديد، وكما في قوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾٤ فإنه للتحقير، وكما في قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾٥ فإنه لبيان العاقبة، وكما في قوله تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾٦ فإنه للتأييس، وكما في قولك لمن يساويك: "لا تفعل" فإنه للالتماس.

والحاصل: أنه يرد مجازا لما ورد له الأمر كما تقدم٧، ولا يخالف الأمر إلا في كونه يقتضي التكرار في جميع الأزمنة، وفي كونه للفور فيجب ترك الفعل في الحال.

قيل: ويخالف الأمر أيضا في كون تقدم الوجوب قرينة دالة على أنه للإباحة، ونقل الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني الإجماع على أنه لا يكون تقدم الوجوب قرينة للإباحة، وتوقف الجويني في نقل الإجماع، ومجرد هذا التوقف لا يثبت له الطعن في نقل الأستاذ.

واحتج القائلون: بأنه حقيقة في التحريم: بأن العقل يفهم الحتم من الصيغة المجردة "عن القرائن"* وذلك

---

(1) شرح جمع الجوامع لابن السبكي، ٢١٣/١

دليل الحقيقة.

---

* في "أ": القرينة.

________." (1)

"ص -٢٩٨-...الآية رقمها الجزء/ الصفحة

﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ ٨٠ ١/ ٢٥٥

سورة هود

﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ ٦ ١/ ٣٥٥

﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور﴾ ٤٠ ١/ ٢٤٢

﴿وأهلك﴾ ٤٠ ٢/ ٢٧

﴿أتعجبين من أمر الله﴾ ٧٣ ١/ ٢٤٢

﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ ٩٧ ١/ ٢٤٢

سورة يوسف

﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ ٢ ١/ ٦٥

﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ ٧٦ ٢/ ٢٣١

﴿واسأل القرية﴾ ٨٢ ١/ ٦٩

﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ ١٠٣ ١/ ٣٦٨

سورة الرعد

﴿الله خالق كل شيء﴾ ١٦ ١/ ٣٨٣

سورة إبراهيم

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ ٤ ١/ ٤٣، ٦٥

﴿قل تمتعوا﴾ ٣٠ ١/ ٢٥٤

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ٣٤ ١/ ٣٠٤

﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ ٤٢ ١/ ٢٧٩

---

(١) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ٤٩١/٣

سورة الحجر

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ٩ ٢/ ٧٥

﴿وإنا له لحافظون﴾ ٩ ١/ ٣١٣

﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ ٣٠ ١/ ٣٠٣

﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من

اتبعك من الغاوين﴾ ٤٢ ١/ ٣٦٨

﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ ٤٦ ١/ ٢٥٤

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما

بينهما إلا بالحق﴾ ٨٥ ٢/ ١٢٣

﴿ولا تمدن عينيك﴾ ٨٨ ١/ ٢٧٩." (١)

"ص -٦٧-...بالصيغة ترد لسبعة محامل: التحريم مثل: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ والتنزيه مثل قوله عليه السلام: "ولا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول" والدعاء: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ والإرشاد: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ وبيان العاقبة: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ والتحقير: **﴿لا تمدن عينيك﴾** واليأس: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾.

والكلام أن صيغة النهي هل هي حقيقة التحريم أو الكراهة أن مشتركة بينهما أو موقوفة على ما سبق في الأمر فالخلاف في اكثر المسائل على وزان الخلاف في مقابلتها من مسائل النهي والمآخذ كالمآخذ وقد سبق أن الأمر المجرد عن القرينة يقتضي الوجوب فالمختار ان النهي المجرد عن القرينة يقتضي التحريم.." (٢)

"ص -١١٠-...-٢٢٦- وأما صيغة النهي إذا تقيدت فإنها ترد على وجوه على مناقضة الأمر لا يعسر على الباحث طلبها ومطلقها للحظر والمقيد منها يرد على وجوه.

منها التنزية ومنها الوعيد ومنها الدعاء كقوله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾١ ومنها الإرشاد كقوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم﴾٢ تسؤكم ومنها بيان العاقبة كقوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾٣ وترد بمعنى التحقير والتقليل كقوله تعالى: **﴿ولا تمدن عينيك**

---

(١) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ٥/٤٩٩

(٢) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ١٣/٨٣

إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾٤ وترد بمعنى إثبات اليأس كقوله تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾٥.

---

١ آية "٨" سورة آل عمران.

٢ آية "١٠١" سورة المائدة.

٣ آية "١٦٩" سورة آل عمران.

٤ آية "٨٨" سورة الحجر.

٥ آية "٧" سورة التحريم.." [١]

"ص -٦٧-...حديدا﴾ [الاسراء: من الآية٥٠ [والإهانة كقوله ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان:٤٩[الدخان والتسوية كقوله ﴿فاصبروا أو لا تصبروا ﴾[الطور: من الآية١٦[الطور والإنذار كقوله ﴿كلوا وتمتعوا ﴾[المرسلات: من الآية٤٦[والدعاء كقوله "اللهم اغفر لي" والتمني كقول الشاعر

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

ولكمال القدرة كقوله ﴿كن فيكون﴾[يس: من الآية٨٢[وأما صيغة النهي وهو قوله لا تفعل فقد تكون للتحريم وللكراهية والتحقير كقوله ﴿**لا تمدن عينيك** ﴾[الحجر: من الآية٨٨[الحجر ولبيان العاقبة كقوله﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾[ابراهيم: من الآية٤٢[إبراهيم وللدعاء كقوله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولليأس كقوله﴿لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: من الآية٧[التحريم وللإرشاد كقوله﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾[المائدة: من الآية١٠١[﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾[المائدة: من الآية١٠١[فهذه خمسة عشر وجها في إطلاق صيغة الأمر وسبعة أوجه في إطلاق صيغة النهي فلا بد من البحث عن الوضع الأصلي في جملة ذلك ما هو؟ والمتجوز به ما هو ؟

وهذه الأوجه عدها الأصوليون شغفا منهم بالتكثير وبعضها كالمتداخل.

فإن قوله : "كل مما يليك" جعل للتأديب وهو داخل في الندب والآداب مندوب إليها﴿تمتعوا ﴾ وقوله للآخرة المرسلات للإنذار قريب من قوله﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ الذي هو للتهديد .ولا نطول بتفصيل ذلك وتحصيله فالوجوب والندب." [٢]

---

(١) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ١٥٩/١٩

(٢) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ٦٥/٣١

"ص -١٩٩-...بريحه وفي كونه ورعا نظر من جهة أن شمه لا يؤثر فيه نقضا ولا عيبا فيكون إدراك الشم له بمثابة النظر إليه، بخلاف وضع اليد عليه، ولو نظر الإنسان إلى بساتين الناس وغرفهم ودورهم لم يمنع من ذلك إلا إذا خشى الافتتان بالنظر إلى أموال الأغنياء، فقد قال رب العالمين لسيد المرسلين: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ وكذلك لو مس جدار إنسان لم يمنع من مسه، ولو استند إلى جدار إنسان لجاز كما لو جاز مطيبا أو جالسه متطيب، فإن ذلك مأذون بحكم العرف ولو منعه من الاستناد إلى جداره فقد اختلفوا فيه إذا كان الاستناد لا يؤثر في الجدار ألبتة، ولا ينبغي أن يطرد في ذلك شم ريح المتطيب، وكذلك مما لا أعده ورعا أكل طعام حلال محض حمله ظالم ولا سيما الطعام الذي ندب الشرع إليه كطعام الولائم، لأن ما كان حلالا بوصفه وسببه فلا وجه لاجتنابه إلا بالوسواس والأوهام التي لا لفتة للشرع إلى مثلها.

الرابعة حاسة الذوق: فلا يذاق بها مكروه ولا حرام ويذاق بها الطعام المندوب إلى أكله وذوقه كطعام الولائم لما في ذوقه من جبر قلوب الإخوان. وكذلك يجب الذوق على الحاكم والشاهد عند اختلاف الخصوم في مطعم المبيع.

الخامسة حاسة اللمس ويتعلق بها الأحكام الخمسة:

أما الإيجاب: فكإيجاب لمس المصلي بالجباه.

وأما الاستحباب: فكاستحباب لمس المصلي بالأنوف والأكف ولمس أركان البيت وتقبيل الحجر وتقبيل الوالدين وأكابر الأولياء والعلماء، وكذا لمس المصافحة والمعانقة في لقاء الإخوان.

وأما التحريم: فكلمس عورات الأجانب، وكذلك لمس ما خرج عن العورة من أبدان النساء الأجنبيات والمرد الحسان عند مخافة الافتتان، وكذلك التلامس بين الزوجين المحرمين بشهوة في حال الإحرام.

وأما الكراهة: فككراهة لمس الفروج بالأيمان، وكذلك لمس السرية." (١)

"ص -١٧٨- ... أشياء﴾ [المائدة: ١٠١] الآية. الخامس: التحقير كقوله تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك**﴾ [الحجر: ٨٨] الآية. السادس: بيان العاقبة كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ [إبراهيم: ٤٢] الآية. السابع: اليأس كقوله تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: ٧] الآية، وقد اختلفوا في أن النهي هل من شرطه العلو والاستعلاء وإرادة الترك أم لا؟ وأنه هل له صيغة تخصه أم لا؟ وأنه هل هو حقيقة في الطلب وحده أم لا؟ وأن ذلك الطلب الذي هو حقيقة فيه هل هو التحريم أو الكراهة، أو كل منهما

---

(١) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافق ا للمطبوع، ٢٤٩/٥٣

بالاشتراك أو الوقف؟ كما اختلفوا في الأمر فعلى هذا إذا ورد النهي مجردا عن القرائن فمقتضاه التحريم كما نبه عليه المصنف ونص عليه الشافعي في الرسالة فقال في باب العلل في الأحاديث ما نصه: وما نهي عنه فهو على التحريم حتى يأتي دلالة عنه على أنه أراد غير التحريم انتهى. ونص عليه أيضا في مواضع أخرى، واستدل المصنف عليه بقوله تعالى: ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] أمر بالانتهاء عن المنهي عنه فيكون الانتهاء واجبا؛ لأنه قد تقدم أن الأمر للوجوب ولك أن تقول: إنما يدل هذا على التحريم في بعض النواهي بدليل منفصل أيضا لا من وضع اللفظ، وكلاهما غير المدعى. قوله: "وهو كالأمر" يعني أن النهي حكمه حكم الأمر في أنه لا يدل على التكرار ولا على الفور كما تقدم، وفي المحصول أن هذا هو المختار، وفي الحاصل أنه الحق لأنه قد يرد للتكرار كقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ [الإسراء: ٣٢] ولخلافه كقول الطبيب: لا تشرب اللبن ولا تأكل اللحم والاشتراك والمجاز خلاف الأصل، فيكون حقيقة في القدر المشترك، وصحح الآمدي وابن الحاجب أنه للتكرار والفور، وجزم به المصنف قبل هذا بقليل كما تقدم التنبيه عليه. وقال في المحصول: إنه المشهور وابن برهان: إنه مجمع عليه، ودليل الإمام مردود بما تقدم في الكلام على أن الأمر ليس للتكرار." (١)

"فقد تكون للتحريم وللكراهية ، والتحقير كقوله : ﴿ **لا تمدن عينيك** ﴾ ولبيان العاقبة ، كقوله : ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ وللدعاء كقوله : ﴿ ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ﴾ ولليأس كقوله : ﴿ لا تعتذروا اليوم ﴾ وللإرشاد كقوله : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ فهذه خمسة عشر وجها في إطلاق صيغة الأمر ، وسبعة أوجه في إطلاق صيغة النهي فلا بد من البحث عن الوضع الأصلي في جملة ذلك ما هو ، والمتجوز به ما هو ، وهذه الأوجه عدها الأصوليون شغفا منهم بالتكثير ، وبعضها كالمتداخل ، فإن قوله : كل مما يليك " جعل للتأديب ، وهو داخل في الندب ، والآداب مندوب إليها .." (٢)

"الصفة له كما هو مضطر في كونه عاقلا وجاهلا وأبيض وأسود وطويلا وقصيرا ؛ لأنه ليس في وسعه إثبات هذه الصفة ولا نفيها كما ليس في وسعه إثبات تلك الصفات ولا نفيها ، ولما فرغ عن إقامة الدليل على مدعاه وإلى الفراغ أشار بقوله والله أعلم شرع في الجواب عن شبهة الواقفية ، فقال ولو وجب التوقف في حكم الأمر لوجب في حكم النهي لوجود الداعي إليه على ما زعمتم ، وهو استعماله في معان مختلفة

(١) نهاية السول شرح منهاج الوصول، ٣٦٦/١

(٢) وجوب تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شيء من أحوالنا، ٣٦٦/٢

، مثل التحريم كقوله تعالى ﴿ لا تأكلوا الربا ﴾ والكراهة كالنهي عن الصلاة في أرض مغصوبة وعن الصلاة في ثوب واحد ، والتنزيه كقوله تعالى ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ والتحقير كقوله تعالى ﴿ . **ولا تمدن عينيك** ﴾ وبيان العاقبة كقوله تعالى ﴿ لا تعتذروا ﴾ والإرشاد كقوله تعالى ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ والشفقة كالنهي عن اتخاذ الدواب كراسي والمشي في نعل واحد وحينئذ يصير حكمهما واحدا وهو باطل ؛ لأنهما ضدان بإجماع أهل اللسان ويستحيل أن يكون الأثر الثابت بالضدين شيئا واحدا قوله (يبطل الحقائق كلها) ؛ لأنه ما من كلام إلا وفيه احتمال قريب أو بعيد من نسخ أو خصوص أو مجاز فلو أوجب مجرد الاحتمال التوقف لتعطلت النصوص وأحكام الشرع وذلك باطل قوله (ألا ترى أنا لم ندع أنه محكم) أي نحن ما أنكرنا احتمال صيغة الأمر غير ما وضع له من الوجوب حيث لم نقل إنه محكم ولكنا أنكرنا ثبوت المحتمل عند عدم الدليل كما حققناه في أول باب الخصوص." [1]

"قوله (ومن هذا الأصل) أي ومن الخاص (باب النهي) لأنه خاص في التحريم كالأمر خاص في الإيجاب ثم النهي في اللغة المنع ومنه النهية للعقل لأنه مانع عن القبيح وفي اصطلاح أهل الأصول هو استدعاء ترك الفعل بالقول ممن هو دونه وقيل هو قول القائل لغيره لا تفعل على جهة الاستعلاء وقيل هو اقتضاء كف عن فعل على جهة الاستعلاء وهذه العبارات بعضها قريب من بعض ويفهم ما فيها من الاحترازات عما ذكرنا في حد الأمر ولما كان النهي مقابل الأمر فكل ما قيل في حد الأمر من مزيف أو مختار قيل مقابله في حد النهي ثم صيغة النهي وإن كانت مترددة بين التحريم كقوله تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ والكراهة كقوله تعالى ﴿ وذروا البيع ﴾ إذ معناه ولا تبايعوا والتحقير كقوله تعالى ﴿ **ولا تمدن عينيك** ﴾ الآية وبيان العاقبة كقوله تعالى ﴿ ولا تحسبن الله غافلا ﴾ والدعاء كقول الداعي لا تكلني إلى نفسي والتآسي كقوله تعالى ﴿ لا تعتذروا اليوم ﴾ والإرشاد كقوله تعالى ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ والشفقة كقوله عليه السلام ﴿ لا تتخذوا الدواب كراسي ﴾ فهي مجاز في غير التحريم والكراهة بالاتفاق فأما الكلام في أنها حقيقة في التحريم دون الكراهة أو على العكس أو مشتركة بينهما بالاشتراك اللفظي أو المعنوي أو موقوف فعلى ما تقدم في الأمر من المزيف والمختار كذا في عامة نسخ أصول الفقه وذكر في التقويم ويحتمل أن لا يكون على الاختلاف لأن القول به يؤدي إلى أن يصير موجب الأمر والنهي واحدا وهو." [2]

---

(١) كشف الأسرار، ٣١٠/١

(٢) كشف الأسرار، ١٨٦/٢

"(١) التحريم ، نحو قوله تعالى؟ : ؟ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ؟ و؟ ولا تقربوا الزنى؟ إنه كان فاحشة؟ و؟ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق؟ و ؟ولا تقربوا مال اليتيم؟(الإسراء/٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤) .

(٢) الكراهة ، وهي أقل قبحا وأخف طلبا من التحريم ، نحو قوله تعالى؟ : ؟ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ؟ (البقرة/٢٦٧) .

(٣) الإرشاد إلى ما فيه مصلحة ، نحو قوله تعالى؟ : ؟لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم؟ (المائدة/١٠١) .

(٤) الدعاء ، نحو قوله تعالى؟ : ؟ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا؟(البقرة/٢٨٦) .

(٥) التحذير ، نحو قوله تعالى؟ : ؟ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ؟ (آل عمران/١٠٢) .

(٦) بيان تحقير الشيء وتقليله ، نحو قوله تعالى؟ : ؟ **ولا تمدن عينيك** إلى؟ ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ؟ (طه/١٣١).

وصيغ النهي غير الأصلية هي :

(١) بلفظ التحريم ، نحو قوله تعالى؟ : ؟ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ؟(الأعراف/٣٣) .

(٢) بلفظ الكراهة ، كقوله : " إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال " البخاري[١٤٠٧] .

(٣) بلفظ النهي ، نحو قوله تعالى؟ : ؟ وينهى؟ عن الفحشاء والمنكر والبغي ؟ (النحل/٩٠) .

(٤) وبلفظ لا يحل ، نحو قوله تعالى؟ : ؟ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ؟ (النساء/١٩) .." [١]

" الفصل الأول

في مقدمات وتقسيمات يترتب الكلام عليها وفيها مباحث

البحث الأول أن صيغة لا تفعل حصر إستعمالها جماعة من الأئمة في عدة وجوه أحدها التحريم كقوله تعالى ولا تقربوا الزنى وأمثاله وثانيها الكراهة كقوله صلى الله عليه و سلم إذا استيقظ أحدكم من نومه

---

(١) تلخيص الأصول للزاهدي، ص/٢٤

فلا يغمس يده في الإناء الحديث وثالثها التحقير كقوله تعالى **ولا تمدن عينيك** الآية ورابعها الإرشاد كقوله تعالى لا تسألوا عن أشياء ." [1]

"(النهي) النفسي (اقتضاء كف عن فعل لا يقول كف) ونحوه كذر ودع فإن ما هو كذلك أمر كما تقدم وتناول الاقتضاء الجازم وغيره ويحد أيضا بالقول المقتضي لكف إلخ كما يحد اللفظي بالقول الدال على ما ذكر ولا يعتبر في مسمى النهي مطلقا علو ولا استعلاء على الأصح كالأمر (وقضية الدوام) على الكف (ما لم يقيد بالمرة) فإن قيد بها نحو لا تسافر اليوم إذ السفر فيه مرة من السفر كانت قضيته (وقيل) قضية الدوام (مطلقا) والتقييد بالمرة يصرفه عن قضيته (وترد صيغته) أي لا تفعل (للتحريم) نحو ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ (والكراهة) ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ (والإرشاد) ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ (والدعاء) ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾ (وبيان العاقبة) ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء ﴾ أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت (والتقليل والاحتقار) ﴿ **ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ أي فهو قليل حقير بخلاف ما عند الله ومن اقتصر على الاحتقار جعله المقصود في الآية وكتابة المصنف التقليل المأخوذ من البرهان بالعين سبق قلم (واليأس) ﴿ لا تعتذروا اليوم ﴾ (وفي الإرادة والتحريم ما) تقدم (في الأمر) من الخلاف فقيل لا تدل الصيغة على الطلب إلا إذا أريد الدلالة بها عليه والجمهور على أنها حقيقة في التحريم وقيل في الكراهة وقيل فيهما وقيل في أحدهما ولا نعرفه .

s." [2]

"قوله: (والإرشاد) الفرق بينه وبين الكراهة كما يشير إليه التمثيل بالآية المذكورة تبعا لإمام الحرمين أن المفسدة المطلوب درؤها في الإرشاد دنيوية، وفي الكراهة دينية نظير ما مر في الفرق بينه وبين الندب من أن المصلحة المطلوبة فيه دنيوية وفي الندب دينية.

قوله: (والتقليل والاحتقار **ولا تمدن عينيك**) الآية لا يتعين أن يكون الشارح جعلهما شيئا واحدا كما قاله الكمال وشيخ الإسلام، بل يجوز أن يكون جعلهما شيئين، ولكنه اقتصر على التمثيل بالآية لهما إشارة إلى صلاحيتها لكل منهما وإلى أنهما قد تصح إرادتهما معا في في الموضع الواحد، وإلى أن الاحتقار لا يتعين أن يتعلق بالمنهي فقط كما اقتضاه كلام البرماوي، بل قد يتعلق بالمنهى عنه أو بمتعلقه، وحينئذ يندفع عنه

---

(١) تحقيق المراد، ص/٦١

(٢) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ٣/٢٤٥

اعتراض البرماوي على جعلهما شيئا واحدا بقوله: فمن يجعلهما واحدا ويمثل لهما بالآية كالأردبيلي وشيخنا البدر الزركشي فليس بجيد اهـ سم. والتقليل يكون في الكمية والمقدار والاحتقار يكون في الكيفية والقدر.

رقم الجزء: ١ رقم الصفحة: ٣٠٧

قوله:

(أزواجا منهم)

أي أصنافا.

رقم الجزء: ١ رقم الصفحة: ٣٠٨

قوله:

(سبق قلم)

أي أن الذي في أصله وهو البرهان بالقاف لكن المصنف سها فكتبه بالعين.

رقم الجزء: ١ رقم الصفحة: ٣٠٨

قوله:

(واليأس)

(١٨٤/٢)

كان المراد به الإياس أي إيقاع اليأس وتحصيله لهم لا أن ذلك حاصل لهم كما هو مفاد التعبير باليأس لأنه لم يكن حاصلا لهم وقت الاعتذار وإلا لم يكن للاعتذار معنى.." [١]

"وقوله تعالى كن فيكون إخبار عن نهاية الاقتدار فظاهر الأمر الوجوب وما عداه فالصيغة مستعارة فيه ومجموعه ثلاثة عشر ويرد النهي لسبعة معان للتحريم كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا وللكراهة كقوله لعائشة رضي الله عنه لا تتوضئي بالماء المشمس وللتحقير كقوله تعالى **ولا تمدن عينيك** ولبيان العاقبة كقوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا." [٢]

"٢. صيغة الأمر الدالة على النهي : كقوله تعالى في الخمر ﴿ فاجتنبوه ﴾ (١) وكقوله سبحانه : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ (٢). فاجتنبوا أمر دال على الكف عن الفعل.

---

(١) حاشية البناني، ١٢٨/٢

(٢) المنخول، ص/٢٠٤

٣. صيغة نهي : كقوله تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣).

٤. الجمل الخبرية الدالة على النهي عن طريق صيغة التحريم أو نفي الحل : كقوله تعالى في المحرمات من النساء في النكاح ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم ﴾ (٤) وكقوله سبحانه ﴿ لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ (٥).

وجوه استعمال صيغة النهي :

إن صيغة النهي تستعمل في معان عدة، كما أن الأمر قد استعمل في معان عدة أيضا. فمن معاني النهي :

١. التحريم : كقوله تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ (٦) وأمثاله.

٢. الكراهة : كقوله عليه السلام : ((إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء)) (٧).

٣. الإرشاد : كقوله سبحانه ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ (٨).

٤. التحذير : كقوله تعالى ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (٩) أي : اعملوا بالإسلام حال الحياة حتى تموتوا عليه.

٥. التحقير : كقوله تعالى ﴿ **ولا تمدن عينيك** ﴾ (١٠) أي : **ولا تمدن عينيك** فهو حقير.

٦. الدعاء : كقوله تعالى ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ (١١).

---

(١) سورة المائدة آية (٩٠).

(٢) سورة الحج آية (٣٠).

(٣) سورة النحل آية (٩٠).

(٤) سورة النساء آية (٣٣).

(٥) سورة النساء آية (١٩).

(٦) سورة الإسراء آية (٣٢).

(٧) رواه البخاري في الصحيح جـ١ : ٢٦٣ مع الفتح، ومسلم في الصحيح جـ٣ : ٧٣ بشرح النووي. عن أبي هريرة واللفظ لمسلم.

(٨) سورة المائدة آية (١٠١).

(٩) سورة آل عمران آية (١٠٢).

(١٠) سورة الحجر آية (٨٨).

(١١) سورة البقرة آية (٢٨٦).." [1]

"﴿ومثله المحلي وغيره بقوله تعالى: ((ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون))﴾ وأمثلته كثيرة.

(وتحقير) يعني: ﴿والثالث: كونها لتحقير نحو قوله تعالى: ((**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم))﴾.

(وبيان العاقبة) يعني: النتيجة التي تترتب على الفعل.

وهو الرابع: نحو قوله تعالى: ((ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون)).

لم يغفل عنهم فيحاسبهم .. فيجازيهم على ظلمهم.

قال: (ودعاء) يعني: ﴿الخامس: كونها لدعاء نحو قوله تعالى: ((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا))﴾ وهذا كثير، فيسمى دعاء من باب الأدب.

(ويأس) يعني: تأتي لليأس. ﴿نحو قوله تعالى: ((لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)).

وبعضهم مثل به للاحتقار﴾.

(وإرشاد) وهو ﴿السابع: كونها لإرشاد نحو قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)) والمراد: أن الدلالة على الأحوط ترك ذلك﴾.

قال: ﴿قيل: وفيه نظر، بل هي للتحريم.

و ا لأظهر الأول﴾ عند المصنف.

﴿لأن الأشياء التي يسأل عنها السائل لا يعرف حين السؤال هل تؤدي إلى محذور أم لا؟ ولا تحريم إلا بالتحقق﴾.

يعني: ((لا تسألوا عن أشياء)) هل هو للتحريم أو للإرشاد؟ قيل: للتحريم وقيل: للإرشاد. لكن الأصل حمل اللفظ على ظاهره، وظاهر صيغة لا تفعل التحريم.

قال: (ولأدب) نحو قوله تعالى: ((ولا تنسوا الفضل بينكم)) وهذا راجع إلى الكراهة.

(وتهديد) يعني: التاسع: أنها تأتي للتهديد ﴿كقولك لمن تهدده: أنت لا تمتثل أمري.

هكذا مثله في شرح التحرير. والذي يظهر: أن لا هنا نافية﴾ لا تمتثل. نافية ليست ناهية.

﴿والأولى تمثيله بقول السيد لعبده –وقد أمره بفعل شيء فلم يفعله–: لا تفعله، فإن عادتك أن لا تفعله

---

(١) النهي المطلق .. هل يقتضي فساد المنهي عنه؟ وتطبيقات من أثره الفقهي، ص/٥

بدون المعاقبة﴾. لا تفعل .. لا تفعل.

فحينئذ يريد أن يعاقبه على ذلك.

(وإباحة الترك) يعني: تأتي لا تفعل ﴿لإباحة الترك كالنهي بعد الإيجاب على قول تقدم في أن النهي بعد الأمر للإباحة﴾ وذكرناه عن ابن قدامة رحمه الله تعالى ﴿والصحيح خلافه﴾.

(ولالتماس) يعني: ﴿الحادي عشر: كونها للالتماس كقولك لنظيرك: لا تفعل، عند من يقول: إن صيغة الأمر لها ثلاث صفات: أعلى، ونظير، وأدون. وكذلك النهي﴾.

قلنا: هذا لا يدل عليه دليل لغوي.." (١)

"النهي المطلق للفور والدوام

من المسائل المتعلقة بباب النهي: أن النهي يقتضي التكرار، فيجب على من علم بنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن ينتهي عنه طيلة حياته وعلى الدوام، ولذلك قال القاضي القرافي قلت: للشيخ العز سلطان العلماء إن لم يقتض النهي التكرار ما وجد عاصيا في هذه الدنيا.

والصحيح والراجح في ذلك: أن الله جل وعلا إذا قال: (انتهوا)، فالانتهاء يكون إلى يوم القيامة، إلا إذا علق بوصف معين فالحكم يدور مع علته حيث دار، وممكن أن يخرج النهي المعلق بوصف أو بعلة.

فمثلا: النهي عن الصيام ليلا -الوصال- على قول من رجح بحرمة الوصال، فأنه يحرم الصيام من الليل إلى الفجر.

ومن الأمثلة التي خرج بها النهي عن التحريم إلى الكراهة أو الإرشاد أو التحقير: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن ينتعل الرجل وهو قائم، قال بعض العلماء: هذا النهي للكراهة، وهذا قول الجمهور، لكن نقول: إن الأصل في النهي التحريم وائتونا بالدليل والقرينة التي صرفت النهي إلى الكراهة، لكن ممكن أن تكون القرينة: خشية أن ينكب على وجهه، وإن تمكن فله أن يفعل، والله تعالى أعلم.

والقاعدة التي قعدها جمهور الفقهاء: أن النهي أو الأمر إذا كان من الآداب فيصرف الأمر إلى الاستحباب، ويصرف النهي إلى الكراهة، وهذه مسألة تحتاج إلى دليل حتى تنضبط به المسألة.

ويخرج أيضا النهي من التحريم إلى الإرشاد، كقول الله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ [المائدة:١٠١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تحقرن من المعروف شيئا)، وكقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

---

(١) شرح مختصر التحرير للفتوحي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/٤٤

وأيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا).

ويخرج النهي عن التحريم أيضا إلى الدعاء؛ لأنه يكون من الأدنى للأعلى، كقول الله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ [آل عمران:٨].

ويخرج أيضا من التحريم إلى التحقير، كقول الله تعالى مرشدا لأهل الصلاح: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ [طه:١٣١]، يحقر زينة الدنيا.

وأيضا يخرج النهي عن التحريم إلى بيان العاقبة، كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ [إبراهيم:٤٢]، فالله جل وعلا لا يغفل عما يفعل الظالمون، وسيرجعون إليه ثم يحاسبهم على ما فعلوا.

ويخرج أيضا النهي إلى التيئيس، كقول الله تعالى: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة:٦٦] فهو ييئسهم من أن هذا العذر غير مقبول في الدنيا، ومن باب أولى في الآخرة.." [1]

"ل (١):

كراهة: نحو قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يمس أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول).

وتحقير: نحو قوله تعالى: (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) [الحجر: ٨٨].

وبيان العاقبة: نحو قوله تعالى: (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون)

[إبراهيم: ٤٢].

ودعاء: نحو قوله تعالى: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) [آل عمران: ٨].

ويأس: نحو قوله تعالى: (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) [التوبة: ٦٦].

وإرشاد: نحو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) [المائدة: ١٠١] قيل: وفيه نظر، بل هي للتحريم. والأظهر الأول. لأن الأشياء التي يسأل عنها السائل لا يعرف حين السؤال هل تؤدي إلى محذور أم لا؟ ولا تحريم إلا بالتحقق.

ومثل له الشيخ بقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ: (لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة أعني اللهم على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

وتهديد: نحو قول السيد لعبده - وقد أمره بفعل شيء فلم يفعله - لا تفعله، فإن عادتك أن لا تفعله بدون المعاقبة.

والتماس: كقولك لنظيرك: لا تفعل.

---

(١) تيسير أصول الفقه للمبتدئين، محمد حسن عبد الغفار ٣/٨

وتصبر: نحو قوله تعالى: (لا تحزن إن الله معنا) [التوبة: ٤٠].

وتسوية: نحو قوله تعالى: (فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) [الطور: ١٦].

وتحذير: نحو قوله تعالى: (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [آل عمران: ١٠٢].

وبعض هذه المعاني متداخل كما أن بعض الأمثلة المضروبة لا تخلو من نظر، للخلاف الوارد في قوة ودلالة الدليل الصارف إلا أنه ينبغي أن نتقيد بفهم وعمل السلف الصالح وألا ننشئ قولا ليس لنا فيه سلف.

---

(١) - انظر شرح الكوكب المنير (٣/ ٧٨).." [١]

"٣ - الدعاء: كقوله تعالى: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا (١) ٤ - الإشارة: كقوله تعالى: لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم (٢) ٥ - بيان العاقبة: كقوله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا (٣) ٦ - التحقير: كقوله تعالى: **لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم (٤) ٧ - اليأس: كقوله تعالى: يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم (٥) ولما كانت صيغة النهى مستعملة فى المعانى السبعة المتقدمة اختلف العلماء فيما تفيده الصيغة حقيقة من هذه المعانى على خمسة أقوال هى:

القول الأول: الصيغة حقيقة فى التحريم مجاز فيما عداه، وهذا قول الجمهور.

القول الثانى: أنها حقيقة فى الكراهة مجاز فيما عداها.

القول الثالث: أنها مشترك معنوى بين التحريم والكراهة فهى موضوعة للقدر المشترك بينهما وهو طلب الترك.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦

(٢) سورة المائدة الآية: ١٠١.

(٣) سورة آل عمران ١٦٩.

(٤) سورة الحجر ٨٨.

(٥) سورة التحريم ٧.." [٢]

"٢٢٦- وأما صيغة النهي إذا تقيدت فإنها ترد على وجوه على مناقضة الأمر لا يعسر على الباحث طلبها ومطلقها للحظر والمقيد منها يرد على وجوه.

---

(١) الشرح الكبير لم ختصر الأصول، أبو المنذر المنياوي ص/٢٢١

(٢) دراسات أصولية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم الحفناوى ص/٢٠١

منها التنزية ومنها الوعيد ومنها الدعاء كقوله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ ١ ومنها الإرشاد كقوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم﴾ ٢ تسؤكم ومنها بيان العاقبة كقوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ ٣ وترد بمعنى التحقير والتقليل كقوله تعالى: **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ ٤ وترد بمعنى إثبات اليأس كقوله تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ ٥.

---

١ آية "٨" سورة آل عمران.

٢ آية "١٠١" سورة المائدة.

٣ آية "١٦٩" سورة آل عمران.

٤ آية "٨٨" سورة الحجر.

٥ آية "٧" سورة التحريم.." (١)

"والإسراج، أعني: طلبه، والميل إليه لارتباط غرضه به، فإن ثبت أن الأمر يرجع إلى هذه الإرادة لزم اقتران الأمر، والإرادة في حق الله تعالى حتى لا تكون المعاصي الواقعة إلا مأمورا بها مرادة، إذ الكائنات كلها مرادة. أو ينكر وقوعها بإرادة الله فيقال: إنها على خلاف إرادته، وهو شنيع إذ يؤدي إلى أن يكون ما يجري في ملكه على خلاف ما أراد أكثر مما يجري على وفق إرادته، وهي الطاعات، وذلك أيضا منكر، فما المخلص من هذه الورطة؟ قلنا: هذه الضرورة التي دعت الأصحاب إلى تمييز الأمر عن الإرادة فقالوا: قد يأمر السيد عبده بما لا يريده، كالمعاتب من جهة السلطان على ضرب عبده إذا مهد عنده عذره لمخالفة أوامره فقال له بين يدي الملك: أسرج الدابة، وهو يريد أن لا يسرج إذ في إسراجه خطر، وإهلاك للسيد، فيعلم أنه لا يريده، وهو أمر إذ لولاه لما كان العبد مخالفا، ولما تمهد عذره عند السلطان، وكيف لا يكون أمرا، وقد فهم العبد، والسلطان، والحاضرون منه الأمر؟ فدل أنه قد يأمر بما لا يريده هذا منتهى كلامهم، وتحته غور لو كشفناه لم تحتمل الأصول التقصي عن عهدة ما يلزم منه، ولتزلزلت به قواعد لا يمكن تداركها إلا بتفهيمها على وجه يخالف ما سبق إلى أوهام أكثر المتكلمين، والقول فيه يطول، ويخرج عن خصوص مقصود الأصول.

[النظر الثاني في صيغة الأمر]

---

(١) البرهان في أصول الفقه الجويني، أبو المعالي ١/١١٠

النظر الثاني في الصيغة، وقد حكى بعض الأصوليين خلافا في أن الأمر هل له صيغة؟ وهذه الترجمة خطأ، فإن قول الشارع: أمرتكم بكذا أو أنتم مأمورون بكذا، أو قول الصحابي: أمرت بكذا. كل ذلك صيغ دالة على الأمر، وإذا قال: أوجبت عليكم أو فرضت عليكم، وأمرتكم بكذا، وأنتم معاقبون على تركه، فكل ذلك يدل على الوجوب، ولو قال: أنتم مثابون على فعل كذا، ولستم معاقبين على تركه، فهو صيغة دالة على الندب. فليس في هذا خلاف، وإنما الخلاف في أن قوله: " افعل " هل يدل على الأمر بمجرد صيغته إذا تجرد عن القرائن؟ فإنه قد يطلق على أوجه، منها الوجوب كقوله: ﴿أقم الصلاة﴾ [الإسراء: ٧٨] ، والندب، كقوله: ﴿فكاتبوهم﴾ [النور: ٣٣] ، والإرشاد كقوله: ﴿، واستشهدوا﴾ [البقرة: ٢٨٢] والإباحة كقوله ﴿فاصطادوا﴾ [المائدة: ٢] ، والتأديب كقوله لابن عباس كل مما يليك، والامتنان كقوله: ﴿وكلوا مما رزقكم الله﴾ [المائدة: ٨٨] ، والإكرام، كقوله: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ [الحجر: ٤٦] ، والتهديد، كقوله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت: ٤٠] ، والتسخير، كقوله: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [البقرة: ٦٥] ، والإهانة، كقوله: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٩] ، والتسوية، كقوله: ﴿فاصبروا أو لا تصبروا﴾ [الطور: ١٦] ، والإنذار، كقوله: ﴿كلوا وتمتعوا﴾ [المرسلات: ٤٦] ، والدعاء كقوله: «اللهم اغفر لي» ، والتمني كقول الشاعر "

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

". ولكمال القدرة كقوله: ﴿كن فيكون﴾ [البقرة: ١١٧] ، وأما صيغة النهي، وهو قوله: " لا تفعل. فقد تكون للتحريم وللكراهية، والتحقير كقوله: **﴿ولا تمدن عينيك﴾** [طه: ١٣١] ولبيان العاقبة، كقوله: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ [إبراهيم: ٤٢] وللدعاء كقوله: «ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين» ولليأس كقوله: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: ٧]." [١]

"وقوله تعالى كن فيكون إخبار عن نهاية الاقتدار فظاهر الأمر الوجوب وما عداه فالصيغة مستعارة فيه ومجموعه ثلاثة عشر ويرد النهي لسبعة معان للتحريم كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا وللكراهة كقوله لعائشة رضي الله عنه لا تتوضئي بالماء المشمس وللتحقير كقوله تعالى **ولا تمدن عينيك** ولبيان العاقبة كقوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا." [٢]

---

(١) المستصفى أبو حامد الغزالي ص/٢٠٤

(٢) المنخول أبو حامد الغزالي ص/٢٠٤

"[الصنف الثاني في النهي]

[المسألة النهي عن التصرفات والعقود المفيدة لأحكامها هل يقتضي فسادها]

اعلم أنه لما كان النهي مقابلا للأمر فكل ما قيل في حد الأمر على أصولنا وأصول المعتزلة من المزيف والمختار.

فقد قيل مقابله في حد النهي ولا يخفى وجه الكلام فيه.

والكلام في النهي " على أصول أصحابنا " هل له صيغة تخصه وتدل عليه؟ فعلى ما سبق في الأمر أيضا، وأن صيغة " لا تفعل " وإن ترددت بين سبعة محامل: وهي التحريم والكراهة والتحقير كقوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ ، وبيان العاقبة كقوله: ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ ، والدعاء كقوله: " لا تكلنا إلى أنفسنا "، واليأس كقوله: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ ، والإرشاد كقوله: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ .

فهي حقيقة في طلب الترك واقتضائه، ومجاز فيما عداه.

وأنها هل هي حقية (١) في التحريم أو الكراهة أو مشتركة بينهما أو موقوفة؟ فعلى ما سبق في الأمر من المزيف، و ا لمختار، والخلاف في أكثر مسائله، فعلى وزان الخلاف في مقابلاتها من مسائل الأمر ومأخذها كمأخذها فعلى الناظر بالنقل والاعتبار.

غير أنه لا بد من الإشارة إلى ما تدعو الحاجة إلى معرفته من المسائل الخاصة بالنهي، لاختصاصها بمأخذ لا تحقق له في مقابلاتها من مسائل الأمر، وهي ثلاث مسائل.

---

(١) حقية - الصواب حقيقة." (١)

"لسيد المرسلين: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ [طه: ١٣١]

وكذلك لو مس جدار إنسان لم يمنع من مسه، ولو استند إلى جدار إنسان لجاز كما لو جاز مطيبا أو جالسه متطيب، فإن ذلك مأذون بحكم العرف ولو منعه من الاستناد إلى جداره فقد اختلفوا فيه إذا كان الاستناد لا يؤثر في الجدار ألبتة، ولا ينبغي أن يطرد في ذلك شم ريح المتطيب، وكذلك مما لا أعده ورعا أكل طعام حلال محض حمله ظالم ولا سيما الطعام الذي ندب الشرع إليه كطعام الولائم، لأن ما كان حلالا بوصفه وسببه فلا وجه لاجتنابه إلا بالوسواس والأوهام التي لا لفتة للشرع إلى مثلها.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي الآمدي، أبو الحسن ١٨٧/٢

الرابعة حاسة الذوق: فلا يذاق بها مكروه ولا حرام ويذاق بها الطعام المندوب إلى أكله وذوقه كطعام الولائم لما في ذوقه من جبر قلوب الإخوان.

وكذلك يجب الذوق على الحاكم والشاهد عند اختلاف الخصوم في مطعم المبيع.

الخامسة حاسة اللمس ويتعلق بها الأحكام الخمسة: أما الإيجاب: فكإيجاب لمس المصلي بالجباه.

وأما الاستحباب: فكاستحباب لمس المصلي بالأنوف والأكف ولمس أركان البيت وتقبيل الحجر وتقبيل الوالدين وأكابر الأولياء والعلماء، وكذا لمس المصافحة والمعانقة في لقاء الإخوان.

وأما التحريم: فكلمس عورات الأجانب، وكذلك لمس ما خرج عن العورة من أبدان النساء الأجنبيات والمرد الحسان عند مخافة الافتتان، وكذلك التلامس بين الزوجين المحرمين بشهوة في حال الإحرام.." (١)

"وللمأمور عندنا ضرب من الاختيار؛ وإن كان ضروريا فنقل حكم الوجود إلى الوجوب حقا لازما بالأمر لا يتوقف على اختيار المأمور توقف الوجود على اختيار المأمور صيانة واحترازا عن الجبر؛ فلذلك صار الأمر للإيجاب ولو وجب التوقف في حكم الأمر لوجب في النهي فيصير حكمهما واحدا، وهو باطل وما اعتبره الواقفية من الاحتمال يبطل الحقائق كلها، وذلك محال ألا ترى أنا لم ندع أنه محكم

ــــــــمكلفا يوجب التراخي إلى حين إيجاده فاعتبرنا المعنيين وأثبتنا بالأمر آكد ما يكون من وجوه الطلب، وهو الوجوب خلفا عن الوجود وقلنا بتراخي حقيقة الوجود إلى اختياره وقال أبو اليسر: الائتمار من حكم الأمر كما أن الانكسار من حكم الكسر إلا أن حصوله بفعل مختار فيقتضي وجوب الفعل حتى يحصل الائتمار فإن الائتمار لا يحصل بدونه والدليل على أنه من حكم الأمر أن المأمور إذا لم يكن ذا اختيار في الائتمار يحصل الائتمار عقيب الأمر بلا واسطة كالانكسار عقيب الكسر قال الله تعالى لقوم موسى ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [البقرة: ٦٥] وقد حصل الائتمار عقيب الأمر وقد أنبأنا عن الائتمار عقيب الأمر في قوله عز ذكره ﴿كن فيكون﴾ [البقرة: ١١٧] وجعل القيام موجب الأمر فيما لا اختيار له في قوله عز اسمه ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ [الروم: ٢٥] فعرفنا أن الائتمار موجب الأمر كما أن الانكسار موجب الكسر قوله (وللمأمور ضرب من الاختيار) إنما قال ذلك؛ لأن الاختيار المطلق الكامل لله تعالى واختيار العبد تابع لذلك قال تعالى ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [التكوير: ٢٩] وقال الشيخ الإمام نجم الدين النسفي - رحمه الله -: في بيان الاعتقاد بالفارسية آن مختاري كه جملة

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ابن عبد السلام ٢٣٤/١

مختاران باختيار خود جزان نكندكه أو خواهد ويجوز أن يكون هذا معنى قوله.
وإن كان ضروريا يعني لما لم يسع للعبد أن يختار خلاف ما أراده الله تعالى منه كان مضطرا في ذلك الاختيار كالمكره على المشي إلى المقتل فإنه مختار في رفع الأقدام حقيقة، وفي حمله على هذا الوجه نفي مذهب الجبرية والقدرية جميعا فإن الفرقة الأولى نفت اختيار العبد أصلا والفرقة الثانية أثبتوه مطلقا حتى كان للعبد أن يختار خلاف ما أراد الله تعالى منه عندهم فأثبت الشيخ أمرا بين أمرين كما هو دأب أهل السنة في ترك الغلو والتقصير، ويجوز أن يكون معناه أن العبد مضطر في ثبوت هذه الصفة له كما هو مضطر في كونه عاقلا وجاهلا وأبيض وأسود وطويلا وقصيرا؛ لأنه ليس في وسعه إثبات هذه الصفة ولا نفيها كما ليس في وسعه إثبات تلك الصفات ولا نفيها، ولما فرغ عن إقامة الدليل على مدعاه وإلى الفراغ أشار بقوله والله أعلم شرع في الجواب عن شبهة الواقفية، فقال ولو وجب التوقف في حكم الأمر لوجب في حكم النهي لوجود الداعي إليه على ما زعمتم، وهو استعماله في معان مختلفة، مثل التحريم كقوله تعالى ﴿لا تأكلوا الربا﴾ [آل عمران: ١٣٠] والكراهة كالنهي عن الصلاة في أرض مغصوبة وعن الصلاة في ثوب واحد، والتنزيه كقوله تعالى ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦]
والتحقير كقوله تعالى **﴿ولا تمدن عينيك﴾** [طه: ١٣١] وبيان العاقبة كقوله تعالى ﴿لا تعتذروا﴾ [التوبة: ٦٦] والإرشاد كقوله تعالى ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ [المائدة: ١٠١] والشفقة كالنهي عن اتخاذ الدواب كراسي والمشي في نعل واحد وحينئذ يصير حكمهما واحدا وهو باطل؛ لأنهما ضدان بإجماع أهل اللسان ويستحيل أن يكون الأثر الثابت بالضدين شيئا واحدا
قوله (يبطل الحقائق كلها) ؛ لأنه ما من كلام إلا وفيه احتمال قريب أو بعيد من نسخ أو خصوص أو مجاز فلو أوجب مجرد الاحتمال التوقف لتعطلت النصوص وأحكام الشرع وذلك باطل
قوله (ألا ترى أنا لم ندع." (١)
"على ما أشرنا إليه والله أعلم

ومن هذا الأصل (باب النهي) :
ــــــــq بظهور علامات الموت منعناه من التأخير لأنه تفويت تعد فإذا مات بغتة وفجأة فهو غير مفوت للمأمور به لأنه أخر عن وقت إلى وقت مثله وقد أطلقنا له ذلك فصار الفوات عند موته بغتة من غير ظهور

---

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي علاء الدين البخاري ١/ ١١٨

أمارات الموت مضافا إلى صنع الله تعالى لا إلى العبد لأنه قد فعل ما كان مطلقا له فلم يصح وصف فعله بالتفويت فلم يجز أن يوصف بالعصيان ثم عدم وصفه بالعصيان لم يدل على فوات فائدة الوجوب لأنا حققنا صفة الواجبية فيما يرجع إلى فعل العبد من منعه من التفويت فبوجود الفوات من الله تعالى لا يبطل فائدة الوجوب وقولهم وجب تعجيل الاعتقاد فيجب تعجيل الفعل قلنا اعتقاد الوجوب يستغرق جميع العمر ومن ضرورته تعجيل وجوبه وكذا الانتهاء في النهي فأما أداء الواجب فلا يستغرق جميع العمر فلا يتعين للأداء جزء من العمر إلا بدليل على أنا نقول يجب اعتقاد وجوبه على التوسع كما يلزمه فعله على التوسع فإذا وجب الفعل على حسب ما يعتقده من الوجوب ووجب الاعتقاد على حسب ما يلزمه من الفعل لم يقع الفرق بينهما بوجه والله أعلم قوله (على ما أشرنا إليه) متعلق بقوله فعلى التراخي لا بقوله خلافا للكرخي فإنه لم يشر إلى مذهبه فيما تقدم والإشارة قوله والذي عليه عامة مشايخنا أن الأمر المطلق لا يوجب الفور بلا خلاف

[باب النهي]

[النهي المطلق نوعان]

[النهي عن الأفعال الحسية]

قوله (ومن هذا الأصل) أي ومن الخاص (باب النهي)

لأنه خاص في التحريم كالأمر خاص في الإيجاب ثم النهي في اللغة المنع ومنه النهية للعقل لأنه مانع عن القبيح وفي اصطلاح أهل الأصول هو استدعاء ترك الفعل بالقول ممن هو دونه وقيل هو قول القائل لغيره لا تفعل على جهة الاستعلاء وقيل هو اقتضاء كف عن فعل على جهة الاستعلاء وهذه العبارات بعضها قريب من بعض ويفهم ما فيها من الاحترازات عما ذكرنا في حد الأمر ولما كان النهي مقابل الأمر فكل ما قيل في حد الأمر من مزيف أو مختار قيل مقابله في حد النهي ثم صيغة النهي وإن كانت مترددة بين التحريم كقوله تعالى ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ [الإسراء: ٣٢] والكراهة كقوله تعالى ﴿وذروا البيع﴾ [الجمعة: ٩] إذ معناه ولا تبايعوا والتحقير كقوله تعالى **﴿ولا تمدن عينيك﴾** [طه: ١٣١] الآية وبيان العاقبة كقوله تعالى ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ [إبراهيم: ٤٢] والدعاء كقول الداعي لا تكلني إلى نفسي والتآسي كقوله تعالى ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: ٧] والإرشاد كقوله تعالى ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ [المائدة: ١٠١] والشفقة كقوله - عليه السلام - «لا تتخذوا الدواب كراسي» فهي مجاز في غير التحريم والكراهة بالاتفاق فأما الكلام في أنها حقيقة في التحريم دون الكراهة أو على العكس أو مشتركة بينهما بالاشتراك اللفظي أو

المعنوي أو موقوف فعلى ما تقدم في الأمر من المزيف والمختار كذا في عامة نسخ أصول الفقه وذكر في التقويم ويحتمل أن لا يكون على الاختلاف لأن القول به يؤدي إلى أن يصير موجب الأمر والنهي واحدا وهو الوقف وهذا لا سبيل إليه.

ثم موجب النهي وجوب الانتهاء عن مباشرة المنهي عنه لأنه ضد الأمر فكما." (١)

"بالصيغة ترد لسبعة محامل: التحريم مثل: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ والتنزيه مثل قوله عليه السلام: "ولا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول" والدعاء: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ والإرشاد: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ وبيان العاقبة: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ والتحقير: **﴿لا تمدن عينيك﴾** واليأس: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ .

والكلام أن صيغة النهي هل هي حقيقة التحريم أو الكراهة أن مشتركة بينهما أو موقوفة على ما سبق في الأمر فالخلاف في اكثر المسائل على وزان الخلاف في مقابلتها من مسائل النهي والمآخذ كالمآخذ وقد سبق أن الأمر المجرد عن القرينة يقتضي الوجوب فالمختار ان النهي المجرد عن القرينة يقتضي التحريم.

واعلم أنه إذا ثبت أن الامر للوجوب والنهي نقيضه فلا يثبت ان النهي للتحريم بل أنه ليس للوجوب لأن نقيض الوجوب لا وجوب ولما كان في الرأي المختار زيادة وهو ان النهي للتحريم استدل عليه بقوله تعالى: ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ووجه الاحتجاج انه أمر بالانتهاء عن المنهى والأمر للوجوب فكان الانتهاء عن المنهى واجبا وذلك هو المراد من قولنا النهي للتحريم ولقائل أن يقول هذا أولا لا يتم إلا بعد تسليم أن الأمر للوجوب وثانيا أن التحريم حينئذ لا يكون مستفادا من صيغة النهي بل بما دل من خارج وهو قوله: ﴿فانتهوا﴾ بل قد يقال لو كان النهي للتحريم لما احتيج إلى الأمر باجتناب المنهي عنه فكان الأمر بذلك دليلا على أن التحريم غير مكتسب منه وبهذا يظهر لك أن التحريم مستفاد من الشرع لا من اللغة ولم ترد الصيغة المطلقة من حيث اللغة على تضمن جزم الاقتضاء في الإنكفاف عن المنهي عنه كما قدمناه في الأمر إذا قلنا الصيغة المطلقة تتضمن جزم الاقتضاء في المأمور به وهذا هو مذهب إمام الحرمين الذي اخترناه كما علمت ثم قال:

وهو كالأمر في التكرار والفور.

حكم النهي حكم الأمر في عدم دلالته على التكرار وعلى الفور وقد اختار." (٢)

---

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي علاء الدين البخاري ٢٥٦/١

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج السبكي، تقي الدين ٦٧/٢

"الفصل الأول

في مقدمات وتقسيمات يترتب الكلام عليها وفيها مباحث

البحث الأول أن صيغة لا تفعل حصر إستعمالها جماعة من الأئمة في عدة وجوه أحدها التحريم كقوله تعالى ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ وأمثاله وثانيها الكراهة كقوله صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء الحديث وثالثها التحقير كقوله تعالى **﴿ولا تمدن عينيك﴾** الآية ورابعها الإرشاد كقوله تعالى ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾." (١)

"النهي

مقابل للأمر، فكل (١) ما قيل في حد الأمر، وأن له (٢) صيغة -وما في مسائله من مختار ومزيف- فمثله هنا.

* * *

وصيغة "لا تفعل" -وإن احتملت تحريما وكراهة (٣) وتحقيرا كقوله: (**لا تمدن عينيك**) (٤)، وبيان العاقبة: (ولا تحسبن الله غافلا) (٥)، والدعاء: (لا تؤاخذنا) (٦)، واليأس: (لا تعتذروا اليوم) (٧)، والإرشاد: (لا تسألوا عن أشياء) (٨) - فهي حقيقة في طلب الامتناع.

وكونها حقيقة في التحريم أو الكراهة -وهو وجه لنا، مع أن أحمد قال: "أخاف على قائل هذا أنه صاحب بدعة"- أو مشتركة أو موقوفة، فعلى ما

---

(١) في (ح): فما.

(٢) نهاية ٢٠٧ من (ح).

(٣) في (ب) و (ظ): وكراهية.

(٤) سورة الحجر: آية ٨٨.

(٥) سورة إبراهيم: آية ٤٢.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

---

(١) تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد صلاح الدين العلائي ص/٦١

(٧) سورة التحريم: آية ٧.

(٨) سورة المائدة: آية ١٠١.." [(١)]

"أشياء﴾ [المائدة: ١٠١] الآية. الخامس: التحقير كقوله تعالى: ﴿لا تمدن عينيك﴾ [الحجر: ٨٨] الآية. السادس: بيان العاقبة كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ [إبراهيم: ٤٢] الآية. السابع: اليأس كقوله تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: ٧] الآية، وقد اختلفوا في أن النهي هل من شرطه العلو والاستعلاء وإرادة الترك أم لا؟ وأنه هل له صيغة تخصه أم لا؟ وأنه هل هو حقيقة في الطلب وحده أم لا؟ وأن ذلك الطلب الذي هو حقيقة فيه هل هو التحريم أو الكراهة، أو كل منهما بالاشتراك أو الوقف؟ كما اختلفوا في الأمر فعلى هذا إذا ورد النهي مجردا عن القرائن فمقتضاه التحريم كما نبه عليه المصنف ونص عليه الشافعي في الرسالة فقال في باب العلل في الأحاديث ما نصه: وما نهي عنه فهو على التحريم حتى يأتي دلالة عنه على أنه أراد غير التحريم انتهى. ونص عليه أيضا في مواضع أخرى، واستدل المصنف عليه بقوله تعالى: ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] أمر بالانتهاء عن المنهي عنه فيكون الانتهاء واجبا؛ لأنه قد تقدم أن الأمر للوجوب ولك أن تقول: إنما يدل هذا على التحريم في بعض النواهي بدليل منفصل أيضا لا من وضع اللفظ، وكلاهما غير المدعى. قوله: "وهو كالأمر" يعني أن النهي حكمه حكم الأمر في أنه لا يدل على التكرار ولا على الفور كما تقدم، وفي المحصول أن هذا هو المختار، وفي الحاصل أنه الحق لأنه قد يرد للتكرار كقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ [الإسراء: ٣٢] ولخلافه كقول الطبيب: لا تشرب اللبن ولا تأكل اللحم والاشتراك والمجاز خلاف الأصل، فيكون حقيقة في القدر المشترك، وصحح الآمدي وابن الحاجب أنه للتكرار والفور، وجزم به المصنف قبل هذا بقليل كما تقدم التنبيه عليه. وقال في المحصول: إنه المشهور وابن برهان: إنه مجمع عليه، ودليل الإمام مردود بما تقدم في الكلام على أن الأمر ليس للتكرار ولأن عدم التكرار في أمر المريض إنما هو لقرينة وهي المرض، والكلام عند عدم القرائن. المسألة الثانية: في أن النهي هل يدل على الفساد أم لا؟ فقال بعضهم: لا يدل عليه مطلقا ونقله في المحصول عن أكثر الفقهاء والآمدي عن المحققين، وقال بعضهم: يدل مطلقا، وصححه ابن الحاجب لكن ذكر هذا الحكم مفرقا في مسألتين فافهمه، وقال أبو الحسين البصري: يدل على الفساد في العبادات دون المعاملات، واختاره الإمام في المحصول والمنتخب وكذلك أتباعه ومنهم صاحب الحاصل، وخالفهم المصنف فاختار تفصيلا يأتي ذكره والكلام عليه، وحيث قلنا يدل على الفساد، فقيل: يدل من جهة اللغة،

---

(١) أصول الفقه لابن مفلح ابن مفلح، شمس الدين ٢/٧٢٦

والصحيح عند الآمدي وابن الحاجب أنه لا يدل إلا من جهة الشرع، وقد تقدم دليله في الكلام على أن امتثال الأمر يوجب الإجزاء، وإليه أشار المصنف بقوله: النهي يدل شرعا، ولم يذكر الإمام ولا مختصر كلامه هذا القيد، وإذا قلنا: لا يدل على الفساد، فقال أبو حنيفة: يدل على الصحة لاستحالة النهي عن المستحيل، وجزم به الغزالي في المستصفى قبل الكلام على المبين، ثم ذكر بعد ذلك في هذا الباب أنه." (١)

"الصلاة في الأرض المغصوبة، والتنزيه نحو ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦] ، والتحقير نحو ﴿ولا تمدن عينيك﴾ [طه: ١٣١] ، وبيان العاقبة: نحو ﴿ولا تعتدوا﴾ [البقرة: ١٩٠] ، والإرشاد: نحو ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ [المائدة: ١٠١] ، والشفقة نحو النهي عن اتخاذ الدواب كراسي والمشي في نعل واحد (ولأن النهي أمر بالانتهاء) عطف على قوله لاستعماله في معان فلا يبقى الفرق بين قولك (افعل ولا تفعل) ؛ لأنه يصير موجبهما التوقف، والفرق بين طلب الفعل وطلب الترك ثابت بديهة.

(وهذا الاحتمال يبطل الحقائق) يمكن أن يراد بها حقائق الأشياء فإنه لو اعتبر مثل هذه الاحتمالات يجوز أن

ــــــــالحقيقي للفظ الأمر شرع في بيان ما هو المدلول الحقيقي لمسماه أعني لصيغة افعل، وقد اختلفوا في ذلك فذهب ابن سريج من أصحاب الشافعي - رحمه الله تعالى - إلى أن موجب الأمر، أي الأثر الثابت به التوقف؛ لأنه يستعمل في معان كثيرة بعضها حقيقة اتفاقا، وبعضها مجاز اتفاقا فعند الإطلاق يكون محتملا لمعان كثيرة، والاحتمال يوجب التوقيف إلى أن يتبين المراد فالتوقف عنده في تعيين المراد عند الاستعمال لا في تعيين الموضوع له؛ لأنه عنده موضوع الاشتراك اللفظي للوجوب، والندب، والإباحة، والتهديد، وذهب الغزالي، وجماعة من المحققين إلى التوقف، وتعيين الموضوع له أنه الوجوب فقط أو الندب فقط أو مشترك بينهما لفظا.

(قوله التأديب) هو قريب من الندب إلا أن الندب لثواب الآخرة، والتأديب لتهذيب الأخلاق وإصلاح العادات، وكذا الإرشاد قريب منه إلا أنه يتعلق بالمصالح الدنيوية، والتهديد هو التخويف، ويقرب منه الإنذار مثل قوله تعالى ﴿قل تمتع بكفرك قليلا﴾ [الزمر: ٨] فإنه إبلاغ مع تخويف، وقوله كلوا للامتنان على العباد بقرينة قوله ﴿مما رزقكم الله﴾ [الأنعام: ١٤٢] ، وقوله ادخلوها، أي الجنة للإكرام بقرينة قوله ﴿بسلام آمنين﴾ [الحجر: ٤٦] ، وقوله: انجلي، أي انكشفي جعله للتمني؛ لأنه استطال تلك الليلة حتى كان

---

(١) نهاية السول شرح منهاج الوصول الإسنوي ص/١٧٨

انجلاؤها بالصبح من قبيل المحالات التي لا رجاء في حصولها، وقوله ألقوا احتقار لسحر السحرة في مقابلة المعجزة الباهرة بدلالة الحال، والتكوين هو الإيجاد.

(قوله قلنا) إبطال دليل التوقف بأنه منقوض بالنهي فإنه أيضا يستعمل لمعان مع أن موجبه ليس التوقف للعلم الضروري بأنه ليس موجب " افعل، ولا تفعل " واحدا ثم عارضه بأنه لو كان موجب الأمر هو التوقف لكان موجب النهي، أيضا التوقف؛ لأنه أمر بالانتهاء وكف النفس عن الفعل، ثم أبطل المقدمة القائلة: إن الاحتمال يوجب التوقف بوجهين: الأول أنه يستلزم بطلان حقائق الأشياء لاحتمال تبدلها في الساعات أو بطلان حقائق الألفاظ ولا يتحقق حملها على معانيها لاحتمال نسخ أو خصوص أو مجاز أو اشتراك. الثاني إلا إن بان أنه إنما ينافي القطع بأحد المعاني لا الظهور فيه، ونحن لا ندعي أن الأمر محكم في أحد المعاني." (١)

"أمواتا﴾ أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت.

سادسها: التقليل والاحتقار أي للمنهي عنه كقوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به﴾ فهو احتقار للدنيا قاله في (البرهان) وفيه نظر بل هو للتحريم.

سابعها: اليأس، نحو: ﴿لا تعتذروا﴾. وفات المصنف الخبر، نحو: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾. والتهديد: كقولك لمن لا يمتثل أمرك: لا تمتثل أمري، والإباحة: وذلك في النهي بعد الإيجاب، فإنه إباحة للترك، والالتماس كقولك لنظيرك: لا تفعل هذا.

(ص): وفي الإرادة والتحريم ما في الأمر.

(ش): أي هل يعتبر في النهي إرادة الدلالة باللفظ على الترك أم لا؟ وكذا الكلام في أن صيغة النهي هل هي حقيقة في التحريم أو الكراهة أو مشتركة بينهما، أو موقوفة على ما سبق في الأمر؟ وقد سبق أن الأمر المجرد عن القرينة يقتضي الوجوب،." (٢)

"الرابع: التحقير لشأن المنهي عنه، كقوله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به﴾ [طه: ١٣١] . الخامس: التحذير، كقوله تعالى: ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢] . السادس: بيان العاقبة، كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾ [آل عمران: ١٦٩] . السابع: اليأس، كقوله تعالى: ﴿لا تعتذروا﴾ [التوبة: ٦٦] . الثامن: للإرشاد إلى الأحوط بالترك، كقوله تعالى: ﴿لا تسألوا

---

(١) شرح التلويح على التوضيح التفتازاني ١/٢٩٣

(٢) تشنيف المسامع بجمع الجوامع الزركشي، بدر الدين ٢/٦٢٩

عن أشياء﴾ [المائدة: ١٠١] ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تعمروا ولا ترقبوا» قال الرافعي في باب الهبة: قال الأئمة: هذا إرشاد معناه: لا تعمروا طمعا في أن يعود إليكم، واعلموا أن سبيله سبيل الميراث. التاسع: اتباع الأمر من الخوف كقوله: ﴿ولا تخف إنك من الآمنين﴾ [القصص: ٣١] . العاشر: الدعاء، كقوله: «لا تكلنا إلى أنفسنا» . الحادي عشر: الالتماس، كقولك لنظيرك: لا تفعل هذا. الثاني عشر: التهديد، كقولك لمن لا يمتثل أمرك: لا تمتثل أمري.

الثالث عشر: الإباحة وذلك في النهي بعد الإيجاب فإنه إباحة للترك. الرابع عشر: الخبر، ومثله الصيرفي بقوله تعالى: ﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾ [الرحمن: ٣٣] فالنون في " تنفذون " جعل خبرا لا." [١]

"مسألة الأمران المتعاقبان بمتماثلين ولا مانع عادة من التكرار من تعريف أو غيره والثانى غير معطوف مثل صل ركعتين قيل معمول بهما واختاره القاضى وأبو البركات واكثر الشافعية

وقيل تأكيد واختاره أبو الخطاب والمقدسى

وقيل بالوقف

مسألة يجوز أن يرد الأمر معلقا باختيار المأمور ذكره القاضى وابن عقيل

مسألة يجوز أن يرد الأمر والنهى دائما الى غير غاية فيقول صلوا ما بقيتم أبدا عند الأكثر خلافا للمعتزلة

مسألة الأمر بالصفة أمر بالموصوف نص عليه أمامنا

النهى مقابل الأمر فما قيل فى حد الأمر وان له صيغة تخصه وما فى مسائله من صحيح وضعيف فمثله هنا وصيغة لا تفعل وان احتملت تحقيرا كقوله **لا تمدن عينيك** وبيان العاقبة ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ والدعاء ﴿لا تؤاخذنا﴾ والياس لا تعتذروا اليوم والارشاد لا تسألوا عن اشياء فهى حقيقة فى طلب الامتناع وتختص به مسألتان." [٢]

"ش: ترد صيغة النهي، وهي: (لا تفعل) لسبعة أمور، جمعها الغزالي والآمدي وغيرهما.

أحدها: التحريم، كقوله: ﴿ولا تقتلوا النفس﴾.

الثاني: الكراهة كقوله: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾.

الثالث: الإرشاد، والفرق بينه وبين الكراهة ما سبق في الفرق بينه وبين الندب، ولهذا اختلف أصحابنا في أن كراهة المشمس شرعية أو إرشادية؟

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه الزركشي، بدر الدين ٣٦٨/٣

(٢) المختصر في أصول الفقه ابن اللحام ص/١٠٣

أي يتعلق بها الثواب أو ترجع لمصلحة طبية، ومثله إمام الحرمين بقوله: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ قال الشارح: وفيه نظر، بل هو للتحريم.

قلت: الظاهر ما قاله إمام الحرمين، فإنه تعالى قال: ﴿إن تبد لكم تسؤكم﴾ فبين أن مصلحة دنيوية وهي تجنب ما يسؤهم بسماعهم ما يكرهون.

الرابع: الدعاء، كقوله: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾

الخامس: بيان العاقبة كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾.

السادس: التقليل والاحتقار أي للمنهي عنه، كقوله: **﴿لا تمدن عينيك﴾** واعلم أن التقليل هنا بالقاف / (٥٧ ب/ د) فهو بمعنى الاحتقار وعطفه عليه تأكيد، ولو اقتصر على أحدهما لكان أولى، وظن بعض من تأخر عن الشارح أنه التعليل بالعين، فأفرده عنه، ومثله بقوله: لا تذنب فلا أحسن إليك،." [(١)]

"المتكلم مع النجوم من برجاء الشوق الباهر مستحيل الانجلاء وبلا آخر.

٢١ - الالتماس وهو ظاهر (١) قلنا الأصل ترجيح التجوز وعد الاشتراك واستعمال مطلقه في غير الوجوب ممنوع ومع أن غيره مشترك في استدعاء القرينة الصارفة وذا المارة المجاز لو اعتبر في التوقف مثله من الاحتمال يبطل حقائق الألفاظ إذ ما من لفظ إلا وفيه احتمال تجوز، أو خصوص أو غيرهما أو حقائق الأشياء لاحتمال تبدلها لحظة فلحظة في جنب قدرة الله تعالى بل يعتبر في أن لا يكون محكما ومن ادعاه والفرق بأن لهذا الاحتمال بخلافهما دليل كالوضع ممنوع وإلا فلا كلام وكالشيوع وكثرة الاستعمال غير مفيد لأنهما في المعاني المعلومة مجازيتها أكثر من أن يحصى وأوفر منهما في أكثر هذه المعاني ولأن الأشياء كما يحتمل كثرة تبدلها أيضا فمن أين علم الشيوع والكثرة ها هنا دونها ثم نقول لو وجب لتوقف في الأمر لذلك لوجب في النهي لاستعماله في معان:

١ - التحريم ﴿لا تأكلوا الربا﴾ [آل عمران: ١٣٠].

٢ - الكراهة النهي عن الصلاة في أرض مغصوبة وعنها في ثوب واحد.

٣ - التنزيه ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦].

٤ - التحقير **﴿لا تمدن عينيك﴾** [الحجر: ٨٨].

٥ - بيان العاقبة ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ [إبراهيم: ٤٢].

٦ - اليأس ﴿لا تعتذروا﴾ [التوبة: ٦٦].

---

(١) الغيث الهامع شرح جمع الجوامع ولي الدين بن العراقي ص/٢٥٩

٧ - الإرشاد ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ [المائدة: ١٠١].

٨ - الشفقة "لا تأخذوا دوابكم كراسي ولا تمشوا في نعل واحد".

٩ - الدعاء كقوله عليه السلام: "لا تكلني إلى نفسي" (٢).

١٠ - التسلية ﴿لا تحزن﴾ [التوبة: ٤٠].

ولأن النهي أمر بالانتهاء وكان موجبهما واحد وذا باطل لا لضديتهما مطلقا كما ظن، بل للقطع ببديهية اللغة والشرع بالفرق بينهما حتى من الصبيان والمجانين، ومن

---

(١) انظر إرشاد الفحول للشوكاني (١/ ٣٤٦ - ٣٤٥)، المختصر في أصول الفقه لابن اللحام (ص ١١٢).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٥٠) ح (٩٧٠)، والحاكم في مستدركه (١/ ٧٣٠) ح (٢٠٠٠)، والضياء في المختارة (٦/ ٣٠٠) ح (٢٣١٩)، وأبو داود (٤/ ٣٢٤) ح (٥٠٩٠)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٤٧) ح (١٠٤٠٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٠) ح (٢٩١٥٤)، والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٢)، والطبراني في الصغير (١/ ٢٧٠) ح (٤٤٤).." [١]

"وللتحقير كقوله تعالى **﴿ولا تمدن عينيك﴾** [سورة الحجر: ٨٨]

ولبيان العافية كقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ [سورة إبراهيم: ٤٢]

وللدعاء كقوله تعالى: ﴿لا تؤاخذنا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]

ولليأس كقوله تعالى: ﴿لا تعتذروا﴾ [سورة التحريم: ٧]

وللإرشاد كقوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ [سورة المائدة: ١٠١] . وللتسلية كقوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ [سورة النحل: ١٣٧] والله أعلم.." [٢]

"الثاني: ترد ﴿للكراهة﴾ ، كقوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿" لا يمسكن﴾ أحدكم ﴿ذكره وهو يبول "﴾ ، مثله المحلي وغيره، كقوله تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ [البقرة: ٢٦٧] .

الثالث: ﴿التحقير﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ **﴿لا تمدن عينيك﴾** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ [الحجر: ٨٨]

.

---

(١) فصول البدائع في أصول الشرائع الفناري ٢٢/٢

(٢) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات شمس الدين المارديني ص/١٣٦

الرابع: ﴿بيان العاقبة﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ عما يعمل الظالمون﴾ [إبراهيم: ٤٢]
.

الخامس: ﴿الدعاء﴾ ، كقوله: ﴿ربنا ﴿لا تؤاخذنا﴾ إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ [آل عمران: ٨] .

السادس: ﴿اليأس﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ ﴿لا تعتذروا﴾ قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة: ٦٦] ، وقد يقال إنه راجع إلى الاحتقار فلهذا مثله بعضهم به.." (١)

"(و) المختار (أن النهي) النفسي عن شيء معين تحريما أو كراهة (كالأمر) فيما ذكر فيه، فالنهي ليس أمرا بالضد ولا يستلزمه، وقيل عينه، وقيل يستلزمه، وقيل هذان القولان في نهي التحريم دون نهي الكراهة، والضد إن كان واحدا فواضح أو أكثر فالأمر بواحد منه، وقيل النهي أمر بضده قطعا بناء على أن المطلوب في النهي فعل الضد، وقيل لا قطعا بناء على أن المطلوب في النهي انتفاء الفعل، والترجيح في هذه والتي قبلها من زيادتي والنهي اللفظي يقاس بالأمر اللفظي.

(مسألة الأمران إن لم يتعاقبا) بأن يتراخى ورود أحدهما عن الآخر بمتماثلين ولم يمنع من التكرار مانع أو بمتخالفين. (أو تعاقبا) لكن (بغير متماثلين) بعطف كأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، أو بدونه كاضرب زيدا أعطه درهما (فغيران) فيعمل بهما جزما. (وكذا) إن تعاقبا (بمتماثلين ولا مانع من التكرار) في متعلقهما من عادة أو غيرها فإنهما غيران (في الأصح) مع عطف كصل ركعتين وصل ركعتين أو بدونه كصل ركعتين صل ركعتين لظهور العطف في التأسيس وأصالة التأسيس في غير العطف، وهذا ما نقله الأصل في شرح المختصر كالصفي الهندي عن الأكثرين، وقيل الثاني تأكيد فيهما لتماثل المتعلقين، وقيل بالوقف عن التأسيس والتأكيد في غير العطف لاحتمالهما، والترجيح من زيادتي في غير العطف، وما ذكرته من الخلاف مع العطف حكاه الأصل. قال الزركشي وفيه نظر فقد صرح الصفي الهندي وغيره بأنه لا خلاف في أنه للتأسيس، لأن الشيء لا يعطف على نفسه، ويجاب بأن من حفظ حجة على من لم يحفظ. (فإن كان) ثم (مانع) من التكرار (عادي وعارضه عطف) نحو صل ركعتين وصل الركعتين. (فالوقف) عن التأسيس والتأكيد لاحتمالهما، وظاهر أنه إن وجد مرجح عمل به. (وإلا) بأن كان ثم مانع عقلي نحو اقتل زيدا اقتل زيدا، أو شرعي نحو أعتق عبدك أعتق عبدك، أو لم يعارضه عطف نحو اسقني ماء اسقني ماء، صل ركعتين صل ركعتين. (فالثاني تأكيد) . وإن كان بعطف في الأولين أما كونه تأكيدا في الأولين فظاهر، وأما في

---

(١) التحبير شرح التحرير المرداوي ٢٢٨٠/٥

الأخيرتين فلأن العادة باندفاع الحاجة بمرة في أولها، وبالتعريف في ثانيهما ترجح التأكيد، وقولي وإلا أعم من قوله فإن رجح التأكيد بعادي قدم.

(مسألة النهي) النفسي (اقتضاء كف عن فعل لا بنحو كف) كذر ودع المفادين كنحوهما بزيادتي نحو فدخل فيه الاقتضاء الجازم وغيره وخرج منه الإباحة، واقتضاء فعل غير كف أو كف بنحو كف فإنه أمر كما مر، ويحد أيضا بالقول المقتضي للكف المذكور كما يحد اللفظي بالقول الدال على الاقتضاء المذكور، ولا يعتبر في مسمى النهي علو ولا استعلاء على الأصح كالأمر (وقضيته الدوام) على الكف، لأن العلماء لم يزالوا يستدلون به على الترك مع اختلاف بالأوقات لا يخصونه بشيء منها. (ما لم يقيد بغيره في الأصح) فإن قيد به نحو لا تسافر اليوم كان الغير قضيته فيحمل عليه، وقيل قضيته الدوام مطلقا وتقييده بغير الدوام يصرفه عن قضيته، وقولي بغيره أولى من قوله بالمرة. (وترد صيغته) أي النهي وهي لا تفعل. (للتحريم) نحو ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ (وللكراهة) نحو ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ والخبيث فيه الرديء لا الحرام عكس ما في قوله تعالى ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ ﴿وللإرشاد) نحو ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (وللدعاء) نحو ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ ﴿ولبيان العاقبة﴾ نحو ﴿ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت (وللتقليل) بأن يتعلق بالمنهى عنه نحو **﴿ولا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به ﴿أي فهو قليل بخلاف ما عند الله. (وللاحتقار) بأن يتعلق بالمنهي نحو ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ ﴿ولليأس) نحو ﴿لا تعذروا اليوم﴾ وهذا تركه البرماوي من ألفيته، وذكره في شرحها مع زيادة ومثل له بالآية ثم قال وقد يقال إنه راجع لـلاحتقار أي لاتحاد آيتيهما. قلت." [(١)]

"الخبيث منه تنفقون﴾ ١.

"و" الثالث: كونها ل "تحقير"٢ نحو قوله تعالى: **﴿لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ ٣.

"و" الرابع: كونها ل "بيان العاقبة"٤ نحو قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ ٥

=وعلى قدم من الصلاح والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم، ويرجع إليه القضاة، ولي تدريس الفقه، وعرض عليه القضاء فامتنع، له مصنفات كثيرة نافعة مفيدة، وهي في غاية الاختصار والتحرير وسلامة العبارة، فأقبل عليها الناس والعلماء وتداولوها

---

(١) غاية الوصول في شرح لب الأصول الأنصاري، زكريا ص/٧٠

حتى وقتنا الحاضر، منها "شرح جمع الجوامع" في الأصول، و"المناسك" و "كتاب الجهاد" و "شرح بردة المديح" و "شرح منهاج الطالبين" في الفقه، وشرع في أشياء لم يكملها، منها "شرح القواعد لابن هشام" و "شرح التسهيل" و "تفسير القرآن" وغيرها، توفي سنة ٨٦٤؟

انظر ترجمته في "حسن المحاضرة ٤٤٣/١، شذرات الذهب ٣٠٣/٧، الضوء اللامع ٣٩/٧، طبقات المفسرين ٨٠/٢، البدر الطالع ١١٥/٢، الفتح المبين ٤٠/٣".

١ الآية ٢٦٧ من البقرة.

٢ وسماه السبكي التقليل والاحتقار.

" انظر: التوضيح على التنقيح ٥١/٢، كشف الأسرار ٢٥٦/١، مختصر البعلي ص١٠٣، تحقيق المراد ص٦٥، الإحكام للآمدي ١٨٧/١، المنخول ص١٣٥، المستصفى ٤١٨/١، فواتح الرحموت ٣٩٥/١، منهاج العقول ١٦/٢، نهاية السول ٦٢/٢، جمع الجوامع ٣٩٥/١".

٣ الآية ٨٨ من الحجر.

٤ انظر: الإحكام للآمدي ٥٣/٢، المستصفى ٤١٨/١، المنخول ص١٣٤، منهاج العقول ١٦/٢، جمع الجوامع ٣٩٢/١، نهاية السول ٦٢/٢، مختصر البعلي ص١٠٣، فواتح الرحموت ٣٩٥/١، كشف الأسرار ٢٥٦/١، التلويح على التوضيح ٥٣/٢، تحقيق المراد ص٦٢، إرشاد الفحول ص١٠٩.

٥ الآية ٤٢ من إبراهيم، واستشهد لذلك المحلي بقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ آل عمران ١٦٩، ثم قال: "أي عاقبة الجهاد الحياة، لا الموت" "المحلي على جمع الجوامع ٢٩٤/١".." [1]

"المبحث الثاني: النهي الحقيقي ومعناه

اختلفوا في معنى النهي الحقيقي، فذهب الجمهور إلى أن معناه الحقيقي هو التحريم، وهو الحق، ويرد فيما عداه مجازا كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تصلوا في مبارك الإبل" ١ فإنه للكراهة. وكما في قوله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ ٢ فإنه للدعاء، وكما في قوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ ٣ فإنه للإرشاد، وكما في قول السيد لعبده الذي لم يمتثل أمره: لا تمتثل أمري؟! فإنه للتهديد، وكما في قوله تعالى: **﴿ولا تمدن عينيك﴾** ٤ فإنه للتحقير، وكما في قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ ٥ فإنه لبيان العاقبة، وكما في قوله تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ ٦ فإنه للتأييس، وكما في قولك لمن يساويك: "لا تفعل" فإنه للالتماس.

---

(١) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير ابن النجار، تقي الدين ٧٩/٣

والحاصل: أنه يرد مجازا لما ورد له الأمر كما تقدم٧، ولا يخالف الأمر إلا في كونه يقتضي التكرار في جميع الأزمنة، وفي كونه للفور فيجب ترك الفعل في الحال.

قيل: ويخالف الأمر أيضا في كون تقدم الوجوب قرينة دالة على أنه للإباحة، ونقل الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني الإجماع على أنه لا يكون تقدم الوجوب قرينة للإباحة، وتوقف الجويني في نقل الإجماع، ومجرد هذا التوقف لا يثبت له الطعن في نقل الأستاذ.

واحتج القائلون: بأنه حقيقة في التحريم: بأن العقل يفهم الحتم من الصيغة المجردة "عن القرائن"* وذلك دليل الحقيقة.

---

* في "أ": القرينة.

---

١ أخرجه الترمذي بنحوه من حديث أبي هريرة، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مرابض الغنم وأعطان الإبل "٣٤٨" وقال: حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الصلاة في أعطان الإبل وقراح الغنم "٧٦٨" وفي الزوائد: إسناده صحيح، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه "٨٩٥". وابن حبان في صحيحه "١٣٨٤". والبيهقي، كتاب الصلاة، باب كراهة الصلاة في أعطان الإبل "٢/ ٤٤٩". قال الترمذي: وفي الباب عن جابر بن سمرة والبراء وسبرة بن معبد وعبد الله بن مغفل وابن عمر وأنس.

٢ جزء من الآية "٨" من سورة آل عمران.

٣ جزء من الآية "١٠١" من سورة المائدة.

٤ جزء من الآية "٨٨" من سورة النجم.

٥ جزء من الآية "٤٢" من سورة إبراهيم.

٦ جزء من الآية "٧" من سورة التحريم.

٧ انظر صفحة: "٢٤٧".." (١)

"الآية رقمها الجزء/ الصفحة

﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ ٨٠ ١/ ٢٥٥

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول الشوكاني ٢٧٩/١

سورة هود
﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ ٦ ١/ ٣٥٥
﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور﴾ ٤٠ ١/ ٢٤٢
﴿وأهلك﴾ ٤٠ ٢/ ٢٧
﴿أتعجبين من أمر الله﴾ ٧٣ ١/ ٢٤٢
﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ ٩٧ ١/ ٢٤٢
سورة يوسف
﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ ٢ ١/ ٦٥
﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ ٧٦ ٢/ ٢٣١
﴿واسأل القرية﴾ ٨٢ ١/ ٦٩
﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ ١٠٣ ١/ ٣٦٨
سورة الرعد
﴿الله خالق كل شيء﴾ ١٦ ١/ ٣٨٣
سورة إبراهيم
﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ ٤ ١/ ٤٣، ٦٥
﴿قل تمتعوا﴾ ٣٠ ١/ ٢٥٤
﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ٣٤ ١/ ٣٠٤
﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ ٤٢ ١/ ٢٧٩
سورة الحجر
﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ٩ ٢/ ٧٥
﴿وإنا له لحافظون﴾ ٩ ١/ ٣١٣
﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ ٣٠ ١/ ٣٠٣
﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من
اتبعك من الغاوين﴾ ٤٢ ١/ ٦٨3
﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ ٤٦ ١/ ٢٥٤

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما

بينهما إلا بالحق﴾ ٨٥ ٢/ ١٢٣

﴿ولا تمدن عينيك﴾ ٨٨ ١/ ٢٧٩." [1]

"﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ [آل عمران: ٨] (وبيان العاقبة) ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ [آل عمران: ١٦٩] أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت (والتقليل والاحتقار) ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ [طه: ١٣١] أي فهو قليل حقير بخلاف ما عند الله ومن اقتصر على الاحتقار جعله المقصود في الآية وكتابة المصنف التقليل المأخوذ من البرهان بالعين سبق قلم (واليأس) ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: ٧] (وفي الإرادة والتحريم ما) تقدم (في الأمر) من الخلاف فقيل لا تدل الصيغة على الطلب إلا إذا أريد الدلالة بها عليه والجمهور على أنها حقيقة في التحريم وقيل في الكراهة وقيل فيهما وقيل في أحدهما ولا نعرفه.

(وقد يكون) النهي (عن واحد) وهو ظاهر (و) عن (متعدد جمعا كالحرام المخير) نحو لا تفعل هذا أو ذاك فعليه ترك أحدهما فقط فلا مخالفة إلا بفعلهما فالمحرم جمعهما لا فعل أحدهما فقط (وفرقا كالنعلين تلبسان أو تنزعان ولا يفرق) بينهما بلبس أو نزع إحداهما فقط فهو منهي عنه أخذا من حديث الصحيحين «لا يمشين أحدكم في نعل واحدة لينعلهما جميعا أو ليخلعهما جميعا» فيصدق أنهما

ـــــــــــيقال إن هذا ينافي ما تقدم له من أنه لا يشترط في النهي علو ولا استعلاء.

(قوله: أي عاقبة إلخ) فيه أن هذا ليس من ذات الصيغة وإنما هو مما اقترن بها (قوله: والتقليل والاحتقار) الأول يرجع للكم والثاني للكيف.

(قوله: ومن اقتصر على الاحتقار إلخ) حاصل ما سلكه أنه جعل التقليل والاحتقار شيئا واحدا بناء على تلازمهما غالبا لكن شيخه البرماوي غاير بينهما فجعل التقليل متعلقا بالمنهي عنه ومثل له بالآية وجعل الاحتقار متعلقا بالمنهي ومثل له بقوله تعالى ﴿لا تعتذروا قد كفرتم﴾ [التوبة: ٦٦] احتقارا لهم ثم قال فمن يجعلهما واحدا ويمثل لهما بالآية كالأردبيلي وشيخنا البدر الزركشي فليس بجيد والشارح مثل ب ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: ٧] لليأس فإما أن يفرق بينه وبين ﴿لا تعتذروا قد كفرتم﴾ [التوبة: ٦٦] أو يقال يمكن أن يعتبر فيه لكل ما يناسبه وإن كان واحدا بالذات مع أن البرماوي ترك اليأس من ألفيته لكنه ذكره

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول الشوكاني ٢/٢٩٨

مع زيادة في شرحها ومثل له بلا تعتذروا ثم قال وقد يقال إنه راجع للاحتقار اهـ. زكريا.
(قوله: المأخوذ من البرهان) جزم بذلك لمستند عنده وإلا فجاز أن يكون نقل عن غير البرهان.
(قوله: سبق قلم) لأن الذي في البرهان التقليل بالقاف فرسمه هو بالعين.
(قوله: واليأس) أي إيقاع اليأس ولو عبر بالإياس لكان أولى.
(قوله: وفي الإرادة والتحريم) خبر مقدم وما تقدم مبتدأ مؤخر والجملة استئنافية أي وفي اشتراط الإرادة بلفظ النهي ودلالة النهي على التحريم فأشار بالأول إلى ما ذكره في الأمر بقوله واعتبر أبو علي وابنه إرادة الدلالة باللفظ على الطلب وإلى الثاني إلى ما ذكره فيه بقوله والجمهور على أنه حقيقة في الوجوب.
(قوله: والجمهور على أنها حقيقة في التحريم) أي لغة أو شرعا أو عقلا كما مر في الأمر وعلى ما اختاره المصنف ثم فهي حقيقة في الطلب الجازم لغة وفي التوعد على الفعل شرعا ثم إنه لم يستوف جميع الأقوال السابقة في الأمر إذ منها أنه حقيقة في القدر المشترك وغير ذلك فقوله ما تقدم أي في الجملة

(قوله: جمعا) تمييز محول عن المضاف أي عن جمع متعدد وكذا يقال في قوله وفرقا أي وقد يكون النهي عن تفريق المتعدد.
(قوله: كالحرام المخير) أي المخير في أفراده فيخرج بترك واحد منها عن عهدة النهي.
(قوله: إلا بفعلهما) إلا أن تقوم القرينة على أن المراد النهي عن كل واحد نحو ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ [الإنسان: ٢٤] (قوله: تلبسان إلخ) استئناف لبيان الجائز.
(قوله: ولا يفرق بالتخفيف) لأنه من التفريق وإن كان بين الأجسام إلا أن المراد من حيث اللبس وعدمه
(قوله: فهو) أي لبس أحدهما أو نزعه.
قوله «لا يمشين أحدكم في نعل واحدة» فيه اكتفاء والتقدير ولا ينزع نعلا حتى يكون النهي عن متعدد إذ النعل الواحدة لا تعدد فيها وبهذا التأويل صار متعددا معنى وهو منهي عنه من جهة التفريق (قوله: لينعلهما إلخ) هذا هو محل الأخذ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده." (١)

"ومثال النهي عن الفعل لأمر خارج عنه لا تعلق به عقلا ما لو نهى عن الصلاة في دار لأن فيها صنما مدفونا أو شرعا ما لو نهى عن بيع الجوز والبيض خشية أن يقامر به أو عن بيع السلاح من المسلمين خشية أن يقطعوا به الطريق أو عن غرس العنب أو بيعه خشية أن يعصر خمرا ونحوه

---

(١) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع حسن العطار ٤٩٨/١

لم يكن ذلك النهي مبطلا ولا مانعا لأن هذه المفاسد وإن تعلقت بهذه الأفعال تعلقا عقليا بمعنى أن هذه الأفعال تصلح أن تكون سببا لتلك المفاسد لكنها غير متعلقة بها شرعا لأن الشرع لم يعهد منه الالتفات في المنع إلى هذا التعلق العقلي البعيد ومثال ما كان النهي فيه لوصف غير لازم النهي عن البيع وما في معناه من العقود وقت النداء وإنما نهى عنه لكونه بالجملة متصفا بكونه مفوتا للجمعة أو مفضيا إلى التفويت بالتشاغل بالبيع لكن هذا الوصف غير لازم للبيع لجواز أن يعقد مائة عقد ما بين النداء إلى الصلاة ثم يدركها فلا تفوت فالأولى في هذا العقد الصحة

فوائد

الأولى ما علق عليه الأمر من شرط كقوله إذا زالت الشمس فصلوا أو صفة كقوله تعالى ﴿الزانية والزاني فاجلدوا﴾ النور ٢ إن ثبت أنه علة للفعل فلا خلاف في تكرره بتكرره وإن لم يكن علة فإن قيل الأمر المطلق للتكرار فههنا أولى وإن قيل ليس للتكرار اختلفوا ههنا واختار الآمدي عدمه وأما النهي المعلق بما يتكرر فمن قال مطلق النهي يقتضي التكرار أثبت التكرار ههنا بطريق الأولى ومن قال لا يقتضي التكرار اختلفوا هل يقتضيه أم لا والأظهر أنه يقتضيه بخلاف الأمر

الثانية ترد صيغة الأمر للتحريم نحو لا تقتلوا وللكراهة نحو لا يمسك ذكره وهو يبول وللتحقير نحو **﴿ولا تمدن عينيك﴾** طه ١٣١ ولبيان." [(١)]

"الزنا﴾ والكراهة ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ أي لاتعمدوا الى الرديئ فتصدقوابه بل يتصدق بما يستحسنه ويختاره والدعاء نحو ﴿ربنا لا تزغ قلوبنابعد اذهديتنا﴾ وبيان العاقبة) ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت والإرشاد ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ والتقليل والاحتقار **﴿ولا تمدن عينيك﴾** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أي فهو قليل حقير بخلاف ما عند الله واليأس ﴿لا تعتذروا اليوم﴾ فلذا قال الناظم:

ولفظه للحظر والكراهة ... واليأس والإرشاد والإباحة

ولاحتقار ولتهديد بيان ... عاقبة تسوية دعا امتنان

فزاد على المصنف الاباحة قال كالنهى بعد الايجاب فى قول ذكره العراقى فى شرحه والشيخ بهاء الدين فى عروس الافراح وزاد التهديد ايضا قال وذكره فى تلخيص المفتاح كقولك لمن لا يمتعل امرك لا تمتثل

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران ابن بدران ص/٢٣٥

امري والتسوية نحو اصبروا او لا تصبرو ، والاهانة نحو اخسئو فيها ولاتكلمون
والتمنى نحو لاترحل ايها الشاب وافاد شارح السعود ان صيغة النهى عندنا معاشر المالكية حقيقة فى التحريم شرعا وقيل لغة وقيل عقلا قال قال فى التنقيح وهو عندنا للتحريم نحو ولا تقربوا الزنى واختلفت مذاهب الفرق المخالفة لنا فمنهم من قال للكراهة نحو لا تاكل بشمالك ولم نقل خلاف الاولى لانه مما احدثه المتاخرون ولانه انما يستفاد من اومرالندب لامن صيغة النهى التى الكلام فيها ومنهم من قال مشترك بين التحريم والكراهة ومنهم من قال للقدر المشترك بين التحريم والكراهة وهو طلب الترك جازما ام لا فلذا قال فى نظمه:
واللفظ للتحريم شرعا وافترق....للكره والشركة والقدر الفرق
وافاد العلامة ابن عاصم ايضا لجل العلماء عند الخلو عن القرينة وان الاقل قالوا بالكراهة حيث قال
والنهى للتحريم يات دون ما ... قرينة فيه لجل العلماء
وقال بالكراهة الاقل ... وان اتت قرينة تدل
(وفي الإرادة والتحريم مافي الأمر) أي وفى الارادة والتحريم ما تقدم فى الامر من الخلاف قال الجلال المحلى: فقيل لا تدل الصيغة على الطلب إلا إذا أريد الدلالة بها عليه والجمهور على أنها حقيقة في التحريم وقيل في الكراهة وقيل فيهما وقيل في أحدهما ولا نعرفه. اه. قال الشيخ حلولو (تنبيه) قال القرافى لم ار للاصوليين فى النهى مثل الخلاف الذي فى الامر باعتبار العلو والاستعلاء او احدهما او عدم اعتبارهما ويلزمهم التسوية بين البابين وصرح المحلى بالتسوية اه. وتعرض لذكر هما الناظم زيادة على المصنف حيث قال:
وفي الإرادة وفي التحريم ما ... في الأمر والعلو الاستعلا انتمي
(وقد يكون عن واحدو عن متعدد جمعا كالحرام المخير وفرقا كالنعلين تلبسان أو تنزعان ولا يفرق وجميعا كالزنا والسرقة) أي وقد يكون النهى عن واحد وهو ظاهر او عن جمع متعدد كالحرام المخير فيما يترك من افراده نحو ل ا تفعل هذا او ذاك فعليه ترك احدهما فقط فلا مخالفة الا بفعلهما فمثال المحرم جمعهما لا فعل احدهما فقط الجمع بين الاختين فالمنهى عنه الهيئة الاجتماعية وعكسه المثال المتقدم هو النهى عن التفريق كالنعلين أو تنزعان ولا يفرق بينهما بلبس أو نزع إحداهما فقط فالتفريق هو المنهى عنه قال الجلال المحلى: أخذا من حديث الصحيحين ﴿لا يمشين أحدكم في نعل واحدة لينعلهما جميعا أو ليخلعهما

جميعا﴾ فيصدق أنهما منهي عنهما لبسا أو نزعا من جهة الفرق بينهما في ذلك أي في ذلك في اللبس والنزع لا الجمع." [١]

"وقد يكون في النص الدال على الخصوصية خفاء فيقع فيه الخلاف. ومن ذلك قوله تعالى في صلاة الخوف: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ... ﴾ (١) الآيات، يقول القرطبي: "هذه الآية خطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم –، وهو يتناول الأمراء بعده إلى يوم القيامة. هذا قول كافة العلماء. وشد أبو يوسف، وإسماعيل بن علية، فقالا: لا تصلى صلاة الخوف بعد النبي – صلى الله عليه وسلم –، فإن الخطاب كان خاصا له بقوله: ﴿وإذا كنت فيهم﴾ وإذا لم يكن فيهم لم يكن لهم ذلك، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ليس كغيره في ذلك، وليس أحد بعده يقوم مقامه ... فلذلك يصلي الإمام بفريق، ويأمر من يصلي بالفريق الآخر، وأما أن يصلوا بإمام واحد فلا" (٢). اهـ.

ثم ذكر أن الجمهور يرون اتباعه – صلى الله عليه وسلم – مطلقا حتى يدل دليل واضح على الخصوص، ولئلا تكون الشريعة قاصرة على من خوطب. وقد عمل الصحابة بصلاة الخوف بعده – صلى الله عليه وسلم –.

ثم إن خاطب الله تعالى نبيه بالحكم بضمير المفرد، أو بقوله يا أيها النبي، لم يدل ذلك على الاختصاص، لأنه – صلى الله عليه وسلم – قائد أمته في طريقها إلى الله، والأمر للقائد أمر لأتباعه. ومن رفض المشاركة في الحكم هنا بمقتضى اللفظ لا يمنع القياس. ومثاله قوله تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ (٣) وقوله: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ (٤).

وسيأتي لهذا البحث زيادة بيان في مبحث قول المساواة من فصل الفعل المجرد.

الثاني: أن يقول – صلى الله عليه وسلم – ذلك. كنهيه لهم عن الوصال لما واصل، وقال: "إني لست كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني،. وقال في دخول مكة مقاتلا: "إن أحد ترخص بقتال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم".

---

(١) سورة النساء: آية ١٠٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٦٤ – ٣٦٦

---

(١) الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع حسن السيناوني ١/١١٩

(3) سورة الحجر: آية ٨٨

(٤) سورة آل عمران: آية ١٥٩." [١]

"كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) [النساء: ١٤٢].

٦ – الخبر، مثل قوله تعالى: (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) [الممتحنة: ٩].

النهي للتحريم إلا لصارف:

قال الكلوذاني في "التمهيد" (١/ ٣٦٢): (النهي يقتضي التحريم خلافا لمن قال يقتضي التنزيه بمطلقه وخلافا للأشعرية في قولهم يقتضي الوقف.

لنا أن الصحابة رضي الله عنهم عقلوا من النهي الكف عن الفعل والترك، فروى عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: "كنا نخابر (١) أربعين سنة لا نرى بذلك بأسا حتى أخبرنا رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فتركناها" (٢)؛ ولأن السيد إذا نهى عبده عن فعل الشيء فخالفه عاقبه، ولم يلم في عقوبته، فلو لم يكن النهي يقتضي التحريم والمنع لما استحق به العقوبة ...).

قد يخرج النهي عن التحريم إلى معان أخرى لدليل:

سبق في باب الأمر وأن ذكرنا أن الأمر المطلق للوجوب إلا لصارف، والأمر كما هو هنا فالنهي الأصل أنه للتحريم إلا لدليل، وقد ترد بعض الأدلة التي تبين أن النهي لـ (٣):

كراهة: نحو قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يمس أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول).

وتحقير: نحو قوله تعالى: (**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم) [الحجر: ٨٨].

---

(١) – المخابرة: أصلها من الخبر، وهي الأرض الزراعية، وفسر قوله: (عن المخابرة) أن يؤجر الأرض بجزء مما يخرج منها. والمخابرة لها شروط وأحكام مستوفاه في كتب الفروع.

---

(١) أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية سليمان الأشقر، محمد ١/ ٢٧٠

(٢) – رواه مسلم بنحوه.

(٣) – انظر شرح الكوكب المنير (٣/ ٧٨).." [١]

"وبناء على ذلك: فإن صيغة " لا تفعل " من باب الظاهر، حيث إن لها معنيان: معنى راجح وهو طلب الترك، ومعنى مرجوح وهو: عدم إفادتها لشيء، فرجحنا إفادتها لطلب الترك، ويعمل على ذلك بدون قرينة.

* * *

المسألة الثالثة:

صيغة " لا تفعل " تستعمل لمعان هي:

الأول: التحريم، كقوله تعالى: (ولا تقربوا الزنا).

الثاني: الكراهة، كقوله تعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم).

الثالث: الإرشاد، كقوله تعالى: (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم).

الرابع: الدعاء، كقوله تعالى: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا).

الخامس: التقليل والاحتقار، كقوله تعالى: (**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم).

السادس: بيان العاقبة، كقوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (١٦٩)).

السابع: التسكين والتصبر، كقوله تعالى: (لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى (٤٦)).

الثامن: اليأس، كقوله تعالى: (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم).

التاسع: الشفقة، كقوله – صلى الله عليه وسلم –: " لا تتخذوا الدواب كراسي ".

العاشر: الالتماس، كقولك لمن هو في مرتبتك: " لا تضرب فلانا ".." [٢]

"المطلب الثالث في ما تستعمل فيه صيغة " لا تفعل "

صيغة النهي وهي: " لا تفعل " تستعمل لمعان كثيرة هي كما يلي:

الأول: التحريم كقوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) .

الثاني: الكراهة كقوله تعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم) .

---

(١) المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول أبو المنذر المنياوي ص/٨٨

(٢) الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح عبد الكريم النملة ص/٢٣٦

الثالث: الإرشاد كقوله تعالى: (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) .

الرابع: الدعاء كقول تعالى: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) .

الخامس: التقليل والاحتقار كقوله تعالى: (**لا تمدن عينيك** إلى ما متعنا به أزواجا منهم) ، فهو قليل وحقير، بخلاف ما عند الله.

السادس: بيان العاقبة: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) : أن عاقبة الجهاد: هي

الحياة الأخروية السعيدة.

السابع: التسكين والتصبر كقوله تعالى: (لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى) .

الثامن: الشفقة كقوله – صلى الله عليه وسلم –:

" لا تتخذوا الدواب كراسي ".

التاسع: اليأس كقوله تعالى: (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) .

العاشر: الالتماس كقوله لمن هو في مرتبتك: " لا تضرب فلانا ".

الحادي عشر: التهديد كقول السيد لعبده: " لا تفعل اليوم شيئا ".." (١)

---

(١) المهذب في علم أصول الفقه المقارن عبد الكريم النملة ١٤٣٢/٣